الإمام علي عليه السلام

قرين القرآن

الجزء الثاني

إعداد
يحيى قاسم أبو عوّاضة

إخراج
دائرة الثقافة القرآنية

الطبعة الثانية

١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م

إخراج
دائرة الثقافة القرآنية

www.d-althagafhalqurania.com

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله خاتم النبيين.

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما صليت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد، وارض اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجبين وعن سائر عبادك الصالحين.

المشروع الإلهي الكبير له منهج يتضمن التعليمات الإلهية فيما نعمل وفيما نترك وفي تحديد مسؤولياتنا في الحياة وفي تبصيرنا بواقع الحياة وما فيها، وفي علاقتنا بالله سبحانه وتعالى، ويمثل المنهج الإلهي النور والهدى والبصائر التي على ضوئها نبني واقعنا كمؤمنين ونتحرك في مواقفنا.

وهذا ما قدمه الله لنا في كتبه ومن خلال أنبيائه والهداة من عباده منهجًا متكاملاً واسعًا بسعة الحياة وأكثر من ذلك، لكن هذا المنهج يبقى حبرًا على ورق، يبقى في طيات الكتب، يبقى تعليمات مجمَّدة إذا لم يكن هناك من يحملها، من يدعو إليها، من يطبقها في واقعه ويتحرك على ضوئها يمثل القدوة للآخرين؛ وهنا يأتي دور الرموز والأعلام.

وعندما نعود إلى الرسالة الخاتمة إلى مسيرة الإسلام في أمتنا الإسلامية إلى الرموز والأعلام الذين حملوا الإسلام في قلوبهم وقدموا صورته الرائعة الحقيقية فيما تمثلوه والتزموا به من أخلاقه وتعاليمه وهم الرواد والطليعة والقادة والقدوة في مدرسة الإسلام الكبرى مقتفين أثر نبي الله محمد (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) نجد أن في مقدمتهم الإمام علياً (عليه السلام) ذلك التلميذ الوفي والمتميز للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وخريج مدرسة الإسلام الكبرى فكان أثر الرسول وأثر القرآن وأثر الإسلام بارزًا في شخصيته في روحيته في سلوكياته في مواقفه في واقعه بشكلٍ يقدم شهادةً على عظمة الإسلام على عظمة القرآن على

عظمة نبي الإسلام محمد (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) ومنذ بداية مشواره مع الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله وسلم) وبحكم ملازمته للنبي وارتباطه الوثيق بالنبي وتميزه ووعيه العالي، كان الإمام عليٌّ (عليه السلام) سابقًا إلى الإسلام ليحوز فضيلة السبق ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (١١) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (١٢)﴾[الواقعة] سبق إلى الإسلام منذ انبثاق نوره ومن دون أي تردد أو تأخر أو تلكؤ، دخل في الإسلام ودخل الإسلام فيه فكان كلَّ قلبه وكلَّ روحه وكلَّ حياته، لقد ذاب في الإسلام وامتزج به فكان خلقه الإسلام، وكانت قضيته الإسلام، وكانت حياته للإسلام وكان الفدائي الأول في الإسلام.

فهو مدرسة متكاملة نعرف من خلالها ونرى من خلالها الإسلام بكل كماله الإسلام بكل جماله الإسلام بحقيقة مبادئه، الإسلام بعظم أخلاقه الإيمان بجلاله وجماله.

هكذا كان الإمام علي (عليه السلام) وهكذا يبقى نورًا في مشرق الشمس قدوة للمستبصرين ونورًا للحائرين وعَلَمًا يقتدى ويتأسى به في مدرسة الإسلام الكبرى ويمثل النموذج الحقيقي والقدوة للرموز الحقيقيين.

وهذا هو الجزء الثاني مما جمعناه من كتاب: (الإمام علي - عليه السلام - قرين القرآن) معتمدين فيما قدمناه على ما ورد عن السيد حسين بدر الدين الحوثي - رضوان الله عليه - وعلى ما ورد عن السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي - رضوان الله عليه -.

راجيًا من الله أن يتقبل هذا العمل بأحسن القبول.

والله الموفق

يحيى قاسم أبو عَوَّاضَة

شهر ذي الحجة ١٤٣٨هـ

❊❊❊

الدور المحوري للإمام بالنسبة للدين

الدين الإسلامي لا بد له من رموز

المسألة أساسية بالنسبة للدين الإسلامي، المشروع الديني كله، حتى يمكن إقامته في الواقع والنهوض به في الحياة، له ركائز أساسية، ومعالم أساسية، وهي: المنهج أولًا، القادة والرموز ثانيًا، المقدسات التي تُمثِّل معالم في الأرض ثالثًا[1].

دور القادة والأعلام

البلاغ والتبيين والتجسيد للدين.

وهذه مسألة واضحة عندما نعود لنتأمَّل في كتاب الله سبحانه وتعالى المنهج الإلهي لم يكن ليقوم، ولا لينتشر ولا ليلقى القابلية في واقع البشر بدون رموزه، بدون أعلامه الذين قاموا بدورٍ متعدد من خلال البلاغ والتبيين، والتوضيح وإقامة الحجة، ومن خلال التجسيد للمبادئ، والقيم والتمثيل العملي لها في واقع الحياة، وإبرازها عمليًا في الواقع العملي؛ ليرى الناس عظمتها، وليرى الناس جمالها، وجلالها، وجاذبيتها الكبيرة في الواقع، وإمكانية تطبيقها بما يترتَّب على تطبيقها من آثار ونتائج إيجابية في واقع الحياة.

ولأهمية الأمر وباعتباره من ضروريات المشروع الديني نجد أن الله سبحانه وتعالى خاطب نبيّه الكريم وهو في مقام النبوة، يتنَزَّل عليه الوحي، يصل إليه الهديُ الإلهي وتعليمات الله سبحانه وتعالى في إطار الوحي الإلهي غضةً طريَّة.

في مقام الوحي وفي مقام النبوة، الله سبحانه وتعالى يقدم له في كتابه الكريم قائمةً من أسماء الأنبياء والرسل فيعدهم ثم يقول عنهم: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ﴾ [الأنعام:٩٠] يخاطب من؟ يخاطب النبي محمدًا (صلوات الله عليه وعلى آله) في مقامه، وفي موقعه من النبوة والوحي، يوحى إليه، على ارتباط مباشر بهدى الله سبحانه وتعالى، وبالوحي الإلهي.

(١) من ذكرى استشهاد الإمام علي ١٤٣٤هـ.

ومع ذلك يوجِّهه إلى أن يهتدي وأن يقتدي بأولئك السابقين من الأنبياء والرسل أن يرتبط بهم كرموز، وهداة، أن يرتبط بهم في موقع القدوة.

في إطار الدين في إطار المشروع الديني لا بد من القدوة لا بد من الأعلام، لا بد من الرموز، لا بد من الهداة الذين نرتبط بهم في إطار الدين نفسه فنقتدي بهم، ونهتدي بهم، ونتخلّق بأخلاقهم، ونتأثّر بهم، ويمثِّل ارتباطنا بهم عاملًا مهمًّا في أن نرتبط بالمشروع الديني ذاته، في أن نتخلّق بأخلاقه، في أن ننطلق من خلال مبادئه، في أن نلتزم بتعليماته، نرى فيهم هم، نرى في معالم حياتهم، في سلوكياتهم، في مواقفهم، في حركتهم في الحياة الشواهد لهذا الدين، في عظمته، في جاذبيته، في تأثيراته المهمة.

ولأن المسألة أساسية نجد أن الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم، في سورة الفاتحة التي نتلوها في كلّ صلاة فنقول فيها: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ • صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾[الفاتحة:٦،٧] في الوقت الذي نطلب من الله ونتوجّه إلى الله أن يهدينا إلى صراطه المستقيم قال الله عن هذا الصراط المستقيم أنه ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾[الفاتحة:٧] صراط له أعلامه، له رموزه، له هداته الذين نهتدي بهم، وهم لنا القدوة، وهم لنا القادة، وهم لنا من يُجسّدون معالم هذا الدين، وحقائق هذا الدين، ومبادئ هذا الدين، وأخلاق هذا الدين، وبطريقة صحيحة.»[1]

الحفاظ على الدين من التحريف.

فهم يمثّلون الضمانة في التطبيق الصحيح، والتطبيق السليم للدين، والحفاظ على مفاهيمه من التحريف؛ لأن الدين -وهذه حالة حصلت حتى في الرسالات السابقة، بعد الأنبياء السابقين، بعد موسى بعد عيسى، وغيرهم من الرسل، والأنبياء- أن الدين الإلهي يتعرض في مراحله المختلفة، وفي إطار الرسالات السابقة يتعرض دائمًا لعملية تحريف، تحريف لمفاهيمه، وتحريف لقيمه وأخلاقه، وتحريف لمبادئه، وتحريف دائمًا ما يُحسَب على الدين نفسه، وباسم الدين نفسه، ومن خلال عناوين الدين نفسه.

(١) من ذكرى استشهاد الإمام علي ١٤٣٤هـ.

دائمًا ما تطرأ عملية التحريف للمفاهيم الدينية ومن خلال رموز مضلين لديهم قدرات فائقة على التضليل والخطاب، على التضليل للناس، ولديهم القدرة على توظيف الخطاب الديني نفسه من خلال تحريف مفاهيمه وقلب مبادئه رأسًا على عقب؛ يستطيعون من خلال ذلك التضليل للكثير من الناس، والخداع للكثير من الناس، عوامل متعددة تُسهم في عملية التحريف للمفاهيم الدينية.

عندما ينتصر الدين ويصبح حقيقةً واقعةً ثابتة، ويرى فيه الآخرون أنه في ظهوره، في ثقله في انتصاره، في هيمنته في الواقع، أصبح ثابتًا راسخًا لا يمكن أبدًا التخلُّص منه ولا إزالته، أصبح ارتباط الناس به ارتباطًا وثيقًا ثابتًا لا يمكن فصلهم عنه.

يرى الآخرون وفي المقدمة ملوك الجور، والظالمون، والطغاة، والمستكبرون، والمفسدون في الأرض يرون في هذه الحالة حالةً معقَّدة، تعني انتصار الدين، وارتباط الناس الوثيق به فلا يمكن فصلهم عنه، ويرون في نظرتهم إلى الدين أن جملةً أساسيةً من مفاهيم الدين هي التي تمثِّلُ بالنسبة لهم خطرًا كبيرًا، وعائقًا كبيرًا عليهم في إمكانية أن يهيمنوا على الناس بظلمهم بفسادهم بشرهم بطغيانهم باستكبارهم بفسادهم، وبما أن عملية فصل الناس عن الدين بالكامل، وإزاحة الدين والرسالة الإلهية بالكامل من واقع الحياة مسألة صعبة غير ممكنة، يعْمدون إلى توظيف مفاهيم الدين بعد تغييرها وقلبها من خلال علماء السوء، دائمًا ما تتم عملية التضليل والتحريف للمفاهيم الدينية من خلال علماء سوء هذه من الحقائق الثابتة. علماء سوء لديهم قراءة، ولديهم إطلاع على المفاهيم الدينية والمعارف الدينية، يقومون هم بتحريف المعاني والمفاهيم وتزييفها وقلبها إلى ما يتطابق مع رغبات وأهواء ملوك الجور، وسلاطين الظلم، والحكومات الجائرة حتى يتهيأ لها أن تحكم، أن تسيطر، أن تتغلب، وبدون أن تحتاج إلى أن تدخل في صدامٍ عنيف مع المجتمعات التي آمنت بالرسالة الإلهية، وأصبحت على ارتباط وثيق بها.

فتحصل عملية قولبة مثلما نلحظ الآن في واقعنا المعاصر، أليست أمريكا الآن متجهة إلى توليفة جديدة للدين الإسلامي؟ يعني لم يكتفوا بما قد حصل من تحريف لمفاهيم، من قلب لحقائق، من تغييرات كبيرة على مدى قرون طويلة من الزمن لم يكتفِ بهذا الأمريكيون، لم يكتفوا بهذا! لا يزال لديهم أشياء جديدة

إضافية من التعديلات، والتغييرات، والتلعُّبْ بالمفاهيم بما يخدم مصالحهم، بما يبطل فاعلية قيم الإسلام الحقيقية في الناس التي تحيي الناس، والتي تَخلُق في واقع الناس الوعي الكافي، وتُعطي الناس البصيرة النافذة، واللازمة، وتُحرِّك المجتمع فيكون واقعه ممتنعًا عن هيمنة الظالمين، والمستكبرين، والمفسدين، والطغاة، والجبابرة فتتم عملية التحريف[1].

ابتعاد الأمة عن الأعلام يجعلها قابلة للتحريف والتضليل

فإذا أراد الناس أن يكونوا في واقعهم مرتبطين بالمنهج من دون رموز، من دون أعلام، هنا تكون هناك قابلية كبيرة لعملية التحريف والتضليل، يعني من أتى على الناس وقرأ عليهم نصوصًا دينية (قَوْلَبَهَا) كما يشاء، لديه قدرة في (قَوْلَبَة) النصوص والتلعُّب بها، أو إنزالها في غير محلها، في غير مصاديقها، تقبَّلَ الناسُ منه.. وهنا ينجح الآخرون في عملية التحريف إلى حدّ كبير، ويستطيعون أن يُحَوِّلُوا من عملياتهم التضليلية والتحريفية إلى معتقداتٍ، وأفكار، ومفاهيم، وثقافات يصبح لها جمهورها الواسع المؤمن بها، المقتنع بها، المتحرك على أساسها، تُدَرَّس في مدارس، تُكْتَب لها كتب، تُنَزَّل في محاضرات وهكذا. وتصبح ثقافةً سائدة وقد تمشي عليها أجيال، جيل بعد جيل وهكذا. لتمتد عبر الزمن، ويتدين الناس بها، يتدين الناس بضلال وباطل ويعتبرونه قربةً يتقربون به إلى الله سبحانه وتعالى.

لذلك العملية الدينية المشروع الديني في أساسه، هو دين الله الحكيم، دين الله الذي هو أحكم الحاكمين، والله سبحانه وتعالى جعل دينه في معالمه، في ركائزه، في طبيعة المشروع نفسه على النحو الذي يضمن سلامته، سلامته للأجيال، سلامته للبشرية، فللدين رموزه، ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[الفاتحة:٦] في الوقت نفسه ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾[الفاتحة:٧] هؤلاء الرموز هؤلاء الأعلام الذين هم للدين تَرْجُمَانُه، ولسانه، وهم مصاديقه العملية في الواقع، هم تَرْجُمَانُه وهم يُبيّنون، وهم تَرْجُمَانُه وهم يعملون، فنستفيد منهم في معرفة المفاهيم الصحيحة للدين فيما بيّنوا فيما بلَّغُوا فيما قالوا فيما تحدّثوا، وكذلك فيما فعلوا في أعمالهم

(١) من ذكرى استشهاد الإمام علي ١٤٣٤هـ.

في سلوكياتهم في مواقفهم في تصرفاتهم، نستفيد منها كذلك نجد فيها المصاديق الحقيقية للمفاهيم الدينية والخطاب الديني.

فهذه تُمثِّل ضمانةً للأمة ضمانة للأجيال ألاّ يؤثر فيها لا المضلون ولا المحرِّفون، حينما ترتبط بالمشروع الإلهي، برموزه وأعلامه، وليس فقط ارتباطًا مجتزأً يتجه فقط إلى الخطاب الديني أو إلى المفاهيم الدينية ومن جاء ضلّل ولعِب وحرَّف، وتقبَّلتْ منه الأمة، وتأثّر به الناس[1].

الأنبياء هم طلائع الرموز والأعلام

الأنبياء هم طلائع الرموز هم الرموز الأساسيون، الأنبياء والرسل هم في واقعهم العملي والسلوكي، وحركتهم في الحياة، وقيامهم بالمشروع الديني؛ لأنه عادةً ومن ضمن الوظائف الأساسية للرسل والأنبياء أنهم ليسوا فقط مبلِّغين بالكلام والحديث والبيان، بل عادةً هم يعملون هم على إقامة تلك المبادئ، والقيم، والأخلاق على إقامة الدين بتفاصيله الأخلاقية وغيرها.

فهم يعملون على إقامة الدين وبالتالي: يتحركون في إطار مشروع عملي للنهوض بالدين في واقع الناس وفي واقع الحياة، الأنبياء والرسل في المقدمة[2].

وبعد الأنبياء ورثتهم الحقيقيون

ومن بعد الأنبياء والرسل أكيد هناك امتداد لورثتهم الحقيقيين الصادقين الذين يمثلون حلقة الوصل، حلقة الوصل المأمونة من الرموز والأعلام والعظماء والهداة، حلقة الوصل المأمونة التي يمكن الوثوق بها والاطمئنان إليها في أنها هي ستقدم الدين على نحوٍ صحيح، وأنها هي من يجب أن ترتبط بها الأمة في ظل المشروع الديني من موقعها في القيادة، وهكذا هو الحال مع علي - عليه السلام - بمنزلة هارون من موسى، واقعه من محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) بكماله الإيماني العظيم، ومؤهلاته العالية، بمعنى أنه ليس مجرد وظيفة أو منصب هكذا

(١) من ذكرى استشهاد الإمام علي ١٤٣٤هـ.
(٢) المصدر السابق.

أو وسام شرف أُعْطِيَهُ الإمام علي هكذا، لا، عن جدارة بعد أن أعطاه الله المؤهلات العالية الكبيرة العظيمة الراقية على المستوى الإيماني، والتربوي، والمعرفي، والقيمي، والأخلاقي ليكون بمستوى هذا المقام العظيم، ليكون هو امتداد الهداية، وحلقة الوصل مع محمد - صلوات الله عليه وعلى آله - مع رسول الله وخاتم أنبيائه. الرسول قال: «إلَّا أنه لا نبي بعدي». علي لا يؤدّي هذا الدور كنبي، لا؛ لأن النبوة خُتِمَت بخاتم الأنبياء وسيد الأنبياء رسول الله محمد - صلوات الله عليه وعلى آله - ولكنه يؤديه من موقعه في كمال إيمانه كوزير، كوصي، يؤديه من موقعه في كمال الإيمان ليكون هو من يتحرك بهذه الأمة وهو يربي وهو يعلم وهو يرشد وهو يقدم مفاهيم هذا الدين وهو يجسد مبادئ هذا الدين في الواقع العملي وهو يجهد ويجاهد للحفاظ على مفاهيم هذا الدين كي لا تتغير بفعل تحريف المحرفين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين[1].

الإمام علي أُعِدَّ في مسيرة حياته لهذا الدور

الإمام علي - عليه السلام - حظي في مسيرة حياته بمسارٍ متميز يؤهله لهذا الدور لأنه مقام مهم، مقام كبير، ومقام عظيم يحتاج إلى عناية خاصة وتربية فريدة ومتميزة وهذا ما كان، لقد شاء الله سبحانه وتعالى أن يكون من يتولى تربية علي منذ طفولته المبكرة هو رسول الله - صلوات الله عليه وعلى آله - الرسول - صلوات الله عليه وعلى آله - أراد أن يرد الجميل إلى عمه أبي طالب؛ لأن أبا طالب قام بدور أساسي في كفالة النبي وتربيته بعد وفاة جده عبد المطلب، وبتدبيرٍ من الله سبحانه وتعالى تولى رسول الله - صلوات الله عليه وعلى آله - هو تربية وتنشئة الإمام علي منذ طفولته المبكرة، فسلّمه والده أبو طالب إلى النبي - صلوات الله عليه وعلى آله - وكان ذلك ما قبل النبوة، فالنبي تولى هو منذ طفولة علي المبكرة التربية لهذا الرجل وأعدّه إعدادًا متميزًا، وشرح الإمام - عليه السلام - أجواء وواقع هذه التربية والعناية الكبيرة به من جانب الرسول - صلوات الله عليه وعلى آله - فقال: «وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وآله - بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ، وَالْمَنْزِلَةِ الْخَصِيصَةِ: وَضَعَنِي فِي حِجْرِهِ وَأَنَا وَلِيدٌ يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ، وَيَكْنُفُنِي فِي فِرَاشِهِ،

(١) من ذكرى استشهاد الإمام علي ١٤٣٤هـ.

وَيُمِسُّنِي جَسَدَهُ، وَيُشِمُّنِي عَرْفَهُ[1]، وَكَانَ يَمْضَغُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ، وَمَا وَجَدَ لِي كَذْبَةً فِي قَوْلٍ، وَلاَ خَطْلَةً[2] فِي فِعْلٍ». [3] وهذه نقطة مهمة جدًا، أنه بمثل ما حظي الإمام علي - عليه السلام - بعنايةٍ خاصة من جانب الرسول واهتمامٍ كبير بتربيته وإعداده وتهذيبه[4].

الإمام علي نفسه كان مهيأ لهذا الدور

الإمام علي نفسه كذلك هيأه الله لأن يكون لديه قابلية عالية، قابلية عالية لهذه التربية، لو لم يكن لدى الإمام علي نفسه فيما هيأه الله له قابلية كبيرة لمستوى التفاعل الكبير مع هذه العناية من جانب الرسول، لما أثمرت تلك الثمرة الكبيرة؛ لأنه مثلاً قد تحرص على أن تهتم بشخص معين أو بابنك مثلًا لتربيه تربية، تحرص تبذل جهودًا كبيرة؛ ولكن ترى النتائج محدودة؛ لأن مستوى القابلية لدى المتلقي محدودة مثلًا، لكن الإمام علي لا، كان مستوى القابلية كبيرًا لديه، وتفاعله هو، وهو من الله مهيأ لأن يتفاعل بشكلٍ كبير، فكان كل جهد تربوي من رسول الله يثمر في الإمام علي ثمرةً عظيمة، يترك فيه أثرًا بليغًا، يحقق نتائجه فيه «وَمَا وَجَدَ لِي كَذْبَةً فِي قَوْلٍ، وَلاَ خطلةً في فعل» استقامة عالية تفاعل كبير وتأثر عظيم، ثم يحكي الإمام - علي عليه السلام - بفعل هذا الارتباط القوي، هذا الارتباط المتميز، هذا الاندماج الكبير في حياة النبي، يحكي عن واقع النبي نفسه - صلوات الله عليه وعلى آله - «وَلَقَدْ قَرَنَ اللّهُ تَعَالَى بِهِ - صلى الله عليه وآله - مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيمًا أَعْظَمَ مَلَكٍ مِنْ مَلاَئِكَتِهِ يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ المَكَارِمِ، وَمَحَاسِنَ أَخْلاَقِ الْعَالَمِ، لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ» الرسول نفسه حظي بتربية عظيمة جدًا، وهو كذلك كان مهيأ بشكل عظيم جدًا، لا أحد يساويه من البشر فيما هيأه الله له من التأثر والتقبل، فالنبي حظي برعاية خاصة من الله في التربية، أن قرن الله به ملكًا عظيمًا من ملائكته، يهتم بتربيته بتعليمه بتهذيبه بتوجيهه، وهذا الرجل الذي تولى الله

(١) عَرْفه - بالفتح -: رائحته الزكيّة.
(٢) الخَطْلَة: واحدة الخَطَل - كالفرحة واحدة الفرح - والخطل: الخطأ ينشأ عن عدم الرويّة.
(٣) نهج البلاغة، ج ١ ص ٣٠١.
(٤) من ذكرى استشهاد الإمام علي ١٤٣٤هـ.

تربيته وأنزل ملكًا من ملائكته ليؤدي هذا الدور أيضًا تولى هو تربية علي، يواصل الإمام علي - عليه السلام - ويشرح لنا تلك الأجواء التربوية الرائعة فيقول: «وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ[1] أَثَرَ أُمِّهِ، يَرْفَعُ لي فِي كُلِّ يَوْم عَلَمًا[2] مِنْ أَخْلاقِهِ، وَيَأْمُرُني بِالاقْتِدَاءِ بِهِ».

تربية مستمرة يومية عناية خاصة، اهتمام كبير، تنشئة على مكارم الأخلاق منذ الطفولة. ومما تميز به الإمام علي - عليه السلام - أنه وبالاختلاف مع بقية المسلمين في عصر النبي - صلوات الله عليه وعلى آله - لم يحدث أبدًا بأن تدنس بدنس الجاهلية لا بشركها ولا بقذاراتها ولا بباطلها، بفعل هذا الاختصاص، هذه العناية، هذه التربية، هذا الارتباط الوثيق -منذ أن كان طفلًا صغيرًا- بالنبي - صلوات الله عليه وعلى آله - هكذا يقول: «يَرْفَعُ لي فِي كُلِّ يَوْم عَلَمًا مِنْ أَخْلاقِهِ، وَيَأْمُرُني بِالاقْتِدَاءِ بِهِ. وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَة بِحِرَاءَ[3]، فَأَرَاهُ وَلاَ يَرَاهُ غَيْرِي، وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي الإِسْلاَمِ غَيْرَ رَسُولِ اللّٰهِ - صلى الله عليه وآله - وَخَدِيجَةَ وَأَنَا ثَالِثُهُمَا، أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرِّسَالَةِ، وَأَشُمُّ رِيحَ النُّبُوَّةِ».

فكان الإمام علي - عليه السلام - بفعل هذه التربية العظيمة والإعداد العالي والعناية الخاصة ارتضع الرسالة ارتضاعًا، تعلم الأخلاق، عاش أجواء الهداية الإلهية والاختصاص الوثيق والارتباط القوي جدًا بالرسول - صلوات الله عليه وعلى آله - وواكب الإسلام من يومه الأول فكان أول المؤمنين برسول الله - صلوات الله عليه وعلى آله - وتوجه في بقية حياته منطلقًا بانطلاقة متميزة، ليسهم إسهامًا كبيرًا، عظيمًا، متميزًا في إقامة الرسالة الإلهية، في إقامة الدين بجهاده المرير، وما بذله من جهود كبيرة وهو يجاهد ويقاتل مع رسول الله - صلوات الله عليه وعلى آله - موظفًا ما منحه الله من مؤهلات عالية على المستوى الإيماني وعلى المستوى الفطري بما أعطاه الله من شجاعة فائقة وقدرات قتالية متميزة ازدادت وعظُمَت بالإيمان نفسه، بفعل الإيمان نفسه فكان فارس الإسلام ورجل الإسلام وبطل الإسلام الذي تصدّى في كل ميادين القتال وفي ساحات الصراع

(١) الفَصيل: ولد الناقة.
(٢) عَلَمًا: أي فضلًا ظاهرًا.
(٣) حِراء بكسر الحاء: جبل على القرب من مكة.

لصناديد الكفر وأبطال الشرك والطغاة والمستكبرين بكل ما كانوا يمثلونه من إمكانات وقدرات وتحدٍّ ضد الإسلام وضد أهله[1].

المسلمون مجمعون على جلالة وقدر الإمام علي

الإمام علي عليه السلام هو رمز إسلامي وعظيم من عظماء الأمة الإسلامية بكلها، هذا أمر لا شك فيه، ولا نقاش فيه، ولا إشكال فيه، فسواء في المدرسة الشيعية أو في المدرسة السنية الكل يجمع على جلالة قدره وعظيم مقامه، والنصوص المهمة التي وردت بشأنه عليه السلام، تناقلها الفريقان. كما يقال في التعبير. في التراث الإسلامي، وتناقلتها الأمة وتوارثتها جيلاً بعد جيل.

فليس الحديث عنه محط إشكال، وإن حاول البعض وبالذات في هذا الزمن، يحاول التيار الوهابي التكفيري أن يجعل الحديث عن الإمام علي عليه السلام محط إشكال ومحط جدال وأن يثير حساسية بالغة وشديدة في هذا الجانب، وهذا شيء يجب أن تتظافر جهود الأمة بكلها في التصدي له لأنه باطل محض لا مبرر له أبدا.

يسعى التيار الوهابي التكفيري إلى أن يجعل الحديث عن الإمام علي محط إشكال

عندما يسعى التيار الوهابي التكفيري في ظل مسعاه إلى إثارة النزاع بين المسلمين والصراع بين المسلمين، والاقتتال بين المسلمين تحت العناوين المذهبية وتحت العناوين الطائفية يحرص في ظل هذا المسعى وفي ظل هذا التوجه وفي نفس هذه الطريق إلى أن يجعل من محبة الإمام علي عليه السلام ومن الحديث عنه، لأن يجعل من ذلك إشكالية كبيرة جدًّا، بل أن يجعل من محبة الإمام علي عليه السلام جريمة لا تساويها أي جريمة في العالم، فأن تكون صهيونيًّا يهوديًّا، إسرائيليًّا، أن تكون من أي وادٍ أو مشربٍ في هذه الحياة لا يثيرون الإشكال عن حقيقة توجهك أو طبيعة انتمائك بقدر ما يثيرونه حول مسألة المحبة للإمام علي عليه السلام.

(١) من ذكرى استشهاد الإمام علي ١٤٣٤هـ.

فيأتون بالحديث الدائم بنبزهم المعروف وكلامهم المعروف: الرافضة المجوس، الرافضة المجوس، إلى آخره، بشكل دائم ومستمر وهستيري وجنوني، ثم يحاولون أن يخيفوا الآخرين حتى في الوسط السني، مع أن المحبة للإمام علي عليه السلام والحديث عن فضائله، والحديث عن مناقبه حفل بها التراث السني بقدر ما حفل بها التراث الشيعي، في أهم المصادر في التراث السني، في أهم المصادر الحديثية، هناك تجد وأنت متصفح لها أهم النصوص الواردة بشأن الإمام علي عليه السلام، الحديث العظيم الحديث الراقي، الحديث الذي يتحدث بودية وإجلال وتعظيم واحترام للإمام علي عليه السلام.

بل تجد كتباً في التراث السني مفردة عن مناقب الإمام علي عليه السلام وعن فضائل الإمام علي عليه السلام، وتجد الحديث عنها والتأكيد على صحتها، و، و... إلى آخره، وهذا شيء معروف، ولكن هم بالنسبة للتيار الوهابي التكفيري هو حرص على أن يقدم نفسه على أنه هو السنة وأهل السنة ويعبر عن السنة، ثم يأتي بتوجهات مناقضة ومختلفة كليًا في كثير من الأمور في الإسلام، لا تمت بصلة ولا تعبر بأي حال من الأحوال عن حقيقة ما كان عليه التيار السني على مر التاريخ، قرون وأجيال متعاقبة.

فحرص هذا التيار الفتنوي على أن يحيط مسألة الإمام علي عليه السلام وعن مناقبه عن فضائله، عن مقامه عن دوره الكبير في الأمة، أن يحيطه بإشكالية كبيرة، بحساسية مفرطة، بعداوة شديدة جدًا.

بغضهم للإمام علي شاهد على أنهم منافقون

وهذا شاهد واضح أنهم في حقيقة أمرهم منافقون لأن هذه سمة لازمة لمبغض الإمام علي عليه السلام، صفة لازمة نطق بها النبي (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) عن الله وأعلم بها أمته أنه: لا يبغض عليًا إلا منافق، هذه صفة لازمة لا يمكن أن تجحدها إلا وأنت مكذب للرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) لا يبغضه إلا منافق، فلن يتحسس ويغتاظ ويغضب وينفعل ويستاء ويتعقد ويعتبر ذلك مشكلة لا أكبر منها عندما تأتي لتتحدث عن الإمام علي بما قال فيه الرسول مما نقلته الأمة بكلها، لن يفعل ذلك إلا منافق.

ولهذا تعتبر من أهم السمات والعلامات التي يتميز بها المنافقون على مر التاريخ منذ عهد النبي صلوات الله عليه وعلى آله، بغض الإمام علي عليه السلام، أبو سعيد الخدري أحد الصحابة الكبار قال (ما كنا نعرف منافقي الأنصار إلا ببغضهم لعلي بن أبي طالب) علامة قريبة علامة واضحة، وعلامة جلية، بسرعة تحدث حالة من الفرز السريع.

فإذاً الإشكال والحساسية البالغة والعقد الشديدة والبغضاء وحالة الشحن الطائفي والعداوة المفرطة التي يثيرها التيار الوهابي التكفيري تجاه هذا الأمر لا ينبغي أبداً أن تتأثر بها الأمة ولا أن تقبل بها الأمة ولا أن ترضى بها الأمة ويجب أن يتصدى لها الجميع سنة وشيعة؛ لأن علياً رمز إسلامي للأمة بكلها، لفرق الأمة بكلها، وليس رمزاً خاصاً بمذهب معين أو طائفة معينة، محبته سمة إيمانية، أينما أنت لا يصح لك إيمانك إلا بمحبة الإمام علي بن أبي طالب، وإذا كنت مبغضاً له فأنت متصف بصفة نفاقية.

النظام السعودي عمل على اختراق السنة والشيعة بالفكر الوهابي التكفيري

نلحظ أيضاً أن التوجه الذي عليه النظام السعودي وهو النظام الذي يتبنى التوجه التكفيري الوهابي وفرخ له في أوساط الأمة ودعمه وموله ونشره، ومكن له من خلال دعم إعلامي ومادي هائل جداً وسياسي أيضاً، استغل نفوذه السياسي على بعض الحكومات وبعض الأنظمة أن تفتح للتغلغل الوهابي في الشعوب، شعوبنا كلها كان هذا التيار غريباً عليها، وغير موجود فيها، هو ظاهرة طرأت في الساحة الإسلامية وتغلغلت فيها وانتشرت فيها، بفعل هذا الدعم، بفعل (البترودولار) هذه الأموال الهائلة التي صدرته إلى العالم الإسلامي، صدرته بعد الجزيرة (في دول الخليج)، صدرته إلى اليمن، صدرته إلى مصر، صدرته إلى دول المغرب العربي، صدرته إلى الشام، ولم يكن موجوداً فيها نهائياً، واكتسح الساحة وتغلغل في مناطق كثيرة.

تأثر من تغلغله هذا التيار السني، استهدف الساحة السنية، استهدف أتباع المذاهب الأربعة واستهدف الساحة الشيعية، واستهدف كل فرق الأمة وكل ساحة

الأمة وتغلغل فيها مدعوماً بشكل كبير ماديًا ومدعوماً بشكل كبير سياسيًا، كثير من الحكومات والأنظمة ناصرته، أعطيت له أهم الوزارات، كان التيار الوهابي التكفيري دائما يُسلّم وزارة الأوقاف والإرشاد ووزارة التربية والتعليم حتى يتمكن من خلال هاتين الوزارتين إلى أن يتحرك بشكل رسمي.

إضافة إلى تغلغله في الوسط الشعبي ونشاطه الشعبي، وحظي بحماية، ودعم أحياناً دعم أمني ودعم عسكري، دعم من الحكومات في البلدان تناصره، كان في بعض البلدان يذهب إلى المساجد ومعه فرق عسكرية أو فرق من الشرطة، فرق تابعة للداخلية تساعده في عملية اقتحام المساجد، والحديث عن هذا الجانب يطول، والمآسي فيه شملت كل البلدان العربية والإسلامية، شملت اليمن، شملت المغرب العربي، شملت مصر، شملت الشام، حديث واسع عن هذه الاقتحامات والسيطرة على المساجد واستحواذ على المنابر، ومن ثم السيطرة على المناهج الدراسية.

هذا شيء حرص عليه النظام السعودي: أن يتحكم في سياسة المناهج الدراسية فيما تتضمنه من ثقافة من معارف دينية وتاريخيه، عندنا في اليمن في الماضي على مدى عشرات السنين، تحكمت السياسة السعودية وتحكمت النزعة التكفيرية الوهابية على صياغة المناهج في المدارس والجامعات.

تجد مثلاً في دول الخليج العربي في أكثرها في النظام السعودي نفسه، المنهج المدرسي هناك في المدارس والجامعات وكثير أيضاً من الرسائل، رسائل التخرج الجامعي، في مراحلها المتعددة والمتنوعة وصلت ليس فقط إلى مستوى إثارة حساسية كبيرة عن الإمام علي عليه السلام وتقديمه كشخصية إشكالية، بل وصلت إلى حد الإساءة إلى الإمام علي عليه السلام، رسائل تخرج في المناهج أو في الجامعات السعودية كان بعض هذه الرسائل يتطاول على الإمام علي عليه السلام، يسيء صراحة إلى الإمام علي عليه السلام، ينتقص من مقام وقدر هذا الرجل العظيم في الإسلام.

النظام السعودي الوهابي يسعى إلى إقصاء الإمام علي من ثقافة الأمة

فأصبحت السياسة التي يتبناها النظام السعودي، السياسة على المستوى الثقافي والتعليمي، تحرص دائماً إلى إقصاء الإمام علي عليه السلام نهائيًّا من المناهج، وإذا كان ثمة حديث بسيط جدًّا عنه، يقدمه أحياناً كشخصية اعتيادية ليس لها أي اعتبار في التاريخ الإسلامي نهائيًّا.

أما الأحاديث التي تضمنها التراث الإسلامي، تضمنتها أهم الكتب في الحديث لدى حتى إخوتنا من أهل السنة، لديهم هم مجاميعهم الحديثية الرئيسية، أهم تلك النصوص لا تجد لها أثراً، لا تكاد تجد لها أثراً أبداً في المناهج الجامعية، سواء في السعودية أو في اليمن أو عدد من البلدان، وكأن النبي لم يتحدث بها أصلاً، وكأنه لا وجود لها في التراث الإسلامي نهائيًّا.

تأتي الطامة الكبرى على من يقتصر اعتمادهم في ثقافتهم الدينية والتاريخية على ما احتوت عليه المناهج الدراسية والجامعية سواء عندنا في اليمن أو في السعودية أو في كل البلدان التي خضعت للسياسة السعودية في مناهجها التعليمية، طامة كبيرة جدًّا يمكن للطالب أن يقطع مشواره التعليمي من المرحلة الأساسية، إلى الابتدائية والأساسية والثانوية والجامعية ثم يتخرج وهو يجهل بمثل هذه النصوص المهمة، النصوص التي تدل على أن للمسألة علاقة بإيمانه، علاقة بثقافته، علاقة بجوانب أساسية يحتاج إليها في دينه.

فيخرج وهو يجهل مقام الإمام علي عليه السلام، يخرج من الجامعة والبعض يصل إلى درجة أن يكون معلماً في الجامعة، ولكن لأن ثقافته وعلومه اقتصرت على ما احتوت عليه تلك المناهج التي خضعت لاعتبارات سياسية، وتأثيرات سياسية، فكان مفلساً ومنعدم الثقافة والمعرفة بمقام الإمام علي عليه السلام الرجل العظيم في الإسلام.

والبعض لا يأتي فيما بعد- مثلا ما بعد دراسته الجامعية، أو ما بعد دراسته في كل المراحل- لا يأتي لينفتح على التراث الإسلامي، ليطلع الاطلاع الواسع، لا، يقتصر على ما قد عرفه واطلع عليه من خلال تلك المناهج.

ولذلك أنا أقول لكل الثقافيين ولكل المثقفين، لكل التربويين، لكل المتعلمين في أبناء أمتنا حذاري حذاري من الاقتصار على المناهج الجامعية والمناهج الدراسية الرسمية، حذاري من ذلك، هذه كارثة، هذا سيكون مصدرًا لكثير من الآفات، لأنه من المعلوم قطعاً وبكل تأكيد ويقين وثبوت أن المناهج الدراسية في عالمنا العربي في المستوى الرسمي خضعت بلا شك للتأثيرات السياسية، حكمتها سياسات معينة وتوجهات معينة فقررت ما يدرج وقررت ما يحذف.

كيف مسخ الوهابيون التاريخ

تأتي إلى المعارف الدينية، تأتي إلى المعارف التاريخية، فتجد هناك الكثير مما حذف والأمة بحاجة إلى الاطلاع عليه، دينها قيمها، أخلاقها، واقعها العملي كذلك مسئوليتها الحضارية تفرض عليها أن تطلع على ذلك وقد حُذف نهائيًّا وهناك ما ضُمِّن في هذه المناهج مما لا أصل له لا صحة له إما ليس من الحقائق التاريخية هو افتراء وتزوير على التاريخ أو هو افتراء وتزوير على المعارف الدينية وعلى الإسلام.

فلذلك يجب التعاطي بحذر مع المناهج الدراسية الرسمية التي خضعت للسياسات الرسمية التعاطي معها بحذر والنظرة إليها من هذا المنظار باعتبارها شابها فيما تضمنته أخطاء كبيرة وتزييف كثير وباعتبارها أيضًا ناقصة، لم تتضمن أشياء مهمة جدًّا بات اليوم يحذف منها أشياء كثيرة فيما يتعلق بالتاريخ المعاصر، حُذف من المناهج الدراسية ما بعد الألفين وبداية الحملة الأميركية في الـ ٢٠٠١ والحملة الأميركية التي ركزت أيضاً على المناهج الدراسية فحُذف منها أشياء كثيرة تتعلق بالخطر الأميركي والإسرائيلي والعربي والاستعماري على عالمنا الإسلامي فهذه كمقدمة وتنبيه[1].

ما ورد في مكانة الإمام علي ودوره ثابت في أهم مصادر الأمة

الإمام علي عليه السلام عندما نأتي إلى الحديث عنه من خلال النصوص الدينية التي نقلتها الأمة، الأمة وليس مذهباً معينا وليس فئة أو طائفة معينة بل

(١) من ذكرى استشهاد الإمام علي ١٤٣٨هـ.

نقلتها أهم مصادر الأمة لدى السنة لدى الشيعة أهم المصادر في التراث الإسلامي وبموثوقية عالية وبنصوص متظافرة وأصبحت مصنفة بما يقال عليه في المتعارف عليهم بين العلماء والمحدثين بالتواتر يعني تواترت نقلها الرواة من أبناء الأمة أعداد كبيرة من الرواة أطراف كثيرة من أبناء الأمة وحفظتها الأمة جيلاً بعد جيل.

نأتي إلى حديث شهير عظيم مهم هو ما يسمى بحديث «المنزلة» هذا النص عن النبي (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) من أهم النصوص التي نتعرف من خلالها على موقع الإمام علي عليه السلام في الأمة، ثم ندرك بعد ذلك الجناية التي جنتها علينا السياسة الرسمية في المناهج التعليمية حين تتجاهل مثل هذا النص بأهميته في دلالته، حديث المنزلة بهذه التسمية المشهورة في التراث الإسلامي هو قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأمير المؤمنين علي عليه السلام: «**أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي**»، لاحظوا على أهمية هذا النص على مدلوله الكبير جدًا، هذا الحديث رواه أبناء الأمة علماء الأمة محدثو الأمة في أهم المصادر لدى الأمة، ويجمع علماء الأمة على صحته وعلى أنه حديث ثابت قطعي متواتر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وهنا في هذا النص النبي (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) حدد وحسم مقام الإمام علي عليه السلام في الأمة، موقعه في الأمة، ويجب علينا نحن كمسلمين أن ننظر إلى الإمام علي عليه السلام بهذا المنظار إن كنا نؤمن بالله ورسوله وبالنبي وبما يقوله النبي وبما صح لنا جميعاً وثبت لنا جميعاً عن النبي (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) وهو يقول أن منزلة الإمام علي من النبي (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) «**بمنزلة هارون من موسى**» كلنا نعرف منزلة هارون من موسى.

أنه ما من أحد في أمة موسى عليه السلام وفي أصحاب موسى عليه السلام كان له من موسى منزلة هارون منه، هارون هو الوزير هو المعين هو المعاضد هو المناصر في المرتبة العالية، «**إلا أنه لا نبي بعدي**» المستثنى فقط من هذه المنزلة هو النبوة لأن النبي محمداً صلوات الله عليه وآله وسلم هو خاتم النبيين.

فالإمام علي عليه السلام أولاً في مقامه وفي مرتبته في الأمة هذه هي هذه المرتبة، هو أعلى هذه الأمة شأناً ومقاماً ودوراً عظيماً في الإسلام في نصرة نبي الإسلام في معاضدة نبي الإسلام بهذه الدرجة ولهذا المستوى بمنزلة هارون من

موسى ثم في كماله الإيماني وكماله في المواصفات الأخلاقية والإيمانية وفي المواصفات المتعلقة بالمسؤولية، لأنه ما من أحد في أمة موسى كان في مستوى كماله الإيماني بكل ما يدخل ضمن ذلك ويندرج ضمن ذلك بمستوى هارون، هذا أمر لاشك فيه ولا نقاش فيه.

للأسف في بعض المناطق في بعض الأماكن في بعض البلدان يصبح الإنسان فيها دكتوراً أو معلماً في الجامعة وهو بعد لم يطلع على مثل هذا النص خاصة في زمن فيه كسل كبير وقصور كبير في الاطلاع على التراث الإسلامي فيأتي البعض لا معرفة له بذلك أو أنه لا يتفاعل مع هذا النص.

هذا نص يفرض علينا كمسلمين كمؤمنين لنا هذا الانتماء الإسلامي ننظر إلى الأمور الدينية من هذا المنظار النبوي، من المنظار الذي رآه النبي فيه وتحدث عنه النبي به فننظر إلى الإمام علي عليه السلام بهذه الجلالة بهذا القدر بهذه العظمة بهذه الأهمية بهذا المقام بهذا المستوى. هذا ما يجب أن يكون هو الأثر فينا، التفاعل من جانبنا مع نص كهذا.

أم أن المسألة تكون مجرد عبارات نتلفظ بها ليس لها أي أثر في أنفسنا ولا في نظرتنا ولا في ثقافتنا ولا في فهمنا إنما مجرد عبارات نقول بها على ألسنتنا، «**أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي**» ثم أنت ذلك الذي تنظر للإمام علي عليه السلام وكأنه مجرد شخصية اعتيادية صحابي حاله حال أي واحد من الصحابة. على حسب التعبير والمصطلح المنتشر. لا.

يجب أن ننظر من هذه النظرة من النظرة النبوية أن نكون متأثرين بنبي الإسلام لا أن نكون متأثرين بالتيار الوهابي التكفيري المشؤوم الضال الذي يأتي لينشر حساسية بالغة حتى عن هذا المقام العظيم، من ينظر بالعين الوهابية هي عين عمياء مظلمة لا ترى النور ولا ترى البصيرة وبالتالي تطلع دائماً نظرة سوداوية إلى رموز الإسلام العظام إلى كل ما هو عظيم ومهم وجميل ومفيد في الإسلام.[1]

فالرسول - صلوات الله عليه وعلى آله - حينما حدّد مقام الإمام علي - عليه السلام - وشبهه بهذا التشبيه البليغ بمقام هارون من موسى بمنزلة هارون من

(١) استشهاد الإمام علي ١٤٣٨هـ.

موسى، وكُلُّنا يُدرك، والجميع يعرف أن هارون - عليه السلام - في منزلته من موسى هو الرقم الثاني في إطار أمة موسى، يعني لا يفوقه في إيمانه، في كماله الإيماني، في دوره الرسالي إلاّ أخوه موسى الذي هو فوق مستواه، وبالنسبة لهارون كان لأخيه موسى الوزير، والمُعين، والمصدِّق، والمؤيد، والمساند. يعني كان له دور محوري أساسي رئيسي، ومهم جدًا في إطار الرسالة الإلهية أمام العدو وفي الداخل نفسه أمام قومه. فالإمام علي - عليه السلام - تتحددُ لنا معالم شخصيته الإيمانية، وكماله الإيماني العظيم، واستيعابه للرسالة الإلهية في مستوى إيمانه بها، علاقته بها، تجسيده لمبادئها وقيمها من خلال هذا النص المهم، إضافةً إلى دوره فيما يتعلق بالرسالة الإلهية والدين الإلهي، دوره المحوري، والرئيسي، والأساسي، والمهم جدًا من هذا الموقع بمنزلة هارون من موسى، كوزير معاضد مساند، يمثِّلُ الامتداد لهذه الرسالة في حمايتها، في تبليغها، في تبيينها، في إقامتها في الحفاظ على مفاهيمها[1].

النظرة الوهابية التكفيرية الظلامية هي نظرة تشوه حتى نبي الإسلام

النظرة الوهابية التكفيرية الظلامية هي نظرة تشوه حتى نبي الإسلام في مقامه الأعلى والأعظم والأسمى والأكبر، نظرة تسيء إلى النبي بكله دعك عن تلامذته دعك عن أتباعه دعك عن أعوانه دعك عن الإمام علي عليه السلام في مقامه كوزير ومناصر وعظيم في هذا الإسلام.

هذا أحد النصوص، هذا النص في ثقافتنا الدينية يجب أن نعلمه أبناءنا يجب أن يتعلمه الطلاب يجب أن يسمع به الجميع لا يجوز أن يكون هذا النص غائباً بفعل التغييب له في المناهج الدراسية الرسمية أو بفعل السياسات التي تحكم البرامج التثقيفية في وسائل الإعلام؛ لأن وسائل الإعلام كذلك معظمها في العالم الإسلامي تأتي وتتجاهل كل هذا.

هذا لا علاقة له حتى بالسنة ولا بأهل السنة ولا بالتراث السني؛ لأن التراث

(١) من ذكرى استشهاد الإمام علي ١٤٣٤هـ.

السني كان له إسهام كبير جدًّا في نقل هذه النصوص وفي المحافظة عليها جيلاً بعد جيل، هذه عقدة وهابية يجب أن تكون منبوذة ومرفوضة لدى الأمة بكلها.

من الذي يجب أن نتطلع إليه كأمة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم

حديث آخر كذلك تناولته الأمة وهو من الأحاديث المشهورة جدًّا بين الأمة حديث «لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق» وحديث آخر «لا يبغضك مؤمن ولا يحبك منافق» لاحظوا هذه الأهمية، من لوازم الإيمان محبة الإمام علي عليه السلام، فلا يكتمل إيمانك إلا بهذا، ولا يتحقق إيمانك إلا بهذا، أنت في الإسلام في الدين الإسلامي أمامك في الإسلام ارتباطات واضحة أمامك منهج تسير عليه، أمامك رموز وقادة وهداة تتأثر بهم تقتدي بهم تتعلم منهم تستفيد منهم هم قدموا لك هذا الدين وحفظوه لك نصاً وقدموا فيه القدوة العملية وجسدوه واقعاً في حياتهم فقدموا أرقى صورة عن هذا الدين في واقع حياتهم.

هؤلاء الرموز تربطك بهم هذه الرابطة، رابطة أن تقتدي بهم أن تتأثر بهم أن ترى في تطبيقهم الإسلام القدوة لك أن تستفيد من معالمهم باعتبارهم حلقة الوصل.

نحن مثلاً في هذا الزمان كم بيننا وبين النبي صلى الله عليه وعلى آله؟ مئات السنين من نقل لنا الدين عبر الأجيال من جيل إلى جيل، ما بعد وفاة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم؟ من الذي نتطلع إليه كأمة بعد وفاة النبي ينقل لنا هذا الدين يقدم أرقى صورة عن كمال هذا الدين يقدم في واقعه الدلالة على الحق في أي مرحلة من مراحل اختلاف الأمة؟ نتطلع إلى الإمام علي بن أبي طالب، وإلا فما فائدة هذه النصوص ما فائدة أن يقول النبي في علي ما قال.

النبي لم يكن مهرِّجاً ومجرد رجل يصدر المديح هكذا يطلق العبارات الفضفاضة للإشادة بالآخرين بغية الرفع لمعنوياتهم والتشجيع لهم، لا، هو نبي يقول الحق عن الله، ينطق بالحق، وما ينطق عن الهوى لم يكن يخضع فيما يقوله لا لتأثيرات شخصية، ولا لعوامل قرابة، ولا لميول لها أي صلة بالهوى من قريب ولا من بعيد، ولم يكن يتقول على الله حاشاه ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى × إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم:٢-٣] وحينما يقول ما قاله عن الإمام علي عليه السلام هو يدرك أهمية هذا الدور للإمام علي عليه السلام من بعده لأنه سيرحل من الذي سيرث منه ويحمل منه روح الإسلام، قيم الإسلام، معارف الإسلام، حقائق الإسلام؟

وحينما تحصل حالة الاختلاف بين أوساط الأمة من الذي تتطلع إليه الأمة باعتباره الحلقة الأوثق والأرقى والأكمل والأعرف والأعلم وبدرجة الموثوقية العليا؟ يتطلع إلى الإمام علي عليه السلام وإلا ما قيمة هذه النصوص، فالإمام علي عليه السلام علاقتك به علاقة إيمانية كرمز إيماني.

أنت عندما تأتي لتتعرف على الإسلام في ثقافته في معارفه، الإسلام معلومات معارف وعلوم تتعرف على صلاتك على صيامك على حجك على زكاتك من أهم مصدر يوصلك بالنبي من هو باب مدينة علمه؟ عندما تأتي لترى الاختلاف بين أوساط الأمة فتبقى متحيراً من هو الذي تتطلع إليه كعلامة فارقة؟ الإمام علي الذي حبه إيمان وبغضه نفاق «**لا يحبك إلا مؤمن**».

فلاحظوا جريمة كبيرة والله جريمة أن يغيب مثل هذا النص في المناهج الدراسية البعض يصبح دكتوراً في الجامعة لم يطلع بعد على هذا النص؛ لأنه اقتصر في معارفه واطلاعه وفي ثقافته على المناهج الدراسية المحكومة بسياسات من جهلة ليسوا مؤتمنين على الأمة جهلة تحكموا وساسوا وقرروا وأخضعوا لاعتبارات مادية (فلوس) من السعودية وجاء توجيه لوزارة التربية والتعليم أو للمناهج الجامعية كيف تكون وظلمت بهذا أجيال من أبناء الأمة.

عليٌّ مع القرآن والقرآن مع علي

حديث آخر حديث «**عليٌّ مع القرآن والقرآن مع علي**» حديث يؤكد اقتران الإمام علي عليه السلام بالقرآن في مواقفه، في توجهاته، في مسار حياته، في معارفه، فيما يقدمه للإسلام، وعن الإسلام، فهو مقترن بالقرآن مواقفه مواقف القرآن، معارف القرآن، سياسته سياسة القرآن، منهجه في الحياة قرآني، تَطَلَّعْ إلى الإمام علي عليه السلام من هذا الموقع «**علي مع الحق والحق مع علي**».

وهكذا نجد هناك الكثير والكثير من النصوص حديث الراية في قصة خيبر عندما قال النبي صلوات الله عليه وعلى آله: «**لأعطين الراية غداً رجلاً يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله كراراً غير فرار يفتح الله على يديه**»، لاحظوا هذا النص كيف يتحدث عن الإمام علي عليه السلام يحبه الله ورسوله، كيف لا نحب هذا الرجل العظيم الذي حظي بالمحبة المؤكدة-أخبر عنها الرسول-من

الله ومن رسوله؟! كيف لا نحبه؟! وكيف لا ننشد إلى شخصية بهذه العظمة بهذا المستوى بهذا القدر الكبير والمنزلة الرفيعة العالية؟! ولماذا سيحبه الله ورسوله؛ إلا لكماله الإيماني؟

هذا النص يقطع لنا قطعاً على باطن وسريرة علي وعلى نيته على سريرته وعلانيته، رجل إيمانه محقق يشهد له الله ويشهد له رسوله بكمال إيمانه. هذه المحبة هي وسام شرف وهي في نفس الوقت هي دليل قاطع على كماله الإيماني على عظمته الرفيعة عند الله سبحانه وتعالى منزلته العالية عند الله سبحانه وتعالى ومرتبته الإيمانية العالية، ويحب الله ورسوله كذلك نفس الشيء شهادة له بمحبته لله ورسوله بكل ما يلحق بها من كمال إيماني ومواصفات إيمانية ثم نجد الكثير من النصوص -هذه بعض منها-، هناك كتب بأكملها حتى في التراث السني هناك كتب بأكملها، اسمها كتب المناقب كتب الفضائل مقام علي عليه السلام في الأمة قال عنه ابن عباس رضوان الله عليه قال: (ما من آية فيها ثناء على المؤمنين إلا وعليٌّ أميرها وشريكها) هو صالح المؤمنين هو أكمل المؤمنين كل ثناء على المؤمنين ينطبق عليه[1].

❊❊❊

(١) استشهاد الإمام علي ١٤٣٨هـ.

الإمام علي عليه السلام ومؤهلات الولاية

ما هو مفهوم السلطة في الإسلام؟

يقول السيد حسين - رضوان الله عليه -:

«السلطة في الإسلام هي أرقى بكثير مما عليه واقع البشر، أرقى بكثير في مهام من يلي أمر الأمة.. تجد أنه عندما تتأمل ولاية الله سبحانه وتعالى لشؤون عباده فولاية من يلي أمر الأمة هي امتداد لولاية الله، يجب أن يكون لديه رحمة، أن يكون لديه معرفة كيف يربي الأمة، كيف يبني الأمة، كيف يطور حياتها، كيف ينمي اقتصادها، كيف يزكي أنفسها، كيف يواجه أعداءها، أشياء واسعة جدًا جدًا.

هذه الجوانب الهامة جدًا هي الجوانب التي يحتاج إليها الناس، وهذه هي الجوانب التي لا يمكن لأي أحد من الناس أن يعملها، ويقوم بها حتى ولو كان مخلصًا. أما الجانب الآخر الذي يسمونه السلطة التنفيذية فبإمكان أي شخص يفوز بانتخابات، أو بانقلاب عسكري، أو عن طريق وراثة، أو بأي طريقة كان وصوله إلى الحكم، سيمارس الحكم، ويجلس ولو أربعين سنة، ولكن هل تجد له أثرًا في تربية الأمة، رعايتها، تنشئتها، بناءها بناء صحيحًا؟، لا تجد إلا العكس.

فالله سبحانه وتعالى كرم الإنسان ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾[الإسراء: ٧٠] فيجب أن يكون الحكم للناس بالشكل الذي يسمو بهم، يكون متناسبًا مع تكريم الله لهم، وليس بالشكل الذي يحطهم، ويقهرهم، ويذل نفسياتهم؛ ولهذا أصبح جانب كبير من المسؤولية على الأمة نفسها، على الناس أنفسهم؛ لأن القضية هنا إضافة إلى خبرة إدارية، وخبرة تربوية، وتوجيهية بالنسبة لمن يلي أمرها لا بد أن يكون لديها وعي، أن تعرف بأن من الأفضل لك أن تعيش في سلطة فيها مثل الإمام علي ‹عليه السلام› لا تخاف بأنه يمكن أن يظلمك، لا تخاف أنه بمجرد وشاية معينة إليه يمكن أن يسجنك، أو يقتلك، لا تخاف أن جواسيسه وراءك أينما ذهبت، لا تلمس أي خوف في نفسك، ولا أي شعور بقهر وإذلال ممن يحكمك، أليس هذا الذي يتناسب مع كرامة الإنسان؟.

الأمة هذه مسؤوليتها كبيرة، الهدى الذي قدم إليها مهمته بالنسبة لبناء النفسية مهمة عالية جدًا، يصل بالنفس إلى مستوى عالٍ جدًا، مهمتها في حركة هذا الدين لإيصاله إلى الأمم الأخرى، تحتاج إلى أن تربى على هذا النوع: تحمل نفوسًا كبيرة، نفوسًا كريمة، نفوسًا عزيزة، نفوسًا أبية، لا يكون قد أذلها، وحطها القهر، قهر التسلط.

لاحظ الآن عندما حكم العرب الكثير من حكامهم، الكثير منهم بسياسة القهر والتسلط، أنت هنا ضربت الأمة، لم تعد هذه الأمة صالحة لأن تدافع عن نفسها، ألفت القهر، ألفت الإذلال، ضعفت نفوسها، انهارت معنوياتها؛ لهذا يكون هناك أثر سيء جدًا، جدًا للتسلط على الناس؛ لأنه يؤدي إلى قهر أنفسهم فيضعفون في مواجهة العدو، ويضعفون عن حمل الرسالة العظيمة هذه التي أوكلت إليهم.

هذه القضية هي من أهم الأشياء، أن نعرف كيف نظرة الإسلام إلى قضية السلطة التي يتكالب عليها الناس، ويتسابق عليها الانتهازيون؟ لا يمكن أن تفهم القضية بشكل صحيح إلا أن تبدأ من عند الله سبحانه وتعالى فتعرف وهو يقول عن نفسه بأنه الملك، ألم يقل بأنه ملك؟ انظر إلى ملكه كيف هو، كيف ملكه، هل هو ملك تسلط وقهر وجبروت، أو ملك رعاية وتربية؟.

انظر إلى ولاية الله سبحانه وتعالى لأمر عباده، واعرف أن ولايته هنا عن طريق رسوله، أو الذين آمنوا، إنما هي امتداد لولايته، ويجب إذا لم تكن على هذا النحو، فليست امتدادًا لولايته، إذا لم يكن من يلي أمر الأمة يتعامل مع الناس بالشكل الذي يلمسه من خلال مظاهر ملك الله، مظاهر ولاية الله سبحانه وتعالى على عباده، معنى هذا ماذا؟ أنه لا يعتبر امتدادًا لولاية الله أبدًا، هو مفصول عن الله، وسيترك آثارًا سيئة في نفوس الناس، وفي واقع الحياة.

فهذا هو مفهوم الولاية في الإسلام، وهذه هي مهام الولاية في الإسلام، ليست فقط سلطة تنفيذية، سلطة أوامر ونواهي جافة، وتجبر وتسلط وقهر، وأشياء من هذه.

أولئك الذين جعلوها جائزة، فمن قفز على كتف، وعلى كاهل هذه الأمة تجب طاعته، وإن قصم ظهرها، وإن نهب أموالها، وإن داسها، تجب طاعته! فهذا ناتج عن قصور في فهم ولاية الأمر ما هي؟ ما هي مهمات من يلي أمر الأمة، وصل

الحال بهؤلاء إلى أن قالوا في الأخير هي: (رئاسة عامة) يجيّش جيوشًا، ويعيّن ولاة، ويعزل ولاة، ويقيم حدودًا، ويستلم زكاة، وانتهى الموضوع.

القضية أوسع من هذا بكثير، وإذا لم نفهم المسألة على هذا النحو، معنى هذا أننا جاهلون فعلًا بالله، وجاهلون بمثل هذه الآية نفسها: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ﴾ وليكم، أليست بعبارة مفردة ﴿اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي بالتأكيد أن ولاية رسوله وولاية الذين آمنوا. الذي هو الإمام علي ومن كان كمثل الإمام علي. تعتبر امتدادًا لولاية الله، هنا ستعرف أهمية ولاية الأمر في الإسلام بالنسبة للأمة، وأهميتها بالنسبة للدين، وأهميتها بالنسبة لإقامة الدين.

ليست القضية هل يجوز أن يكون من هؤلاء، أو هل يجوز أن يكون بشورى، أو يكون بانتخابات، أو أن يقفز بانقلاب عسكري، أو بأي طريقة كانت، ليست القضية حول هذا، هل يكون واحدًا، أو عشرة، أو عشرين. إن الإسلام لديه رؤية. إذا صحت العبارة. أن يحكم الأمة كلها، البشر كلهم؛ لذلك قدم رؤية أرقى رؤية لحكم العالم كله فضلًا عن إقليم من الأقاليم.

إلى أن يقول:

إذا أنت تفهم أن ولاية الأمر فقط تعني أي شخص يستلم السلطة، يجيّش جيوشًا فأيّ شخص يستطيع يجيّش جيوشًا، ويعيّن محافظين، ويزيل محافظين، أو أمراء، أو ولاة، على حسب منطق السلطة في أي زمن كان، أليس باستطاعة أي واحد أن يقوم بهذا العمل، وباستطاعة أي واحد يقسم الأموال لهذا، وهذا، وهذا، باستطاعة أي واحد يعمل على أن يسترضي كبار العشائر، ويعطيهم أموالًا كبيرة، على حساب مصالح الناس، أليس باستطاعة أي واحد أن يعمل هذه؟ أليست هذه مظاهر تتنافى مع ولاية الله؟.

إذًا فبالتأكيد أنه ليست قضية الولاية قضية فقط نختلف حول: هل يكون واحدًا أو اثنين، أو أن يكون هناك مؤسسات، أو تكون الطريقة بهذا الشكل أو ذاك حول ما يسمى نظام، أو هيكلية.. نعرف المهام أولًا وسنعرف من اللائق بهذا العمل». [1]

(١) الدرس الثالث والعشرون من دروس رمضان للسيد حسين بدر الدين الحوثي.

الروحية العالية التي كان يحملها الإمام علي عليه السلام

يقول السيد حسين - رضوان الله عليه -:

علي عليه السلام الذي كان يأكل ما يتيسَّرُ له، ويَهمُّه أمْرُ الفقراء، وأوصى ولاة أمور المسلمين بأن عليهم أن يقيسوا أنفسهم بفقراء الناس، أن تعيش كما يعيش فقراء الناس، تحاول أن ترفع بالفقراء إلى مستواك، أو تعيش بعيشتهم، لا تَلِي أمرَهم ثم تعيش في ترَف، في قصور فخمة، وممتلكات فخمة والناس الفقراء المساكين هناك يعانون من شظف الحياة وصعوبة الحياة لا يتوفر لهم جزءٌ مما يتوفر لك، قال: «حتى لا يَتَبَيَّغَ بالفقير فَقْرُه»[١]. الفقير يتألم عندما يرى الكبير (ولي أمر) عندما يرى رئيساً، عندما يرى مسؤولاً، أرى أين حياته وأرى أين أنا، أرى أولاده في العيد وأرى أولادي في العيد، أرى زوجتي وهي تتجه إلى أسواق (البَالَة)[٢] تشتري ملابس لأولادي في العيد، وهو يُرسِل بنته أو زوجته أو خادم زوجته إلى أرقى معارض عرض الأزياء ليشتري الفساتين الفخمة والأحذية الفخمة. .[٣]

الإمام علي ‹عليه السلام› في حادثتين مهمتين خلدهما القرآن الكريم وكشف الروحية العالية التي كان يحملها الإمام علي ‹عليه السلام› التي لا تختلف عن روحية الأنبياء في حرصهم على الأمة واستعدادهم للتضحية من أجلها واستشعارهم الدائم لمعاناتها»-

الحادثة الأولى: ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾.

يقول السيد حسين - رضوان الله عليه -:

«عندما دخل مسكين استبدت به الحاجة فطاف على الناس فلم يجد من يسد خلته فأشار إليه علي ‹عليه السلام› وهو يصلي في مسجد رسول الله ‹صلوات الله عليه وعلى آله› ووهبه خاتمًا في يده فنزل القرآن على رسول الله ‹صلوات الله

(١) هَـذه العبَارَةُ مِنْ كَلاَم الإمَام عَليٍّ بْن أَبـي طَالب عليه السلام وَتَعْني: حَتَّى لاَ يَغْلِبَ الفَقِيرَ فَقْرُهُ وَيَحْمِلُه عَلَى الشَّرِّ. شَرْحَ نَهْج الَبلاغة ١١/ ٢٣٧.

(٢) أَسْوَاقُ البَالَة: هِيَ التي تَبيعُ الأَشْيَاءَ المُسْتَعْمَلَة.

(٣) سورة المائدة – الدرس الثاني.

عليه وعلى آله› مبيّنًا فضل ما أقدم عليه الإمام علي ‹عليه السلام› واستغل القرآن المناسبة لإرشاد الأمة إلى أن عليًّا ‹عليه السلام› مرجعها الفكري والعملي بعد رسول الله ‹صلوات الله عليه وعلى آله› ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[المائدة:٥٥].(١)

يقول السيد حسين رضوان الله عليه:

لاحظوا، الإمام عليًّا عليه السلام هو آتى الزكاة وهو راكع؟ هل هو يتلفت إلى الفقير ويعرف مَن هو، أو الفقير نفسه يعرف مَن هو هذا؟ أليست هذه هي في حد ذاتها تُبيِّن لنا: أن هذا أحياناً قد يُقدِّم لك خدمة لأنه يعرفك وتعرفه معرفة فيستحي منك أن تعرفه ثم لا يعطيك شيئاً، علي عليه السلام وهو أثناء الركوع ميزة أكثر من لو أعطاه وهو أثناء القيام، لو تعرَّض له الفقير وهو أثناء القيام في الصلاة ربما لاتجه الفقير إليه لمعرفة ملامحه ربما يكون لديه شيءٌ، أو ربما رأى الفقير فرأى حالته الرثة فأشفق عليه، لكن لا. هو في حالة الركوع وعادةً يكون الإنسان الذي يركع لا يُبصر إلاّ الأرض، سمع بفقير يسأل، هذا الفقير لا يراه وهو لا يراه فيؤشر بإصبعه إليه ليأخذ خاتمه. هكذا يكون مَن نلحظ فيهم أن تكون نظرتنا إليهم من منطلق المعايير الإلهية، التكامل الإلهي من خلال ما ترسَّخ في نفوسهم من قيم الإسلام ومبادئه، هم مَن سيهتمُّون بمن لا يعرفهم ولا يعرفونه.».(٢)

ويقول أيضاً في الدرس الثالث والعشرين من دروس رمضان:

«يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[المائدة: ٥٥] هذه الآية المباركة المشهور فيها أنها نزلت في الإمام علي ‹عليه السلام› عندما تصدق بخاتمه وهو راكع بعد أن دخل فقير يسأل ولم يعطه أحد أشار إليه بخاتمه ليأخذه.

قضية الخاتم أليست تبدو قضية بسيطة؟ لكن ماذا يدل عليه هذا العمل؟ يدل على نفسية ثانية، نفسية تهتم بالناس، أليس هذا مؤشرًا مهمًّا؟ نفسية رحيمة، ونفسية تهتم بالناس، وليس ممن يهتم كيف يأخذ أموال الناس، يهتم بالناس، فأعطاه الخاتم.

---

(١) ابن كثير في تفسيره ج ٣ ص ١٢٩، وابن جرير في تفسيره، والخطيب البغدادي في تاريخه ج١ ص ٢٨٦، والحاكم الحسكاني من عدة طرق، وابن المغازلي في المناقب ص١٩٣.

(٢) سورة المائدة ـ الدرس الثاني.

والآية هي نفسها تشهد، وتدل على أنها نزلت في قضية خاصة، تأمل الآية نفسها: ﴿يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ لا يمكن أن نفسر راكعون بمعنى: مصلون، إذ كيف يمكن يقيمون الصلاة وهم مصلون، ويؤتون الزكاة وهم مصلون، هذا لا يصح في التعبير العادي فضلًا عن القرآن الذي أحكمت آياته، ولم يأت فيما نعرف كلمة: راكعون بمعنى: خاضعون، يأتي بكلمة: ساجد، ساجدين، أو قانتين، هذا الذي نعرفه من خلال القرآن.

فالآية نفسها هي فعلًا تدل على أنها نزلت في قضية، في واقعة خاصة، لشخص خاص، في بداية نزولها، ولا تزال، ولنعرف مثلًا أنه لماذا تأتي مثل هذه الآية في سياق الحديث عن بني إسرائيل! ثم يظهر من خلال الواقع: أن الأمة بحاجة إلى تولي الله ورسوله، وتولي المؤمنين في المقدمة الإمام علي من بعد رسول الله ‹صلوات الله عليه وعلى آله›.

هذه القضية لا بد منها حتى تهتدي الأمة بالقرآن، وحتى تكون بعيدة جدًا عن أي محاولة قد تكون بها قريبة من تولي اليهود والنصارى، وحتى تكون بشكل آخر على مستوى عال، تعتبر حزب الله، وحزب الله كما قال: ﴿هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ كما قال بعد في آخر الآية أنهم هم الغالبون؛ لأن ولاية الإمام علي قضية لا بد منها في تحقيق الغلبة والنصر.

وهذا هو ما أشار إليه الإمام الهادي ‹عليه السلام› فهو يقول إن ولاية الإمام علي ‹عليه السلام› هي قضية واجبة على المسلمين.. قد تكون القضية مختصة بالإمام علي أساسًا، قد يكون بعده أئمة متأخرون قد لا تكون تعرفهم، قد لا تكون مسؤولًا أمام الله بأنك لماذا لم تعرفهم، وتتولاهم بالتحديد. الإنسان يتولى المؤمنين بشكل عام، بشكل عام يتولى أولياء الله، ويدين الله بولايته لأوليائه، وحبه لأوليائه، لكن الإمام عليًا هنا يشكل ضمانة، ويشكل نموذجًا لمن بعده، قدم كنموذج لكيف يجب أن تكون ولاية الأمة من بعد رسول الله ‹صلوات الله عليه وعلى آله› إلى نهاية التاريخ».[1]

ويقول في الدرس الثاني من (آيات من سورة المائدة):

(١) سورة المائدة ـ الدرس الثالث والعشرون من دروس رمضان.

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ القرآن الكريم في كثير من المواضع يأتي بالكلام عن الصلاة والزكاة وكأنهما نموذج للمجالين الرئيسين في العبادة. مثلما يقولون. عبادة روحية، وعبادة بدنية مالية. فآية الولاية تبين بجلاء في أمير المؤمنين علي ‹عليه السلام› صفة هامة هي العلاقة القوية بالله سبحانه وتعالى سطرها الله سبحانه وتعالى لنا في القرآن وقدمها كصفة مهمة لا بد من توفرها في مَنْ يلي أمر الأمة في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ﴾ الصلاة.. أليست خير الأعمال؟. الصلاة فيما تعطيه من آثارها المهمة في العلاقة بالله سبحانه وتعالى وفي ميدان العمل في الحياة كلها، تعتبر فعلًا خير الأعمال لأثرها الكبير، أثرها المهم فيما تحتويه من دلالات مهمة، فيما تعطيه من إشارات مهمة، فيما تترك من آثار مهمة.

الصفة الثانية: ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ الزكاة: تعني هنا الصدقة. الزكاة في القرآن الكريم تُستعمَل بمعنى الصدقة النافلة، وتستعمَل الصدقة أيضاً بمعنى الزكاة التي أصبحت عَلَماً على النسبة المحدّدة من المال المفروضة المرتبطة بعين المال، وإلاّ فكلها تسمى زكاة باعتبار أن الصدقة من حيث هي زكاة للنفوس وزكاة للمال.

﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ أدَّى الزكاة، أي: تصدّق بماله أثناء ركوعه، وتُقدمه بما هو أهم من أن يُذكر باسمه في مقام ترسيخ النظرة إليه كإنسان كامل نرتبط به، وهذا هو ما افتقده السُّنية عندما لم يرتبطوا بعلي عليه السلام لماذا؟ لأنهم اعتبروا أن ذلك الآخر هو أكمل منه، ألم يقولوا بأن أبا بكر أفضل من علي؟ فهم ارتبطوا بمن؟ بأبي بكر بعد أن جعلوه الأفضل، لَمَّا لم ينظروا إلى علي عليه السلام ويلحظوا كماله ويؤمنوا بكماله لم يفدهم اسم (علي) هل أفادهم اسم علي؟ لَمَّا فقدوا الارتباط بعلي باعتبار كماله فقدوا ما كان يُعطيهم الارتباط به، ولم يعد اسمه ينفعُهم، بل جعلوه رابعَهم وقدَّموا عليه أبا بكر، قدَّموا عليه عُمر، قدَّموا عليه عثمان؛ لأنه أصبح (علي، علي، علي) في نفوسهم هكذا. أصبحوا ينظرون إليه (علي، علي) نزلوه المرَّة الأولى، المرَّة الثانية، المرَّة الثالثة، ولولا أن الآخرين حالوا لربما جاء شخْصٌ آخر ونزلوه [لَمَا البادي مِن الخلافة تجي له بأيِّ طريقة][1].

(١) البادي ...: هذه العبارة من اللهجة العامية، وتعني: أن حصول الشيء ليس مطلوباً على وجه السرعة بل في أي وقت كان.

أليس اسم علي معروفاً لدينا ولديهم؟ ما الفارق بيننا وبينهم؟ هو أننا نظرنا إلى علي كرجل كامل، هو أفضل الناس بعد رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) هو أكمل الناس بعد رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) هو من رباه القرآن ومحمد (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) وكان جديراً بتلقي تلك التربية المهمة، نحن ننظر إليه كإنسان كامل أم أننا فقط نحن الذين عرفنا اسم (علي) والآخرون لم يعرفوا اسم (علي)؟ هم يعرفون اسم (علي) أليسوا يقولون هكذا: أبو بكر، عُمر، عثمان، علي؟ لكن ما الذي جعلنا نختلف عنهم وفَرَق بيننا وبينهم؟ هو أنهم لم ينظروا إلى علي عليه السلام كرجل كامل، كشخص كامل اختاره الله ليكون عَلَماً للأمة بعد نبيه، فمن هنا يظهر لنا فعلاً أثر النظرة لهذا الشخص الذي ترتبط به باعتبار كماله، أمّا إذا لم تعتبره كاملاً فسيصبح لديك مجرد اسم على جسد، حبر على ورق كما يقولون.

ماذا يوجد في هذا من كمال أيضاً؟ كنت أتصفح كتاباً للسيد محمد حسين فضل الله؛ فجاءت لي فائدة مهمة في هذا الموضوع قال فيها: أنْ يتصدَّق علي بخاتمه وهو يصلي تدلنا على جدارته العظيمة بأن يقود الأمة؛ لأنه هو مَن يهتم بها، مَن يؤلمه فقيرٌ واحدٌ منها فلا ينصرف وهو في مقام التوجُّه نحو الله سبحانه وتعالى، ويقول: (احنا مصلّين ما هو وقتك) فلا ينصرف بعيداً عن ذلك الفقير، بل تهمُّه قضيتُه، ويُعالج مشكلته كفقير يسأل، فيتصدّق بخاتمه وهو يصلي، هذا هو مَن يهمه أمر الأمة، هذا مَن هو حريصٌ على الأمة ورحيمٌ بها وحريصٌ عليها وشفيق بها، هذا هو الجدير بأن يتزعَّم الأمة ويقودها.

ما أكثر الذين يقولون: (لَسْنا في واديك، نحن في وادي عبادة، هذا أفضل، هذا أحسن)! أليس عليٌّ عليه السلام ممن يقيم الصلاة وهو يصلي؟ لكن وهو يصلي يفهم أن الدِّين أعمالٌ متكاملة وتوجُّهٌ نحو الله سبحانه وتعالى، له علاقته المهمة في نظرتي الحسنة واهتمامي بالآخرين، ومِن أبرز مَن أهتمُّ بهم ويهمُّني أمرُهم: الضعفاء والمساكين وفقراء الأمة، فهو هنا لم يقل: (أنا في عبادة هي خير الأعمال، بعدين، رُحْ لَك). يهمُّه أمرُه، ويقلقه وهو داخل الصلاة لأنه لم يلحظ أن أحداً أعطاه شيئاً؛ فيؤشر له بخاتمه وهو أثناء ركوعه، فيأتي هذا الفقير ويأخذ الخاتم من يده.

لاحظوا كيف قدَّم لنا أعماق علي، ألم يُقدِّم لنا أعماق نفسية الإمام علي عليه

السلام بأنه الشخص الذي يهمُّه أمرُ كل شخص في هذه الأمة؟ فكان هذا من أبرز كماله أن يُقدِّم لنا عليًّا باعتباره كاملاً، وهذا هو شيءٌ مما يمشي عليه الناس، وسُنّة يسير عليها الناس حتى في أعمالهم الخاصة، أنت عندما تقول: أريد (معلِّم) يعمل كذا أقول لك: فلان، أليس سيجول في تفكيرك صفاتُ كمال أو عدمها، عنده خِبرة، هو جدير بكذا أو لا؟ أليس هذا الذي سيحصل؟ عندما يقال: جاء محافظ هل سيهمُّني اسمه أم يهمُّني أن أتساءل عن كماله؟ (عسى أن يكون رجلاً جيداً، عسى - إن شاء الله - أن يكون باهراً يهتم بالناس ويعطينا كذا وكذا) أليس يحصل هكذا؟

مدير ناحية، الشيء نفسه، هل يهمك اسمه أو يهمك أن تعرف الكمال الذي هو عليه، ما لديه من مقوِّمات تجعله أهلاً لأن يَلِيَ أمرنا ويدير منطقتنا؟ أليس هذا الذي يحصل؟ يأتي حاكم، الشيء نفسه، أنت في شريعة فيُقال لك: فلان وكّلْه، ما الذي سيطلع في نفسك؟ هل هو جدير بهذه المهمة ولديه خبرة ولديه معرفة، و، و... إلخ؟ أليس هذا الذي يحصل؟ عامل يشتغل في مزرعتك، ما الذي سيحصل؟ يهمُّك اسمُه فقط أم يهمُّك أنه ناصح ويشتغل بجد، وماهر في العمل؟ هذه سُنة من سُنن الحياة إذا فهمناها نحن نعملها، ونحن ننظر إلى الكمال في كل شخص حتى وأنت تبحث لك عن زوجة، أليس كذلك؟ هل يهمُّك اسم الزوجة التي تريد أن تتزوجها فتقول: أريد أن يكون اسمها (مريم) لا يكون اسمها (عَلْوَة) يكون اسمها كذا؟ لا. يهمُّك أن تعرف صفاتها: عسى أن تكون جيدة، عسى أن تكون طبيعتها جيدة، أريد أن تكون كذا، وأن تكون كذا، أليس الإنسان يبحث عن صفات كمال؟ هكذا يرسِّخ الله هذا المبدأ الذي هو مبدأ مهم.

فعندما يربطنا بعلي عليه السلام يربطنا بعلي من باب تقديم علي كرجل كامل جدير بأن نرتبط به، وهو من يصلح أن نتولاه هو الذي هو - إذا كنا ناصحين لأنفسنا - الجدير بأن نتولاه، وأن يكون هو باب مدينة علم الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) وهو الباب الذي منه ندخل إلى محمد رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم).

يقول لك: لماذا لم يذكر (علي) حتى يكون النص صريحاً؟ هذه هي من سلبيات (أصول الفقه) التي دائماً نصيح منها، من سلبيات أصول الفقه الرهيبة التي تصرفك عن النظر إلى الأشياء من منظار الهداية (أريد أن يقول لي فلان حتى يكون نصاً

صريحاً يلزمني) يا أخي القرآن كتاب هداية، الدِّين كله هداية، أعماله كلها هداية حتى عندما ينصب لك محمداً (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) الرسول هو هداية، والقرآن هداية، وعلي هداية، وكل شيء في هذا الكون هو يخاطبك بمنطق الهداية. يريد نصاً صريحاً يأتي باسمه (علي)!

أن يرتبط الناس فقط بمجرَّد اسم تأتي إشكاليات أخرى فينسون الكمال، هو ما ضرَبنا وضرَب أهل السُّنة، وضرَبنا الآن كلنا، أننا لم نعد نلحظ ضرورة أن يكون من يَلي أمرنا رجلاً كاملاً. وعندما ننظر إلى كماله ننظر بالمعيار الدِّيني بالمعيار الإلهي ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ أليس هذا تقديماً لهم بمقامات دينية وصفات دينية؟ (تَصَدّق) لماذا لم يقل: (والذين آمنوا الذي سيقدِّم لك مشاريع ويعمل لك مشاريع ويعمل لك (إسفلت) ويعمل لك كهرباء ويعمل لك). هل قال هكذا؟

من تتوفر فيه الصفات الدِّينية باعتبار الدِّين هو هدى للناس، من يهمه أمر فقير هو من سيهمه أمر الأمة كلها فيعمل على أن يوفر لها ويؤثرها على نفسه في جميع شؤون حياتها، على يد مثل هذا يتحقق بناء الأمة، تأتي المشاريع، تأتي الخدمات على أرقى ما تكون عليه، والواقع يشهد بهذا؟.[1]

الحادثة الثانية: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾

هي حادثة إطعام علي ‹عليه السلام› وأهل بيته ‹عليهم السلام› للمسكين واليتيم والأسير على مدى ثلاثة أيام وإيثارهم لهم على أنفسهم واكتفائهم بالماء وهم في أيام صوم متتالية تنزلت آيات الله تعالى مسجلة أعظم مآثر علي ‹عليه السلام› في ضمير الوجود حيث ستبقى ترددها الآفاق والألسنة وصفحات المجد ما شاء الله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا • إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا • إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا • فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا • وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾[الإنسان:٨-١٢]

(١) سورة المائدة ـ الدرس الثاني.

يقول السيد حسين رضوان الله عليه:

﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان:٨] لاحظوا حتى التقليل في العبارة هنا: مسكين واحد أول ليلة، يتيم واحد ثاني ليلة، أسير واحد ثالث ليلة، أليسوا هنا ثلاثة أشخاص؟ فقط ثلاثة أشخاص؟! هل يستحق لأنه أعطى ثلاثة أشخاص؟! أي: أعطى كذا، كذا... وهذا أعطى مئات الناس، لكن عطاء مئات الناس - أحياناً - لا يكون له قيمة، يُصَفّر عليه عند الله سبحانه وتعالى، ولا قيمة حتى عند الإنسان نفسه الذي بذله؛ لأن العطاء إذا لم يكن مِنْ داخل، وتبتغي به وجه الله، وإن كان لفرد واحد، العطاء إذا لم يكن على هذا النحو تبتغي به وجه الله ومن أعماق نفسك يكون له أثره في تزكية نفسك أنت، لكن متى ما أعطيت مُرَاءاة لو تعطي مليوناً فلن يصنع في نفسك أثراً أبداً ولن يزكّي نفسك، مهما عملته مراءاةً أو لأيّ غرض آخر ليس على هذا النحو: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لاَ نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلاَ شُكُورًا﴾[الإنسان:٩] ولا من الآخرين أن يثنوا ولا أن يمدحوا، لأنه بالطبع من الذي سيُثني على أننا أطعمنا يتيماً، يتيماً واحداً لا يبدو جذاباً، أليس كذلك؟ لكن ألف شخص يعمل لهم وليمة يبدو هذا جذاباً، أليس كذلك؟ القضية ليست على هذا النحو، يكشف لنا أعماق نفسيات هؤلاء الذين يشدّنا إليهم كأعلام.

أطعم مسكيناً ويتيماً وأسيراً، فقط ثلاثة؟! ليس المهم هو العدد فقط ثلاثة، المهم أجواء العطاء والنفوس التي انبعث منها، الدوافع نحو العطاء هي التي أردنا أن نكشفها لك، فتعرف مَن هم هؤلاء، الذين يعطون على هذا النحو سيعطون الأمة كلها كل ما يملكون، أليس هذا هو المهم؟.[1]

●●●

(١) سورة المائدة ـ الدرس الثاني.

البعد الثقافي والعقائدي والتاريخي لحديث الولاية

يوم الغدير وحديث الولاية

لم يكتف النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) بما ورد من آيات كثيرة في القرآن الكريم تقدم الإمام علياً (عليه السلام) وليًّا للأمة من بعده وكذلك ما ورد خلال فترة الرسالة من أقوال وأعمال كثيرة من قبله (صلوات الله عليه وعلى آله) تهدف إلى ربط الأمة بالإمام علي (عليه السلام) لم يكتف بهذا وإنما توج هذا كله بأن بيّن في حادثة الغدير تبيينا واضحا وكاملا مكانة الإمام علي ومسئولية الأمة تجاهه وبعبارات واضحة وصريحة لا تحتمل غير معنى واحد فقط هو وجوب أن تتولى الأمة الإمام عليًّا (عليه السلام) قائدًا وهاديًا ووليًّا لها من بعد نبيها (صلوات الله عليه وعلى آله).

تساؤلات مهمة

قبل أن نذكر ما جرى في يوم الغدير من حدث مهم وما تم فيه من رسم للمسار السياسي للأمة من بعد موت الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - إلى يوم القيامة.. نطرح عدة تساؤلات:

- هل من المعقول بأن الله الرحمن الرحيم الحكيم العدل ملك السموات والأرض لن يحدد للأمة من يلي أمرها بعد أن يغادر نبيها (صلوات الله عليه وعلى آله) هذه الحياة والذي هو على وشك مغادرتها! هل يمكن بأن الله لا يقدم لعباده حلًّا في هذا الموضوع المهم والخطير وهو يعلم بأنها القضية التي سيكون الصراع والتناحر والخلاف عليها؟! ننزه الله القدوس المنزه الرحيم بعباده الحكيم في أفعاله أن يهمل مثل هذه القضية المهمة والكبيرة والخطيرة.
- وهل من المعقول بأن الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) الذي كان يعز عليه أي تعب يلحق بالأمة حريص عليها وعلى تماسكها وقوتها وعزتها بالمؤمنين رؤوف

رحيم بكل ما تعنيه الرأفة والرحمة وكاد أن يقتل نفسه ألا يكونوا مؤمنين، هل يمكن أن يترك الأمة وهو على علم من ربه بأنها ستختلف ولا يقدّم لها ما يمثّل صمام أمان حتى لا تختلف وتتناحر؟! هل يمكن ألَّا يرسم لها مسارها السياسي ومن يلي أمرها من بعده وهو يعلم بأن الإسلام بغير ولاية أمر تكون امتدادًا لولاية الله على عباده يعني أن يتحول الإسلام جسدًا بلا روح؟!.

وكما يقول السيد حسين -رضوان الله عليه-:

«قبل أن نتحدث عن الأسباب التي جعلت الأمة تفارق عليًّا نتساءل أولًا: هل يمكن لمثل رسول الله ‹صلوات الله عليه وعلى آله› الذي وصف الله حرصه على أمته بقوله: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[التوبة:١٢٨] هل يمكن للنبي الذي قال الله عنه ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف:٦] أن يترك هذه الأمة دون أن يرشدها إلى ما يشكل لها صمام أمان؟.

ونحن عندما نعود إلى القرآن نجد في قصة نبي الله موسى ما يوضح المسألة لنا عندما قال الله: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف:١٤٢] وهي فترة قصيرة، فترة ثلاثين ليلة زايد عشر، أربعين ليلة.

لاحظ كيف نظرة الأنبياء إلى أممهم، هو يعرف بأنه لن يغيب عنهم إلا ثلاثين ليلة أو أربعين ليلة على الأكثر، يلاحظ من هو أرقى شخص، وأكمل شخص فيهم ليعينه بعده، ﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ مع أنه قد انتقى أعلى شخص فيهم، وأيضًا يوجهه بالتوجيهات الهامة، أن تصلح، وألا تصغي للمفسدين.

فهل يمكن لمثل رسول الله ‹صلوات الله عليه وعلى آله› أن يترك هذه الأمة عندما يموت ثم لا يرشدها إلى من تتبع، وموسى هنا لغياب ثلاثين ليلة، يعين بعده من يخلفه؟! لا يمكن من يعرف أنبياء الله أن يقبل هذه القضية، فيقول: إنه ترك الأمة، ولم يعد حريصًا عليها؛ لأن الأنبياء - عادة - أناس مهتمون جدًا بالبشر، مهتمون جدًا بأممهم، رحماء جدًا بأممهم، يفهمون الأمور جيدًا وما ستؤول إليه

حالهم عندما يتركهم بدون أن يقدم لهم الحلول وبالذات حول من يلي أمرهم من بعده.

ألا يفهم أي ملك من الملوك، ما بالك نبي من أنبياء الله بأنه إذا لم يعين أحدًا من بعده بأنهم سيختلفون؟ هذه قضية معروفة، فكيف يتهمون أنبياء الله بأنهم هكذا: يغادر الواحد منهم الدنيا ولا يعيّن أحدًا، وهو يذكر هنا أنه لم يغادر نبي الله موسى للميعاد هذا إلا ويعين أخاه.

رسول الله ‹صلوات الله عليه وعلى آله› في أطول رحلة بعيدة عن مركز دولته، ومجتمعه، لم يسر إلى تبوك إلا وقد عين الإمام عليًا بعده، لفترة قصيرة، وفي الأخير يقولون بعد: أنه مات ولم يوصِ أحدًا، ولم يعين أحدًا، ولم يعمل شيئًا، لكن أبا بكر لم يمت إلا وقد أوصى إلى عمر، أليس هذا يعتبر استهانة بالأنبياء، جهلًا كاملًا بالأنبياء أنهم ناس يهتمون جدًا بالأمة، ورحماء بالأمة، ويعرفون الأمور، يعرفون المواضيع، يعرفون القضايا التي يمكن أن تؤدي إلى اختلاف فيما بين الناس.

لا أن يقدموا الأنبياء ‹صلوات الله عليهم› وكأنهم كانوا يغادرون الدنيا دون أن يبالوا بأممهم، خاصة مثل رسول الله ‹صلوات الله عليه وعلى آله› هو يعرف أنه رسول للعالمين، وآخر رسول للعالمين إلى آخر أيام الدنيا، أنه رسول للكل.

فعلًا تجد أنه عمل في ذلك الزمن ما يبين للناس في هذا الزمن، ما له علاقة بالناس في هذا الزمن من بعد ألف وأربعمائة سنة.

- وهل من المعقول بأن هذا الإسلام العظيم بما يحمله من شمولية ومنهجية تبيانًا لكل شيء، تفصيلًا لكل شيء، منهج للحياة، نظام للحياة جاء ليبني أمة عظيمة أن يغفل عن أن يتحدث عن الولاية ومعاييرها وهي التي تمثل العمود الفقري للدين الإسلامي؟!.
- وهل من المعقول بأن أمة بهذا الحجم وتمتلك هذه المساحة الواسعة والكبيرة وتعرف بأن الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) على وشك الرحيل من بينهم وتعرف بأنها تحمل مسؤولية كبيرة ورسالة عالمية ثم لا يتبادر إلى ذهنها ولا تفكر في أن تسأل عن الشخص الذي سيلي أمرها من بعد نبيها؟ وما هو المنهج المتبع في قضية ولاية الأمر الذي ستسير عليه؟ وما هي المعايير والمواصفات

في من يلي أمرها؟ هل يعقل بأن الأمة لا تفكر في هذا الموضوع ولا تحدث هناك تساؤلات من هذا النوع؟!.

هذا لا يمكن أبدًا، بل هو متناف مع الفطرة البشرية، ومتناف مع العرب بالذات الذين حكى الله عنهم بأنهم كانوا كثيري الأسئلة والتساؤلات وفي قضايا هامشية فما بالك بمثل هذه القضية المهمة والخطيرة والتي تمثل أخطر قضية.

ألم يحك الله عن العرب أنهم كانوا كثيري التساؤلات حتى أمام القضايا البديهية: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأهلَّة﴾[البقرة:١٨٩] ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾[البقرة:٢١٥] ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة:٢١٧] ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ [البقرة:٢١٩] ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ﴾ [المائدة:٤]

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ﴾ [الأنفال:١] ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾[الإسراء:٨٥] ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ﴾ [طه:١٠٥]

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾ [البقرة:٢٢٢] ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى﴾ [البقرة:٢٢٠] ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ﴾[الأعراف:١٨٧] ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ﴾[الكهف:٨٣].

وغيرها من الأسئلة التي أوردها القرآن عن العرب فقد أورد القرآن عنهم سيلًا من الأسئلة التي لا داعي لها في أغلبها لكن نفهم من هذا روحية التساؤل التي كان يحملها العربي، فمن كانوا بهذه الروحية هل يمكن ألَّا يتبادر إلى ذهن أحدهم أن يسأل النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) عمَّن يلي أمر الأمة من بعده؟! وهي قضية جديرة بالسؤال والتساؤل ولو لعشرات المرات! لكن النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) في الواقع لم يترك للعرب هؤلاء مجالًا للتساؤل في هذه القضية بل بيّنها لهم على أرقى مستوى خلال فترة الرسالة وتوّج كل ذلك بالإعلان الرسمي في يوم الولاية في غدير خم كما سنعرف ذلك.

في يوم الغدير الرسول يرسم المسار السياسي للأمة إلى يوم القيامة

يقول السيد عبد الملك حفظه الله في مناسبة يوم الولاية [١٤٣٧هـ]:

يوم الثامن عشر من شهر ذي الحجة شهد حدثاً تاريخيًّا إسلاميًّا عظيماً ومهمًّا

وأساسيًا ذلك كان أثناء عودة النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) من حجة الوداع، وحجة الوداع هي كما أسماها النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) ودع فيها أمته وقال في خطبته الشهيرة وهو في الحج يخاطب أمته «ولعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا» كما قال أيضاً في خطبته في مناسبة الغدير الذي سنتحدث عنها قال كذلك: «إني أوشك أن أدعى فأجيب».

فالنبي (صلوات الله عليه وعلى آله) كان في أدائه الرسالي بحركته في الأمة في خطاباته واهتماماته وتوجهاته يعيش في وجدانه الاستعداد للرحيل من هذه الحياة وهو فيما يقدم للأمة وفيما يوجه به الأمة وفيما يتخاطب به مع الأمة هو في المراحل النهائية لتمام الرسالة الإلهية في تبليغه (صلوات الله عليه وعلى آله) ونشاطه التبليغي في أوساط الأمة، وكان يحسس الأمة بهذا حينما يقول: «ولعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا» حين يقول: «إني أوشك أن أدعى فأجيب» فأجيب الله، وارحل إلى جواره، ويستضيفني إلى رحمته.

ويحسس الأمة إنما سأقدمه لكم وما أقوله لكم هو في غاية الأهمية لما بعد رحيلي من هذه الحياة لما بعد ارتقائي وعروجي إلى رحمة الله سبحانه وتعالى، أي أن ما كان يقدمه في المرحلة الأخيرة والمحطة الأخيرة من محطاته الرسالية هو مهم جدًا لما بعد ولمستقبل الأمة.

ولذلك الرسول (صلوات الله عليه و على آله) وأثناء عودته من مكة من الحج، وفي طريقه إلى المدينة، وفي منطقة بالقرب من [الجحفة] في منطقة في وادي غدير خم في تلك المنطقة نزل عليه قول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[المائدة٦٧] نصٌ مهم جدًا وساخن يدلل على أمر في غاية الأهمية لحيوية الرسالة بكلها، للحفاظ على الرسالة في مستقبلها؛ لإعطائها الواقع والدافع العملي والفعال في الحياة لاستمراريتها بالشكل الصحيح والنقي.

الآية المباركة لا تعني بأي حال من الأحوال أن النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) كان يتردد في التبليغ نهائيًا، هو لا يخشى في الله لومة لائم، وهو معروف (صلوات الله عليه وعلى آله) بتفانيه في سبيل الله، وهو أساسًا قد تجاوز مراحل صعبة جدًا في تبليغ الرسالة، تناول أهم القضايا الحساسة جدًا، بلغ التوحيد وواجه

حالة الشرك التي كانت ثقافة باطلة مترسخة يتعصب لها المجتمع على أشد حال من العصبية، وبلغ أمور الإسلام جملة وتفصيلاً في كل الاتجاهات: الجوانب العقائدية والجوانب العملية كذلك الموقف الإسلامي، الموقف القرآني من كل حالات الانحراف السائدة في واقع الحياة في الأرض، الموقف من الانحرافات السائدة في أوساط الوثنيين، الانحرافات المنتشرة في أوساط اليهود، في أوساط النصارى، كل حالات الانحراف في الأرض وقدم مشروعه الرسالي، مشروع الله سبحانه وتعالى، دين الله الحق الذي يمثل الصراط المستقيم، والتصحيح الفعلي والحقيقي السويَّ لواقع البشرية، والذي يعالج كل إشكالات البشر.

أيضاً على مستوى الصراع الآية هذه في آخر حياته ما قبل وفاته قد تكون في أقل من ثلاثة أشهر في شهر ذي الحجة أواخر السنة العاشرة للهجرة وهو توفي على اختلاف الروايات في السنة الحادية عشرة إما في صفر، أو في أول ربيع، على حسب اختلاف الروايات.

على كلٍّ في آخر حياته يأتي هذا النص، تُرى ما هو هذا الذي له كل هذه الأهمية وأهميته مرتبطة بحيوية الرسالة كلها، بمستقبل الرسالة بكلها، بفاعلية الرسالة في أثرها في الناس، وأثرها في الحياة؛ لأن قوله: ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ إن هناك مسألة مهمة، بلاغها وتمسك الأمة بها يعطي حيوية لكل رسالة الله، يعطي نجاحاً للمشروع الإلهي بكله، عدم تبليغها أو تبليغها وعدم تفاعل الأمة معها له مردود سلبي يعود عكسيًّا في إضعاف الدور الديني، الأثر النافع والمفيد لرسالة الله في واقع الحياة، الفاعلية لبقية تعاليم الإسلام.

الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) أمر كهذا له هذه الأهمية، عليه هذا التأكيد وأحيط بضمانة إلهية لتمكينه من تبليغ هذا الأمر في وسط بات الوسط الذي سيبلغ فيه هذا البلاغ وسطاً إسلاميًّا، الشرك انمحى آنذاك من الجزيرة العربية بكلها ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ كضمانة لتمكينه من التبليغ وإقامة الحجة لله على عباده.

الرسول أعطى عملية البلاغ جواً يوحي بأهمية الموقف وأهمية ما سيقدم للأمة النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) توقف على الفور وعمل على إعادة من قد تقدم من الجموع الغفيرة التي كانت معه في رحلته إلى الحج واستقر حتى تلاحق المتأخرون واجتمع الكل في منطقة [غدير خم]، في خم رصت أقتاب الإبل وكان

الوقت في الظهيرة أثناء الحرارة الشديدة وفي جو مشمس وواضح وجمع الجميع واستقروا في ذلك الجو في كل ما يوحي بأهمية الموقف وأهمية ما سيقدم للأمة أنه أمر استثنائي فاصل ومهم وليس مجرد أمر عادي وبسيط نهائيًا.

تحت حرارة الشمس في الصحراء في مكان مكشوف لا ظلال فيه إلا خمس شجرات دوحات قُمَّ ما تحتهن ورصت أقتاب الإبل ليصعد من عليها الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) وهناك تقدم النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) والجموع الغفيرة كلها تنظر إليه تُرى ما هو هذا الذي قد نزل، ما هو هذا الأمر المهم الذي اقتضى سرعة الإبلاغ على هذا النحو، وإعطاء عملية الإبلاغ جوًا يوحي بالأهمية القصوى لما سيقدم؟ الكل أنصتوا، والكل سكتوا، وجلسوا في تلك الحرارة الشديدة، والكل ينظر باتجاه الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) الذي صعد على أقتاب الإبل ليراه الجميع بوضوح، وأصعد معه علي بن أبي طالب (عليه السلام) فوق أقتاب الإبل.

وتحدث بخطبته الشهيرة التاريخية المهمة جدًا، وهي كذلك، هي كذلك خطبة الوداع في واقع الحقيقة، في واقع الأمر، وهو قال فيها: «**إني أوشك أن أدعى فأجيب**» يعني سنة الله معي هي سنته مع الأنبياء من قبلي، الكل رحلوا من هذه الحياة ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[الزمر ٣٠] ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾[الأنبياء٣٤] ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾[آل عمران١٤٤] سنة الله معه وسنته مع من قبله من الأنبياء إلا أن هناك فارقاً كبيراً جدًا في مسألة حساسة للغاية.

الأنبياء الآخرون السابقون ما قبله كان يعقبهم مراحل وفترات أنبياء يذهب نبي بعد فترة يأتي نبي آخر أو رسول آخر وهكذا، أما النبي محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) فهو خاتم النبيين ولا نبي بعده، وأمته آخر الأمم، والبشرية من بعده ستعيش الحقبة الأخيرة على الأرض، والمرحلة الأخيرة للبشر على الأرض، والقيامة والساعة اقتربت؛ ولذلك فليس هناك اعتبار أن نبيًا آخر سيأتي، أو أن هناك كتاباً غير القرآن سينزل، في مرحلة من المراحل، أو أي شيء آخر، لا، الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) هو خاتم الرسل والأنبياء، والقرآن الكريم خاتم الكتب الإلهية والمهيمن عليها.

ولكن هل سيترك النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) ما بعده فراغاً تامًّا خصوصاً والتاريخ البشري في مراحله الأخيرة لربما من أهم مراحل التاريخ، ولربما هو خلاصة لكل مراحل التاريخ بكل ما فيه من تطورات مهمة ومتغيرات كبيرة وواقع جديد وأمور مهمة جدًّا، وتطور كبير في واقع البشرية، وأحداث ساخنة ومتغيرات كثيرة... إلى آخره.

الرسول قدم لأمته في ساحة الغدير ما يشكل ضمانة لها لأن تستمر في طريق الهدى والحق

الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) قدم في خطابه في ساحة الغدير مسألتين مهمتين قال: «**وإني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبدًا**» يعني أني حينما ألحق بجوار الله لن أترككم عبثاً، لن أترككم مهملين، لن أترككم بدون دليل ومعالم على الحق والهدى، لا، أنا تارك في أوساطكم ضمانة لأن تستمروا في طريق الهدى، وفي طريق الحق، وألا تتيه بكم وتتفرق بكم السبل المعوجة، وألا تتيهوا وتضلوا وتضيعوا «**كتاب الله**» وحث على كتاب الله، ورغب فيه وسماه الثقل الأكبر «**وعترتي أهل بيتي إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عَلَيَّ الحوض**».

واستمر في خطابه وأكد عليهم الإقرار لهم بتبليغ الرسالة وبكمال التبليغ وبإجابة الحجة عليه، ثم أعلن إعلاناً مهمًّا جدًّا تاريخيًّا استثنائيًّا وقال -وقد أنصت الجميع والكل مركز، الجو كله يساعد حتى على أهمية التركيز، وإعطاء المسألة أهمية-: «**يا أيها الناس إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين وأولى بهم من أنفسهم فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه**» أخذ بيد علي عليه السلام ورفع يده أمام الجميع حتى يسمع الجميع ويشاهدون، وفي الأخبار، وفي الروايات أنه رفع يده ويد علي عليه السلام حتى بان بياض إبطيهما «**فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من ولاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله**».

كان هذا من أهم النصوص والنص الرئيسي والموضوع الرئيسي الذي هو فحوى ومضمون البلاغ الذي أكدت عليه الآية القرآنية المباركة ﴿ **بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ**

﴿رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾[المائدة:٦٧] نأتي إلى هذا النص الذي كان في هذه المناسبة العزيزة والمهمة والذي كان له أهمية كبيرة جدًّا بحكم الأهمية التي أعطته الآية ودلت عليه الآية المباركة ﴿ وَإِنْ لمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾.

على كل مؤمن أن يعي جيداً ما أعلنه الرسول في يوم الغدير حول ولاية أمر الأمة

وهنا من المهم جدًّا أن ندرك وأن نعي جيداً وبعيد عن الجو المذهبي والحساسيات المذهبية والعصبيات المذهبية أن نأتي إلى الموضوع بكل شفافية وبكل موضوعية من خلال ما أعلنه الرسول وخصوصاً أن هذا النص متفق عليه ثابت بين الأمة لا خلاف بين الأمة في ثبوت مسألة الغدير ونص الغدير ورواية الغدير مع مستوى معين مثلاً فيما يتعلق بالنص «من كنت مولاه فهذا علي مولاه» مسألة فيما يتعلق بالأمة ثابتة جدًّا جدًّا لا جدال فيها إن كان هناك جدال في الدلالات أو الاعتبارات الأخرى هي مسألة أخرى، مسألة ثانوية لكن النص كما هو الجو كما هو من الثابت المقطوع به المتوافق كما في مصطلح أهل الحديث والعلماء المتواتر بين الأمة فهو متواتر بين الأمة مُتَلقَّى بالقبول بين الأمة مقطوع به بين الأمة وثابت بلا شك ولا مرية.

عندما نأتي إلى الموضوع أيضاً من بوابته القرآنية هناك إلى جانب النص النبوي إلى جانب البلاغ الذي بلغه الرسول عن ربه بأمر ربه هناك أيضا نص قرآني يتطابق كل التطابق مع هذا الإعلان، وأيضاً في سورة هي آخر السور القرآنية نزولاً وفي المرحلة الأخيرة من نزول القرآن ومن حياة النبي (صلواتُ الله عليه وعلى آله) سورة [المائدة] ورد قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ• وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٥ - ٥٦]

نجد هنا أيضاً الكلام نفسه والبلاغ النبوي عن الله سبحانه وتعالى والنص القرآني كلاهما قدم عنوان الولاية ﴿وليكم﴾.

العصبيات المذهبية بلاء أصاب الأمة

والمسألة مسألة مهمة جدًا ولربما البعض في الوسط الإسلامي أثرت عليهم العصبيات المذهبية التي هي داء فضيع بلاء أصاب الأمة وبشكل رهيب وعمى هي تُعمي الأعين، وتصم الآذان عن إدراك الحق، وعن فهم الحق، هي تصنع كثيراً من الحواجز حتى أمام الواضحات والبديهيات.

النص القرآني مع البلاغ النبوي عن الله سبحانه وتعالى قدم مفهوماً وعنواناً اسمه الولاية ﴿وَلِيُّكُمُ اللّه﴾ «إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين» النص القرآني كل مسلم يقرأ القرآن هو يقرأه ﴿وَلِيُّكُمُ اللّه وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ﴾ هذا النص المهم الذي يترتب عليه في النص الآخر قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللّه وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ ترى مع الأهمية أن هناك جاذبية إلى مدلول ومضمون هذا النص.

الأمة فيما تعانيه من تحديات وأخطار، الأمة اليوم التي هي مغلوبة ومقهورة وتعاني من إذلال أعدائها لها وهيمنتهم عليها وتغلبهم عليها قدم لها في هذا النص مساراً محدداً من الله، لا هو قول إمام مذهب، ولا قول فقيهٍ أو عالم، ولا قول منظر أو مفكر، ولا قول اجتهادي، هو نص صريح ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللّه وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾.

يفترض بأمتنا المستضعفة المقهورة أن تكون متطلعة إلى ما فيه نصرٌ وعزةٌ وحريةٌ

يفترض بنص كهذا في هذه الأهمية لأمة مقهورة معانية مستضعفة تكالبت عليها الأمم الأخرى: الأمريكان والصهاينة والإسرائيليين وغيرهم، كل أولئك الذين تكالبوا على الأمة فأذلوها وقهروها وتحكموا بها، وتدخَّلوا في كل شؤونها وفرضوا عليها إرادتهم وتوجهاتهم وسياساتهم، وما يريدونه، أمة كهذه يفترض أن تكون متطلعة إلى النصر إلى العزة إلى الغلبة؛ لتكون أمة غالبة متحررة.

نص مهم بكل ما للكلمة من معنى، مهم وفي نفس الوقت جذاب، الإنسان المستضعف المعاني المقهور يتطلع إلى كيف يتحرر كيف ينتصر، كيف يغلب،

وكيف يعتز، نص جذاب ولكن تلحظ مع كل هذا أن هناك من الكثير في الوسط الإسلامي جفاء تجاه هذا النص، تجاه هذا المبدأ، تجاه هذا الموضوع، جفاء ووحشة يستوحشون ويتهربون من الجو كله، من العبارة بكلها، من العنوان بكله.

أصبح عنوان الولاية نتيجة للحساسيات المذهبية عنوانٍ يفر منه الكثير يستوحش منه الكثير مع أن الله هو الذي قال ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ﴾ ثم عندما تأتي إلى هذا النص ليس فيه ما يوحش، ليس فيه ما يدعو للتهرب ليس فيه ما يقلق، ليس فيه ما ينفر، لكن داء العصبية أخطر داء بليت به الأمم ﴿وَلِيُّكُمُ اللّه﴾ هل هذه مشكلة؟ أنتم يا أيها الذين أنتم مؤمنون مسلمون تنتمون إلى الدين الإسلامي تعتبرون القرآن كتاب الله كتابكم، وتعتبرونه حجة عليكم ونهجكم، تعتبرون رسول الله محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) نبيكم، تعتبرون أنفسكم ملزمين بما جاء به، برسالته، ومعتزين، ومفتخرين بذلك بحكم هذا الانتماء، بحكم هذا التدين، بحكم هذه الهوية، ﴿الله وليكم﴾ وليكم الذي يتولى شؤونكم، يتولى رعايتكم، يتولى هدايتكم.

هل تنفتح الأمة على أن تتأمل ما معنى ﴿ وَلِيُّكُمُ﴾ حتى تأتي إلى الخطوة المهمة جدًا: التفاعل العملي مع مبدأ الولاية الذي يترتب عليه تغيير واقع الأمة بكله؟ من أمة مغلوبة إلى غالبة، من أمة مقهورة إلى قاهرة، أمة تنتصر على أعدائها ويتغير واقعها نحو الأفضل بشكل جذري.

ليس هناك انفتاح على المسألة! الوحشة هي نتيجة العصبيات المذهبية صنعت حاجزاً كبيراً دون الالتفات إلى هذا المفهوم، ولو كان هناك التفات إليه لكان له تأثير كبير في واقع الأمة؛ لأن الله هو الذي قال: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّه﴾ ولاية الله سبحانه وتعالى هي ولاية الإله، ولاية الله الذي نعبده ولاية الألوهية كإله لنا، ولاية الربوبية كرب لنا نؤمن به نعبده نخضع له نطيعه نثق به نتوكل عليه نذعن لأمره نعتمد عليه نستهديه، ولاية هداية هو الهادي الذي يهدينا، يأمرنا يوجهنا يبصرنا يعلمنا يقدم لنا ويرسم لنا معالم الصراط المستقيم، وطريق الفوز والنجاح والفلاح والعزة والخير، يدلنا على كل الخير، على المصلحة، على الخلاص، على الحلول لمشاكل حياتنا، يرعانا في كل شأننا، ينصرنا في مواجهة أعدائنا.

فولاية الله ولاية الألوهية ولاية الربوبية ولاية الهداية ولاية المعونة وهكذا

ولاية شاملة ولاية رب على المربوبين ولاية الإله على العبيد العابدين له الراجعين إليه، وهي ولاية الملك، هو ملك الناس، رب الناس وملك الناس وإله الناس، ولاية الملك الذي له الحق بالتصرف في مملكته في عباده، يأمر. ينهى، يشرع، يقنن، يفرض، يحلل، يحرم؛ لأن هذا العالم بكله مملكته، الناس والعباد مخلوقاته، والرب ليس فضولياً يريد أن يفرض نفسه على الجميع، وأن يتدخل في شؤونهم، الجميع عباده وعبيده ومملوكاته ومخلوقاته، والجميع مربوبون له، هو الرب والإله والملك والمالك والخالق والرازق والمحيي والمميت والمبدع والمعيد، إلى غير ذلك. وهذا هو جوهر الإسلام، جوهر رسالة الله سبحانه وتعالى إلى العباد.

وولاية الله ولاية رحمة يرحم عباده يتولاهم برعايته وحتى توجيهاته وحتى تعليماته من منطلق رحمته بهم فيما فيه الخير لهم يريد لهم العزة، يمنحهم حتى من عزته ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون:٨] يمنحهم الحكمة، يريد لهم الكرامة، ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾[الإسراء: ٧٠] يريد لهم الخير، يريد لهم أن يكونوا أحراراً.

من مهام الأنبياء الرئيسية تحرير الناس من العبودية للطواغيت ليكونوا عبيداً لله

وكل الأنبياء الذين أرسلهم كان من مهامهم الرئيسية تحرير الناس من العبودية للطواغيت، الإنسان بين حالة من حالتين: إما أن يكون عبدًا لله أو عبدًا للطواغيت. ثم ولاية الله سبحانه وتعالى التي فيها كل هذا الارتباط الشامل، ترتبط بربك الله من كل واقع حياتك، في كل شأنك، في كل أمرك، في كل واقعك، في كل ظروفك، في مسير حياتك بكلها.

تأتي ولاية الرسول امتدادًا لولاية الله؛ ولهذا لم يقل: إنما وليكم الله ووليكم رسوله ووليكم الذين آمنوا، لا، عبارة واحدة ﴿وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ والرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) ولايته من موقعه في الرسالة كرسول ولي في رسالته: يبلغ رسالة الله، يربينا، يعلمنا، يهذبنا، ويزكينا، يقيم علينا حجة الله سبحانه وتعالى، له علينا حق الأمر والنهي؛ لأنه لا يأمر إلا بأمر الله، ولا ينهى إلا

بنهي الله ولـه علينـا أن نعظمـه أن ندرك فيه عظمـة الرسالة، عظمة قيـم الرسالة، عظمـة مبـدأ الرسالة التي جسدها في واقعـه، وفي حياته، وكان عظيماً بها وعظيماً بمكانته عند الله سبحانه، نُجِلُّهُ نحبه، شيء طبيعي أن تحب رسول الله (صلوات الله عليـه وعلـى آله) أن تحـب كل تلك القيم التي كانت متجسدة فيـه، ومتمثلة به، وفيه وفي حياته على أسمى ما يكون في واقع البشر.

الرسـول (صلـوات اللهِ عليـه وعلـى آلـه) ولـيٌّ طاعتـه مـن طاعة الله ﴿مَـنْ يُطِعِ الرَّسُـولَ فَقَـدْ أَطَـاعَ اللَّه﴾[النساء:٨٠] لنـا هذا الارتبـاط به معلماً قائداً هادياً آمراً موجهاً مربياً مزكياً، أسوةً قدوة وأن يتحقق هذا الارتباط حقيقة.

ثم يأتي امتداداً لولاية الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) لأن منهج الله ممتد لا ينقطـع فقـط عنـد الرسول (صلـوات الله عليه وعلى آله) وانتهـت مهمة الرسالة، مهمـة الدين مهمـة التعليمات الإلهيـة، وأعلنت نهايتها، ليست مـن المنتجات التي لهـا تاريـخ انتهـاء فول أو بزاليا أو مـا شاكل، لا، هذه رسالة ممتـدة إلى قيام الساعة، ﴿وَرَسُـولُهُ وَالَّذِيـنَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّـلاَةَ وَيُؤْتُونَ الـزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ واتفـق المفسـرون أن المقصود بهذه الأوصـاف والمقدم بهذه المؤهـلات الإيمانية هـو الإمـام علي (عليه السلام) في حادثة إعطائـه وتصدقه بالخاتم في ركوعه التي كان لـه دلالـة مهمة ومعبرة جدًّا على كل الخطاب للمؤمنيـن، وأكيد أن هناك طرفاً آخر المؤمنون مخاطبون بأن يتولوه بأن يدركوا ولايته، أنها امتداد لولاية الرسول (صلـوات الله عليـه وعلـى آله) وإلا لو افترضنا أن المعني بهـا هؤلاء المؤمنون فمن المخاطب بتولي هؤلاء المؤمنين؟

التولي ليس مجرد انتماء مذهبي بل هو ارتباط عملي وسلوكي

ثـم يأتـي بعد ذلـك ليقول ﴿وَمَنْ يَتَـوَلَّ اللَّه وَرَسُـولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَـإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُـمُ الْغَالِبُـونَ﴾ التولي ليس مجرد انتماء مذهبـي، ولا كلام يتكلم به الإنسان وانتهى الأمر؟، لا، التولي ارتباط عملي ارتباط سلوكي التزام مبدئي وأخلاقي هذا هـو التولي. التولـي سيرٌ في الطريق، التولي تحركٌ في الصراط المستقيم، التولي التـزام بالرسالـة الإلهيـة في مضامينهـا في مبادئها في قيمها فـي أخلاقها هذا هو التولـي. وهنـا نـدرك في هذا السياق أيضاً أن الإمام عليًّا عليه السلام دوره مهمٌ في

الأمة لأن مرحلة ما بعد الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) بالتأكيد لا يمكن وهذا - هو الذي حدث بعد كل الأنبياء - إلا أن تكون مرحلة حساسة بكل ما تعنيه الكلمة وهذا حدث بعد كل الأنبياء والرسل السابقين.

وعادة مرحلة ما بعد النبي ما بعد الرسول تكون مرحلة حساسة جدًّا في كثير من تجارب البشرية، بعد الكثير من الأنبياء والرسل كان يحصل فيها اختلافات وتباينات واضطراب وتعدد في الاتجاهات في المفاهيم في النقل في غير ذلك، الله هو يعلم أن واقع هذه الأمة بعد نبيها لن يكون مختلفاً عن سائر الأمم هو حكى في سورة البقرة عندما قال: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ [البقرة:٢٥٣].

اختلاف الأمم عادة عندما يحدث فراغ كبير في واقعها ليس فقط بعد الأنبياء حتى بعد أي زعامة رئيسية مهمة جدًّا بنت أمة، يحصل في الأمم اختلافات تباينات اتجاهات متعددة متنوعة ولكن للدين الإسلامي للرسالة الإلهية خصوصية ليست واقعاً عاديًّا وليس هناك مشكلة فلتختلف عليه الأمة فلتتباين فيه الأمة فلتتناقش فيها الأمة فلتضطرب فيها الأمة، فلتضع جهود الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) التي بذلها بشكل كبير فليفرغ هذا الدين من مضامينه الرئيسية مبادئه القيمة، لا.

هناك حساسية كبيرة فكان لا بد من أن يكون هناك امتداد للنهج الإلهي وإن لم يكن في موقع النبوة ولذلك قال الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) كلمته الشهيرة المشهورة في الأمة الثابتة بين أوساط الأمة المروية من جميع فرق الأمة قال عن علي عليه السلام: «علي مني بمنزله هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي» موقع هارون من موسى معروف، أي إنسان يسلم من العصبية سيدرك أنه الموقع الأول بعد موسى، ليس هناك بين أصحاب موسى بين جماعة موسى بين أمة موسى من له موقع هارون أبداً استثنى النبيُّ النبوةَ «إلا أنه لا نبي بعدي» لكن يمتد دوره كوزير كوصي كمعلم كقائد امتداداً أصيلاً نقيًّا مضموناً لرسالة الله سبحانه وتعالى، للإسلام، لتعاليم الإسلام، حاملاً لهذه الرسالة قيماً أخلاقاً مبادئاً سلوكاً ممارسة قيادة فكان الإمام علي عليه السلام. وله في واقعه المؤهلات البارزة والمميزة، لم

يكن شخصية مغمورة أو مشكوكا في أهليتها في مثل هذا المقام لمثل هذا الدور لمثل هذه المهمة، لا .

كان الإمام علي عليه السلام متميزاً بوضوح في كل واقعه الإيماني منذ بداية مسيرة الإسلام له واقع يختلف عن كل الآخرين من المؤمنين برسول الله من تلاميذ رسول الله من أصحاب رسول الله من أنصار رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) متميزاً في إيمانه في وعيه في علمه في جهاده، متميزاً في كل واقعه، متميزاً بارتقائه البارز الواضح الملموس.

ثم حينما أتى النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) ليتحدث عن الإمام علي عليه السلام لم تكن مجرد مدائح، أو عبارات تشجيعية، أو عبارات تحفيزية، لا، إنما ليعزز له دوراً مستقبلياً في الأمة، لاعتبارات مهمة في مستقبل الأمة، وحساسة في مستقبل الأمة، فحينما كان الرسول يقول: «علي مع القرآن والقرآن مع علي» «علي مع الحق والحق مع علي»، «إن فيكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله» من هو؟. أنا ذاك أنا، قال: لا، هو ذاك، «هو خاصف النعل» كان الإمام علي عليه السلام يخصف نعل رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله). علي بن أبي طالب حينما كان النبي يتحدث عنه بهذه العبارات المهمة «بمنزلة هارون من موسى» يقول عنه إنه «يحب الله ورسوله ويحبهُ الله ورسوله» ليعزز له هذا الدور المستقبلي في واقع الأمة.

الأمة حينما تختلف تتنوع اتجاهاتها أفكارها نظرتها إلى الدين تحدث التباينات الاختلافات من هو الامتداد المضمون الأوثق السليم الأعلى الأرقى الأنقى؟ هو هذا، تريد الحق «علي مع الحق والحق مع علي» تريد الحق في أوساط الأمة حينما اختلفت حينما تباينت حينما تنوعت أفكارها وتوجهاتها «علي مع الحق والحق مع علي» حينما تختلف الأمة على القرآن في مفاهيمه في دلالاته في تفسيره في مضمونه العملي من؟ «علي مع القرآن والقرآن مع علي» حينما تختلف الأمة على القرآن على نبيها في توجهاته في أفكاره في سيرته في سلوكه من يعبر عنه؟ «أنت مني» «يا علي أنت مني وأنا منك» يقول النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) «علي مني وأنا منه» يعني هو امتدادي، هو الذي يعبر عني، عن أخلاقي، عن سلوكي، عن سيرتي، إذا اختلفت الأمة عني.

وهكذا ثبَّت النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) ببلاغ ربه بأمر ربه ثبَّت هذه الرؤية، هذا الدور المستقبلي للإمام علي عليه السلام رحمة بالأمة.

الإمام علي عليه السلام في واقعه في سيرته شخصية عظيمة ليس هناك أي تعب ليس هناك أي اشكالية بشأنه حتى يرى الإنسان أنه شخص لا ينبغي أن يُفرض على الأمة، لا ينبغي أن يقدَّم للأمة، لا، عد إلى سيرته، عد إلى ما قدمه، عد إلى ممارساته، إلى سياساته، إلى أخلاقه، إلى تصرفاته، إلى أدائه حتى في الظروف والتحديات والمشاكل الكبيرة كيف تعاطى معها بكل حكمة، كيف راعى فيها مصلحة الأمة، كيف كان يركز على خير الأمة، كيف سعى إلى ما فيه منفعة الأمة، كيف عانى بشكل رهيب جدًّا، وفعلاً لو نتخيل أن عليًّا لم يكن له هذا الدور، ولم يكن هناك هذا الدور من أساسه كيف ستعصف بالأمة الأحداث تلك الأحداث الكبيرة جدًّا لكانت أثرت بشكل رهيب جدًّا على رسالة الله سبحانه وتعالى.

بقدر ما تتفاعل الأمة مع مبدأ الولاية بقدر ما ستكسب وتنتفع

على العموم تبقى المسؤولية على الأمة، بقدر ما هي تتفاعل، بقدر ما هي تتحرك، بقدر ما هي تستجيب في واقعها العملي مع مبدأ الولاية، تتولى الله ورسوله والذين آمنوا، كما قال الله بقدر ما ستكسب، تنتفع تحصل على النتيجة التي أكد عليها القرآن كنتيجة حتمية: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ فالتولي هذا هو سير في خط الإسلام سيرٌ والتزام، صحيح في المبادئ في القيم، في الأخلاق، في التعاليم، وعلي عليه السلام حينما تعود إلى سيرته يؤمن لك الارتباط بالنبي الارتباط بالقرآن الامتداد السليم والنقي والمريح والقدوة، القدوة العظيمة جدًّا.

مبدأ الولاية يشكل الضمانة لحماية الأمة من أكبر عملية اختراق تعاني منها الأمة اليوم

مبدأ الولاية اليوم هو يشكل الضمانة لحماية الأمة من أكبر عملية اختراق تعاني منها الأمة اليوم. اليوم بقدر ما يتمكن أعداء الأمة من إبعادها عن مبادئها

خصوصًا المبادئ المهمة الضامنة الحيوية في واقع الأمة التي تضمن للأمة الاستقلال والقوة، فالشكليات يمكن أن تخترق أن تُحتوى أن تُفرغ من تأثيرها، لكن المبادئ المهمة، والرئيسية والحيوية التي يتحقق بها استقلال الأمة، قوة الأمة، العدل في الأمة، الخير في الأمة، كل المبادئ التي لها أهمية في قيام الأمة، وإقامة الدين بكله، هذه المبادئ تُستهدف، القيم المهمة تُستهدف بشكل كبير جدًا، اليوم نرى أن هناك كثيراً من القيم الإيمانية، والقيم الإسلامية غائبة إلى حد كبير في أوساط الأمة، وغيابها نتج عنه فراغ كبير، مساحة كبيرة يستطيع العدو أن يتحرك فيها، يستطيع الصهيوني اليهودي يستطيع الأمريكي يستطيع أي ضال أو مفسد أو طاغية في العالم أن يجد أمامه بيئة مفتوحة.

الذي يحصن الأمة يبني الأمة يحافظ على كيان الأمة كياناً متماسكاً كياناً عظيماً كياناً قوياً هو تلك المنظومة من المبادئ والقيم والأخلاق وفي مقدمتها وعلى رأسها المبادئ الحيوية المبادئ المهمة فمبدأ الولاية هو منظومة، هو ارتباط قيمي، ارتباط مبدئي، ارتباط أخلاقي، ارتباط منهجي، ارتباط عملي، التزام عملي يمسك الأمة من هذا البعثرة، من هذا التفكك، من هذا الضياع، من هذا الشتات. اليوم هناك فراغ كبير في واقع الأمة الملايين في الأمة، ذهنياتهم فارغة، من يأتي يحشوها بأي حشو يريد، يأتي الأمريكي يحشوها، يأتي الإسرائيلي يحشوها، يأتي من هب ودب، كُلٌّ يؤثر كُلٌّ يشتغل في هذه الساحة.

نحن طالما نتألم، نعبر عن أسفنا من هذا الواقع المرير في العالم الإسلامي هذه الأمة التي يفترض أنها أمة النور، أمة القرآن، أمة الهدى، التي يفترض أن لديها من النور ما يحصنها من كل الظلمات، من الحق ما يحميها من تأثير الباطل، من القيم والأخلاق ما يجعل منها أمة عظيمة متميزة بتلك هي اليوم بيئة مستهدفة مفتوحة وفيها فراغ كبير، قيم كبيرة غائبة افسحت مجالاً للأعداء أتوا ليضعوا بدلاً عنها أباطيلهم ليضعوا بدلاً منها سمومهم التي تدمر الأخلاق، تدمر القيم، تدمر حتى الفطرة الإنسانية. [1]

وهكذا قدمت هذه القضية المهمة للأمة بهذا الوضوح الذي لم تشهده أي قضية أخرى بدءًا بلهجة الآية ومرورًا بالترتيبات التي قدمها النبي (صلوات الله

(١) خطاب حديث الولاية ١٤٣٧هـ

عليه وعلى آله) والتي تبين للأمة عظم هذه المسؤولية وخطورة التفريط فيها. ثم يختتم الله هذه المراسيم العظيمة بقوله سبحانه وتعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾[المائدة: ٢].

قدم الرسول يوم الغدير بطريقة توثيقية

فما قدم في يوم الغدير هو قدم بطريقة توثيقية للأجيال المتعاقبة لم يعلن الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) الولاية في مكة أو في عرفات وإنما عمل لها اجتماعًا خاصًا حتى لا تكون على هامش اجتماع آخر لأنها أهم من الحج وتشكل ضمانة لكل الدين ويوم الغدير تم فيه حديث الولاية.

اختيار المكان المناسب قبل تفرق الحجاج أين؟ في مفترق الطرق حتى تكون آخر حدث قبل تفرقهم عن رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ومتى؟ وقت الظهيرة في شدة حرارة الشمس. كيف كانت ظروف المكان؟ مكان لا ماء فيها وهي عبارة عن صحراء ليس فيها سوى ثلاث أشجار، حرارة من فوق وحرارة من تحت (يصف هذه الحالة بعض المشاركين بقوله كان أحدنا يضع نصف ردائه تحت قدميه والنصف الآخر فوق رأسه) وليس هناك حاجز يحول بينهم وبين النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) حتى يكون التبيين على أرقى مستوى.

أليست صحراء واضحة؟ وشمس محرقة؟ أي نور واضح، لا ضباب ولا أشجار، ولا صخرات، ولا مطبات، ولا شيء أمامهم، قضية واضحة، ثم ترص له أقتاب الإبل مع أن الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) والإمام علي (عليه السلام) لم يكونا قصيرين لكن ليدلل لنا أن هناك إبلًا وإذا كان هناك إبل يعني: أن هناك جمعًا، أن يكون هناك عدد كبير من أقتاب الإبل ترص له، أليس هذا يعني شهادة: بأن هناك أناسًا كثيرًا حاضرين؟ لا يمكن أقتاب إبل إلا والإبل كثيرة، ولا إبل كثيرة إلا ويوجد ناس؟ وليست القضية أحادية وإلا كان بالإمكان أن يعملوا له ترابًا.

أليس هذا شيء معلوم؟ ثم يصعد ولا يطلع هو بمفرده، وهم يعرفونه، ويعرفون صوته، وإنما يصعد معه بالإمام علي ويرفع يده حتى بان بياض إبطيهما.

حتى في الأسلوب الذي استخدمه الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) ربما أنه

لـم يستخـدم مثلـه طوال رسالتـه أن يجعل النـاس يتجاوبون معه ويـرددون معه ألم يسألهم في البداية قائلًا:

«أيُّها النـاسُ ! يوشَـكُ أنْ أُدْعى فأُجيبَ، وإنِّي مسؤولٌ وإنّكُم مَسْؤولونَ، فماذا أنتُم قائلُـونَ؟» قالـوا: نَشهدُ أنّكَ قَدْ بَلّغْتَ وجاهَـدْتَ، ونَصَحْتَ فجزاكَ اللهُ خيرًا. فقال: «ألَسـتم تَشْـهدونَ أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمّدًا عبدُه ورَسـولُه، وأنّ جنّتَهُ حَقٌّ وأنَّ نارَهُ حَقٌّ، وأنَّ الموتَ حَقٌّ، وأنَّ البَعْثَ حَقٌّ بَعدَ الموتِ، وأنَّ السّـاعةَ آتيةٌ لا ريبَ فيها، وأنّ الله يَبعثُ مَنْ في القُبُورِ؟».

قالوا: نشهد بذلك. قال: اللّهمَّ اشهد.

ثـم قال: «أيها النـاس ألسـت أولى بكم من أنفسـكم»؟ فأجابـوه بأجمعهم: بلى يا رسـول الله). فقـال لهـم: «إن الله مولاي وأنـا مولى المؤمنين فمـن كنت مولاه فهذا علـي مولاه» وهكذا تجـد البيان الواضح والأساليب التي لـم تستخدم على الإطلاق أمام أي قضية أخرى مهما كان حجمها.

ولـم يكتـف الرسول بأن يرسم المسـار السياسي لهم في عصرهـم وإنما إلى قيام الساعة فقد أردف قائلًا:

«أيُّهـا النـاسِ، إنِّي فَرَطُكُـمْ وإنّكُم وارِدونَ عَلَـيَّ الحوضَ، حوضٌ أعرضُ ممّا بينَ بُصْرى إلى صَنعاء، فيه عددُ النجومِ قَدَحانٍ منْ فضّة، وإنِّي سائِلُكُم حينَ تَرِدونَ عَلَيَّ، عَـنِ الثّقلينِ كيـفَ تَخلفوني فيهما، الثّقـلِ الأكبرِ: كتابِ اللّه عزّ وجلّ، سـببٌ طرفُهُ بيدِ اللّه تعالى، وطرفُهُ بأيديكم، فاستمسكوا به لا تَضلّوا، ولا تُبدّلوا، وعترتي أهلِ بيتي فإنَّه نبّأنِيَ اللّطيفُ الخبيرُ أنّهما لن يَنقضِيا حتّى يردا عليَّ الحوضَ».[1].

وهكـذا قدمـت هـذه القضيـة المهمـة للأمة بهـذا الوضوح الـذي لم تشهـده أي

(١) ابن حجر في الصواعق المحرقة، نقلًا عن الترمذي والنِّسائي وأحمد بن حنبل، وقد نصّ عليه أحمد بـن حنبل في مسنده وقـال: رواه ثلاثون صحابيًا، كما أخرجه النِّسائـي بعدّة طرق في خصائصه، ورواه ابن ماجة في صحيحه في باب فضائل أصحاب الرّسول، ص ١٢، ومستدرك الصحيحين، ج ٣ / ص ١١٦، والمفيد، والإرشاد، ص ٩٦ بتعبير آخر، والطبراني عن زيد بن أرقم، والفخر الرازي في تفسيره ج١٢ / ص٤٨، آية: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾، وأبو نعيم في حلية الأولياء، ج٥ / ص٢٦، والخطيب البغدادي في تاريخه، ج٧ / ص٣٧٧ برواية أبي هريرة، والمتّقي الهندي في كنز العمّال، ج١ / ص٤٨، ومن شاء المزيد فليراجع كتاب الغدير للأميني ج ١، ليرى رواية الحديث عن طريق ١١٠ من الصحابة و ٨٤ تابعيًا.

قضية أخرى بدءًا بلهجة الآية ومرورًا بالترتيبات التي قدمها النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) والتي تبين للأمة عظم هذه المسؤولية وخطورة التفريط فيها. ثم يختتم الله هذه المراسيم العظيمة بقوله سبحانه وتعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾[المائدة: ٢].

موقع الآية أعطى دلالة مهمة

قد يقول البعض لماذا وردت الآية الكريمة: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾.بين الحديث عن قائمة من المحرمات ولم ترد بعد الآية الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[المائدة:٦٧] .

وهنا يقول السيد حسين - رضوان الله عليه - بعد هذه الآية: (الدرس الحادي والعشرين من دروس رمضان):

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِالأَزْلاَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[المائدة: ٣].

هذه الآية روي بأنها نزلت بعد إعلان رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ولاية الإمام علي، وكلها جاءت في نفس السورة هذه، إنما لماذا لم تأت هناك؟ هذا أسلوب ربما قد مررنا بأمثلة له، عندما تجد هناك قضايا تبدو صغيرة وهي محط اهتمام، أليس هنا قضية مأكولات؟ تجدها محط اهتمام في هذا الدين، وتشريع دقيق، والتزامات تقوم على هذا التشريع، هدى في هذه القضايا الصغيرة، تعرف أن هذا الدين الذي يهدي الناس على هذا النحو الشامل، ولا يهمل القضايا الصغيرة، هل يمكن أن يهمل قضية كبيرة؟ هل يمكن؟.

إذًا موقع الآية هنا فعلًا مؤثر جدًا أن تكون هذه الآية هنا ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ في الأخير ترى ما هي الأشياء التي ذكرت هنا؟ ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ..﴾ إلى آخرها، هذا يعني ماذا؟ أن هذا من دين الله، تجد أن دين الله هو شامل، كامل، فهل يمكن أن تأتي، أو أن تقبل أنت - إذا كنت تفهم الدين على هذا النحو - أن قضية كبيرة قد يقوم عليها موت الأمة إذا ضاعت، ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ ألا يمكن أن يحرم على الناس ما قد يميتهم كأمة؟ هل يمكن أن يهمل قضية تقوم عليها حياة الأمة؟ لا يمكن هذا، ولاية الأمر، من يخلف رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، ولاية أمر الأمة، قيادة الأمة قضية هامة جدًا جدًا، إذا لم تكن على هذا النحو القرآني تموت الآمة، كيف يحرم عليك ميتة ولا يحرم على الأمة ما قد يميتها؟!.

ما حصل لم يكن لمجرد إعلان خلافة

يقول السيد حسين رضوان الله عليه:

إن ما حصل في هذا اليوم التاريخي (يوم الولاية) لم يكن مجرد إعلان خلافة فكلمة مولى وكلمة ولي هي أبلغ وأوسع وأشمل من كلمة خليفة، فالنبي (صلوات الله عليه وعلى آله) أعطى الإمام عليًا (عليه السلام) أوسع من لو قال هذا خليفتكم أو هذا خليفتي من بعدي، كلمة: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه» أشمل بكثير من كلمة هذا هو الخليفة من بعدي، الخليفة من بعدي هو يشير إلى منصب سياسي فقط يدير شأن الأمة إلى أن تنتهي حياته، لا، هنا أعطاه كامل المهمة التي كان يقوم بها الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) في حياته إلا النبوة؛ ولهذا كانت الكلمة التي قبلها: «ألست أولى بكم من أنفسكم؟» قالوا: بلى يا رسول الله. ألست أولى بكم من أنفسكم العبارة هذه تشير إلى الآية القرآنية ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾[الأحزاب:٦] أعطى هذه المكانة للإمام علي فهي ولاية، ولاية أمر مرجعية دينية وقيادة سياسية وعلم وقدوة وأسوة وكل ما كان للنبي (صلوات الله عليه وعلى آله) في هذا المجال إلا النبوة، أعطاه للإمام علي (عليه السلام) لم تكن المسألة فقط مجرد قيادة مثل ولاية عهد، لماذا؟ لأن الدولة في نظر الإسلام ليست مجرد تدبير شأن بل هي أيضًا هداية وقيادة، هداية وقيادة، تربية وقيادة وفق الآية

القرآنية: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف:١٨١] هداة في منطقهم، في عملهم، ويعدلون بين الأمة هنا إقامة العدل يعني دولة إدارة وهداية، ترافق هداية وإدارة ﴿أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾.

فلهذا نفهم كم هي قيمة كلمة: (ولي)، هو من يتولى مختلف الشؤون، الشؤون المتعلقة بك في إطار المهمة الكبرى المنوطة بك في مختلف مجالات الحياة وأنت تتحرك. هي نفسها ما أعطاه الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) عليًّا (عليه السلام) يوم الغدير عندما قال: «فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه».

كيف يجب أن ننظر إلى الإمام علي؟

إذاً فعَلـيٌّ ولايتنا له أن ننظر إليه كولي أمرنا، ما هو أمرنا؟ مهامنا في الحياة، مهامنا ونحن نربِّي أنفسنا ونرشدها لنزكيها، وليس كما يقال: الإمامة رئاسة عامة، أي: إقامة الحدود: نقتُل هذا، ونقطع يد هذا، ونجلد هذا، أليست هذه أوامر؟ الأمر الذي هو وليك فيه هو الأمر الواسع، هي المهام الواسعة في مقام تزكية نفسك، في مقام أداء مسؤولياتك في الحياة، هذه هي الأمور (من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم) ماذا يعني هنا كلمة (أمر)؟ هل تعني من لم يهتم بأن يأمر المسلمين فإذا لم ينفذوا ضرَبهم؟ هل هي هكذا؟

بأمر المسلمين: بأمورهم التي يجب أن تكون محط اهتمامه، أمورهم تلك المتعلقة بنفوسهم لتزكو، تلك المتعلقة بحياتهم لتُبنى وتعمر على الصلاح والعزة، تلك الأمور التي يجب أن تتهيأ لهذه الأمة وتجتمع عليها لتكون أمة عزيزة قوية، ألم تأت هنا: (من لم يهتم بأمر المسلمين) كما نقول: (ولي أمر المسلمين) ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾[الأحزاب:٦] ماذا تعني: ﴿أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾؟ هل أنك دائماً تتعامل مع نفسك أوامر؟ كيف يتعامل الواحد منا مع نفسه؟ هل أصدرت مرة أمراً على نفسك؟ أمر [اسْرَحْ يا حسين اطلب الله، اسْرَحْ يا حسين إلى السوق] سيقال له مجنون من يتعامل مع نفسه على هذا النحو، أليس كذلك؟

لكن نفسك هذه ما هي؟ ماذا يُراد لها؟ أليس يُراد لها أن تتعلم أن تزكو، أن تنطلق قائمة بالقسط، أن تكون عضواً في حزب الله، أن تكون جندياً من أنصار الله؟ أليست

هذه نفسك؟ طيِّب، من الذي سيبنيها على هذا النحو؟ دع النبي ليبنيها على هذا النحو، فهو أولى بك من نفسك؛ لأنك أنت لن تستطيع، لا تملك أيضاً أن تجعل من نفسك هذا الإنسان على هذا النحو ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾[آل عمران:١٦٤] ألم يقل: ﴿يُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾؟ يعلمهم ويزكيهم، أليست هذه هي التي تكررت في أكثر من آية: ﴿يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾[البقرة:١٢٩]؟ أي: يعلّم نفسك، يزكي نفسك، يؤهِّل نفسك، يبني نفسك، يثقفها، يُنوِّرُها.

﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ على هذا النحو، هو الذي يتولى بنايتها، وبالطبع أنت إذا لم تدع النبي يتولى هو أن يبني نفسك، ويتولى شؤون نفسك، ليجعل منك عنصراً صالحاً في هذه الدنيا؛ فستصبح ماذا؟ عنصراً باطلاً، عنصر ضلال، عنصراً مُخرِّباً، تكون خبيثاً، أين مكان الخبيث؟ جهنم، أليس كذلك؟ في يوم القيامة: ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ﴾[الأنفال:٣٧] أليس كذلك؟

أنت في هذه الدنيا إذا لم تجعل وليَّك هو الله ورسوله والذين آمنوا، ووليّك بمعنى تسلّم له نفسك، هو الذي يعلمها هو الذي يزكيها، هو الذي يُؤهِّلُها لتكون من حزب الله، لتكون من أنصار الله ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾[المائدة:٥٦] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ﴾[الصف:١٤] ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾[النساء:١٣٥] فتكون ممن يقومون بالقسط، هو يؤدبك، هو يُربِّيك، هو يثقفك، إذا لم تسلّم نفسك له وتشعر بأنه أولى بنفسك منك، أو أولى بك من نفسك - التعبير متقارب - فستصبح ماذا؟ شيطاناً وضالاً، وفي الأخير تتحول إلى خبيث، وفي الأخير يكون مصيرك جهنم. [1]

علينا أن نفكر أيضاً فيما جلبه مَن أقصوا علياً والقرآن الذي جاهد من أجله علي، وقُرن به علي، ما جلبوه من وبال وشقاء وفساد على هذه الأمة، وأن نرجع إلى ما قاله الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) في فضل علي؛ لنَدينَ بالولاء للإمام علي.

الولاء للإمام علي كما يقول الإمام الهادي، هو يعتبره ركناً لا بد منه بالنسبة للإنسان المسلم، لا بد أن يَدينَ بالولاء لعلي كما نَصّ على هذا في مقدمة (الأحكام) وفي داخل رسائله في (المجموعة الفاخرة).

(١) سورة المائدة - الدرس الثالث، للسيد حسين بدر الدين الحوثي.

بل جعل الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) - قبل ذلك كله - حُبَّ علي إيماناً وبغضه نفاقاً، بل جعله قَسيمَ النار والجنة كما ورد في الأثر، وعندما استبعد بعض الناس أن يكون علي قَسيمَ النار كيف يمكن هذا؟ فقال أحد العلماء[1]: ألم يقل فيه الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) «لا يُحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق»؟ قالوا: بلى. قال: فأين المؤمن؟ قالوا: في الجنة. قال: فأين المنافق؟ قالوا: في النار. قال: إذاً صح أن يكون علي قَسيم النار[2] يعني من يبغضه إلى النار ومن يحبه إلى الجنة، أليس هنا يقسم الناس نصفين؟ منافق للنار، والمؤمن لعلي في الجنة.

فلنستلهم من الإمام علي عليه السلام الرؤى الحكيمة، التوجيهات الحكيمة في مختلف الميادين، في مختلف المجالات.[3]

بل نجد القرآن الكريم عندما يحدثنا كيف نكون أنصارًا لدينه هو يؤهلنا في نفس الوقت، بدءًا من توليه هو؛ لأنها ثلاثة أشياء نسير فيها بشكل واع في تولينا، تولينا لله، تولينا لرسوله تولينا للإمام علي.

الولاية هنا امتداد لولاية الرسول

الإمام علي - عليه السلام - ولايته هي امتداد لولاية الرسول قائدًا من بعده للأمة قائدًا، معلمًا، مرشدًا، زعيمًا يعمل على هداية الأمة، يواصل مشوار الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - في بناء الأمة، في هدايتها، في إدارة شؤونها، في تطبيق دينها وفقًا لمسؤوليتها العظيمة ودورها العظيم، الإمام علي - عليه السلام - أبلغ الرسول أمته في بلاغه الشهير والذي نحرص من خلال إحيائنا لهذه المناسبة أن نحافظ على ذلك البلاغ ليبقى للأمة عبر الأجيال، شهادة للرسول بالبلاغ وإكمالًا للحجة وإتمامًا لها على الناس، الرسول خطب في الثامن عشر وقال في خطابه المشهور عندما وصل إلى الموضوع المطلوب «يا أيها الناس إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين أولى

(١) هو أحمد بن حنبل.
(٢) رواه بلفظ مقارب السيد العلامة علي بن محمد العجري في (مفتاح السعادة).
(٣) استشهاد الإمام علي، للسيد حسين بدر الدين الحوثي.

بهم من أنفسهم فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله» الإمام علي بمؤهلاته الإيمانية والربانية كان هو الجدير بهذا الموقع، كان لديه الكفاءة اللازمة لمسؤولية بهذا الحجم، مسؤولية عظيمة أن يخلف النبي صلوات الله عليه وعلى آله، ويتولى من بعده الموقع الأول في الأمة، هاديًا ومربيًا ومعلمًا وزعيمًا ومرشدًا وبانيًا لهذه الأمة[1].

محاولات فاشلة

من أغرب الأشياء وكنتيجة لثقافة أصول الفقه التي ضربت جمال اللغة العربية أن يأتي من تربوا على هذه الثقافة ليقولوا - بناء على هذه القواعد - بأن حديث الغدير دلالته على ولاية الإمام علي، على خلافته دلالة خفية؟ لماذا لأن كلمة (مولى تحتمل وتحتمل وتحتمل...) فيتعاملون مع المفردة وحدها متجاهلين ما يحيط بالقضية من عوامل وترتيبات حددت بجلاء لا لبس فيه المعنى المراد، ويتجاهلون كل عمل الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) كل ذلك العمل، وكل ذلك الكلام وكل تلك الترتيبات التي تبين بجلاء المراد من كلامه، يعني في الأخير أننا لم نفهم ماذا يريد؟!.

أليس هذا مما يدل على الإساءة إلى اللغة العربية نفسها، وإلى الرسول؟ يعمل الرسول تلك الأعمال ويعمل تلك الترتيبات ثم يتكلم ذلك الكلام ونحن في الأخير نقول: نحن لم نعلم ماذا تريد؟ أليس هذا معناه؟ إذًا فاللغة هذه. حسب قولهم. هي لغة لا يصح التخاطب بها، لغة لا أحد من الناس يستطيع أن يفهم الآخر ماذا يريد!.

هي لغة تعتمد على المقامات، تعتمد على القرائن، تعتمد على السياق، تعتمد على أشياء كثيرة تحيط بالموضوع فتقدم المعنى كاملًا وافيًا، وفي أجمل ثوب، وأزهى ثوب.. البلاغة أليس معناها أن يقدم المعنى في ثوب جميل؟ وليس فقط مجرد معرفة المعنى المراد، اللغة العربية تقدم المعنى المراد، بل تستطيع أن تقدمه في أزهى ثوب، بل تستطيع أن تقدمه في أعمق ما يمكن.

---

(١) خطاب الولاية ١٤٣١هـ للسيد عبد الملك بدر الدين الحوثي.

أليس القرآن الكريم يقول عنه الإمام علي (عليه السلام) بأنه بحر لا يدرك قعره؟ وهو كتاب عربي، هو بلغة العرب، لكن هذه اللغة التي نزل بها القرآن الكريم، الذي أصبح بحرًا لا يدرك قعره هي - في نظر أصحاب أصول الفقه - اللغة التي لا يفهم الناس ماذا يريد بعضهم بعضًا عندما يتحدثون بها!.

لاحظ الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) أليس أفصح العرب؟ لكن في يوم الغدير نزل من فوق أقتاب الإبل، ونحن لم نفهم ماذا يريد! قالوا: دلالة خفية، ليست قطعية، لماذا؟ لأن كلمة مولى تحتمل عدة معان! ألم تأت هكذا؟.

وهكذا تجد القرآن الكريم مفردات فيه كثيرة جدًّا تحتمل عدة معانٍ، الأحاديث التي وردت عن النبي فيها مفردات قالها الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) تحتمل عدة معانٍ! إذًا فالكل دلالته ظنية، والكل خفي، والكل لا أحد يستطيع أن يقطع بالمعنى المراد لله ولرسوله!.

فنفهم في مساجدنا، في مجالسنا عندما يتحدث الناس مع بعضهم بعض ألسنا نفهم؟ هل نحن نلحظ قطعيًّا وظنيًّا ونحن نتحدث مع بعضنا بعض؟ أم أن كل واحد يعرف ماذا يريد الآخر؟ هذا سؤال، عندما يجلس الناس في مجلس كهذا يتحدثون مع بعضهم البعض لفترة طويلة أليس كل واحد يفهم ماذا يريد الآخر؟ هل أنت تنظر إلى عبارة صاحبك بأنها قطعية أو ظنية؟ أم أن هناك أساليب توصل المعنى المراد إلى الإنسان من خلال ما يسمعه، ومن خلال الأجواء المحيطة بالكلام؟.

هكذا أساليب اللغة العربية، أساليب اللغة العربية هي على هذا النحو، يفهم الناس ما كان يريد رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) فهي لغة البيان ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾.

ولأنهم عندما يقولون: ظنيًّا هو لأننا لا نستطيع أن نحدد بعد المعنى المراد، ظني يعني يحتمل أن يكون أراد هذا، وأن يكون أراد هذا، وأن يكون أراد هذا المعنى الآخر، فأن نقول: إنه أراد هذا هو مجرد احتمال فقط، إذًا فأن نقول: إنه يدل على هذا مجرد ظنٍّ فقط؛ لهذا سمي ظنيًّا.

القرآن هو عربي نزل بلغتنا ونحن في الواقع لا نزال عربًا، لا تزال أساليب الخطاب العربي أكثرها ما تزال قائمة، وإن اختلف التعبير بالمفردات، لكن لا تزال مشاعر وأجواء الخطاب قائمة بين الناس، بل ربما حتى عند غير العرب، الإنسان

كإنسان له أسلوب في تخاطبه مع أبناء جنسه، قد يكون متقاربًا، قد يكون شبه واحد في مختلف اللغات وإن اختلفت المفردات.

مع أنه من إيجابية اللغة العربية أن المفردة الواحدة تدل على معانٍ متعددة ويكون السياق هو الذي يحدد المعنى، السياق وظروفه ظروف الخطاب ظروف وواقع الأجواء المحيطة بالخطاب هي التي تحدد حتمًا ما هو المقصود من المفردة، والناس في واقع حياتهم يتعاملون على أساس القطع، هم لا يتعاملون مع ما يسمعونه على أساس الظن، أن دلالته ظنية؛ لأن كل المفردات الآن حتى في واقع حياتنا عندما نأتي إلى خطابنا مثلاً، خطابنا لبعضنا بعض في حياتنا في معاملاتنا في مشاكلنا في أمورنا كلها يبني الناس فيها على أن الخطاب المدلول قطعي، حالات نادرة التي يبنون فيها على أنه ظني، حالات نادرة وإلا فالشخص منا يتكلم وهو مطمئن بأن كلامه قد فهم ولن يختلفوا حول المعنى المراد من كلامه، أو أن هذا الشخص يذهب إلى البحث في قائمة معاني تلك المفردة ليقول فيما بعد: احتمال أن المقصود هذا المعنى، واحتمال أن المقصود هذا المعنى، واحتمال أن المقصود هذا المعنى[1].

ويقول في الدرس الثالث المائدة:

تجد كلمة (وليّ) في القرآن الكريم استخدمت بشكل كبير في مجال العلاقة فيما بين الله وبين الإنسان وبين عباده بالذات المسلمين لتعبر عن أن مصاديقها متعددة، وليست معانيها - كما يقول البعض - متعددة (مولى) تأتي بمعنى كذا وبمعنى كذا وبمعنى كذا. كلمة (مولى) هي كلمة واسعة مصاديقها متعددة: في ميدان الهداية هو وليك يهديك، في ميدان المواجهة هو وليك ينصرك ويؤيدك. هكذا المحافظ يعمل مع الرئيس أليس كذلك؟ في ميدان المواجهة اتصال مستمر (ألووو يا فندم) ماذا نعمل؟ كيف نتحرك؟ أليس كذلك؟ في ميدان الثقافة في ميادين أخرى، أليس على اتصال مستمر به، هو وليه يستمد منه كذا، ويتلقى منه كذا، ويتحرك على وفق ما يرشده إليه، وليست فقط على نحو ما نتصور هكذا كنظرة الشخص منا للعلاقة بينه وبين الرئيس، القضية الآن معروفة؟

(١) كيف نهتدي بالقرآن للسيد حسين بدر الدين الحوثي.

فلهذا نفهم كم هي قيِّمة كلمة: (ولـيّ) هو من يتولى مختلف الشؤون، الشؤون المتعلقة بك في إطار المهمة الكبرى المنوطة بك في مختلف مجالات الحياة وأنت تتحرك، هي نفسها ما أعطاه الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) عليًّا عليه السلام يوم الغدير عندما قال: «فمن كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه» فيأتي بعد من لا يفهم فيقول: لماذا لم يقل: (خليفتي)؟ نفهم السلطة، نفهم العلاقة على أضيق نطاق، نفهمها ضيقة جداً، نفهمها من خلال ما فهّمنا الخلفاء الجبابرة والسلاطين الجبابرة عن العلاقة بيننا وبينهم، ومن خلال ما فُهِّمنا فعلاً من داخل كتب (علم الكلام) وكتب (علم أصول الفقه) تجعل علاقتي بالله كعلاقة أيّ واحد منا بـ(علي عبد الله).

انحططنا بشكل رهيب، أضعنا مسؤوليتنا، فلم نعد نعرف ما هي العلاقة بيننا وبين الله؛ فنرى كم هي متشعبة، ثم نرى كم هي واسعة، ثم نرى كم شؤونها متعددة، أو أن الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) ما كان يفهم ما كان يعرف كلمة (خليفة) وكلمة (سلطان) وكلمة (مَلك) وما كان يسمع هذه ولا يعرفها؟ هو يعرف، لكنه يريد أن يقول: أنت أيها الإنسان خليفة لربك في هذه الأرض، أنت أيها المسلم، أنت أيها العربي المسلم مَنُوطةٌ بك مهمة كبرى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[آل عمران:١١٠] أليس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إطارًا واسعًا جداً جداً؟ يشمل كل مجالات الحياة، يشمل كل المجالات: ونحن نتجه إلى الإنسان لنبنيه، كيف نربيه، كيف نثقفه، كيف نعلمه، كيف نصنعه، ويشمل كل مجالات الحياة، ونحن نبنيها ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[آل عمران:١١٠] إذاً المسألة ليست مسألة تسلط، بل مسألة هداية، الله يصف نفسه بهذا.

أليس الله سبحانه وتعالى وهو يهدينا ويرشدنا داخل كتابه الكريم يصف نفسه بالرحمة، أم أنه يصدر إرشاداته بشكل قوانين بشكل مرسوم ملكي، أو قرار من رئاسة الجمهورية: (مادة اثنين يعمل به من تاريخ صدوره، وينشر في الجريدة الرسمية)؟ أليس يصدر هكذا، أم أنه يقول: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ • حم • تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾[غافر:١،٢] ﴿تَنزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾[فصلت:٢] ﴿هُدًى لِلنَّاسِ﴾[البقرة:١٨٥] ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾[المائدة:١٦] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[الأنبياء:١٠٧]؟

ما هذا؟ منطق ماذا؟ منطق ولي، لا ينظر إليك نظرة تسلط وتجبُّر وهيمنة على النحو الذي تفهمه أنت من خلال علاقتك برئيس أو بملك من زعماء الدنيا، ليس على هذا النحو. أليس الله هو من يعرض كيف يحسن إلينا؟ ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾[النحل:٥٣] ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[لقمان:٢٠] أليس هو من يُدَلِّلنا ويسير بنا على نحو معين؛ لننطلق في السير على صراطه المستقيم؟ وهو يلفنا برحمة وبرفق ولين، هَلُمّ إلى هنا إلى الصراط المستقيم، تكاد - وأنت تتأمل - أن تنسى أن الله يتعامل معك كملك على النحو الذي أنت تفهم من خلال تعامل زعماء الدنيا معك.

(ولـيّ) يرعاك، يدبِّر أمرك، يهمه أمرك، يحرص عليك، يرحمك، يرفق بك، لا يريد أن تضل، لا يريد أن تشقى ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ﴾[آل عمران:١٠٨] وهكذا كان رسوله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) وهكذا العلاقة مع رسوله، وهكذا العلاقة مع علي بن أبي طالب عليه السلام .

إذاً فعَلـيٌّ ولايتنا له أن ننظر إليه كولي أمرنا، ما هو أمرنا؟ مهامنا في الحياة، مهامنا ونحن نربِّي أنفسنا ونرشدها لنزكيها،»[1]

أهمية ولاية الأمر التي قدمت في هذا اليوم

أهمية ولاية الأمر في الإسلام أنها تشكل ضمانة لاستقامة الدين، وحيوية الدين، متى ما كان الدين قائمًا، والدين حيًا، تكون الأمة قائمة وحية، الأمة مربوطة بهذا الدين. إذًا فهي قضية هامة جدًا، ليست قضية بسيطة يمكن التهاون بها، إذا لم تكن قائمة تستغل الكثير من تشريعات الدين استغلالًا سيئًا بما فيها المساجد، بما فيها الصلاة، بما فيها منابر المساجد، بما فيها الحج، بما فيها الزكاة، بما فيها منطق القرآن، تقديم القرآن نفسه، فهي تشكل ضمانة ضرورية جدًا جدًا لاستقامة الدين.

ولاية الأمر تشكل ضمانة، ضمانة دائمة، استقامة للدين، فتصبح الصلاة لها فاعليتها، المساجد لها فاعليتها، منابرها لها فاعليتها، الحج له فاعليته، الزكاة لها فاعليتها، القرآن له حيويته، وهكذا، إذا ما هناك شيء يموت الدين، وتموت الأمة..

(١) المائدة الدرس الثالث للسيد حسين بدر الدين الحوثي.

لهذا نرى الأمة ميتة، سبعة وخمسين زعيمًا، ومليار وأكثر من خمسمائة مليون مسلم كلهم ميتون.

حديث الولاية، وأحاديث أخرى متواترة عن رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) هو الكفيل بتحصين هذه الأمة حتى لا تقبل ولا تخنع لأولئك الذين يريدون أن يفرضوا عليها ولاية أمرهم، وهم اليهود الأمريكيون والصهاينة.

ولذلك كانت لهجة الآية واضحة: ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ إن لم تبلغ ما أنزل إليك من ربك فكأنك لم تعمل شيئًا، فكأنك لم تبلغ شيئًا، أليس هذا يدل على أنها قضية هامة جدًا؟.

معناه أن ما بلغته يفرغ من معناه فكأنه لا معنى له، هذا يعني: أن ولاية أمر الأمة. على أساس القرآن الكريم. تشكل ضمانة أساسية لمسيرة الدين، واستقامة الدين، استقامة الدين، واستقامة الحياة كلها.

إيماننا بولاية اللّه هو منسجم مع عدل اللّه وحكمته ورحمته

إيماننا بولاية الله هو منسجم مع عدل الله وحكمته ورحمته ولذلك يؤكد السيد حسين (رضوان الله عليه) في (أمر الولاية):

بأن من لا يعلنون ما أعلنه الرسول في هذا اليوم هم من يَصِمُون الله في حكمته، وفي عدله، وفي رحمته، هم من يضيفون النقص إلى الله.

كيف يجوز على الله سبحانه وتعالى، الذي سمى نفسه بالحكيم، العليم، العدل، الذي سمى نفسه بالرحمن الرحيم، أن يأتي لينظم شؤون كل أسرة، لينظم حتى المواريث، ثم لا ينظم شأن الأمة، ويترك الأمة دون أن ينظم أمرها!.

هل يجوز على الله؟ هذا لا يجوز على الله، لكن الآخرين جوزوه على الله، ولما جوزوا على الله أن يكون أهمل شأن الأمة رأينا عشرات الخلفاء، والرؤساء، والزعماء الذين هم بعيدون عن الإسلام يتقافزون على حكم المسلمين، وعلى أكتاف المسلمين جيلًا بعد جيل.

هل يجوز على الله أن يهمل أمر الأمة؛ ليفسح المجال لأولئك الذين لا يدينون

بدينه، ولا يخشونه، ولا يخشون اليوم الآخر، هل يجوز على الله أن يترك شأن الأمة؟ لا يجوز.

ويقول في حديث الولاية:

ولذلك نحن نقول ونعتقد: إن الإسلام دين ودولة، ومن الله جاء الإسلام هكذا: نظام شامل للحياة كلها، لا يمكن أن يغفل جانبًا من جوانبها، ولا أن يفسح ولا قيد أنملة للضالين والمضلين، والظالمين، أن يتحكموا على رقاب الأمة.

إنه دين الله الحكيم، الذي نزله الحكيم، على رسوله الحكيم، دين عظيم، من إله عظيم، نزل على رسول عظيم؛ لينشأ أمة عظيمة، لا مجال فيها لهؤلاء الضعاف، لا مجال فيها لهؤلاء الأقزام، الذين وجدناهم أقزامًا أمام اليهود.

أليس خزيًا علينا نحن المسلمين أن نرى زعماءنا، وهم أكثر من خمسين زعيمًا كلهم يقفون راكعين مطأطئين رؤوسهم أمام اليهود؟ هل هذا هو الإسلام؟ لا يجوز أن يكون هذا من الإسلام، ولا علاقة لهذا الموقف بالإسلام، ولا شرعية لهذه النوعية أبدًا في الإسلام.[1]

إيماننا بمبدأ الولاية هو إيمان بكمال الدين وشموليته

إن إيماننا بولاية الله، إيماننا بمبدأ الولاية كما قدمه الله في القرآن الكريم، وكما أعلنه الرسول في مثل هذا اليوم على المسلمين، إيماننا بهذا هو إيمان بكمال الدين، إيمان منا بأن دين الله كامل، أن الإسلام دين ودولة، أن الإسلام نظام كامل للحياة، الإسلام الذي قال الله عنه: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ﴾[المائدة:٣]. هذا الإسلام هو كامل، من كماله أن يشمل كل جوانب الحياة بالنسبة للإنسان سواءً الشؤون السياسية، أو الشؤون الاجتماعية، الشؤون الاقتصادية، كل شؤون الإنسان؛ لأن هذا الدين بحقيقته بجوهره هو نظام يسير عليه الإنسان، نظام لحياة الإنسان، وشمل كل جوانب حياة الإنسان.

فنحن - أيها الإخوة - إيماننا بثقافة الولاية، وإيماننا بمبدأ الولاية هو إيمان بكمال الدين، وأن الدين ليس بناقص، من يجعلون أمر الدولة في الإسلام قضية

(١) حديث الولاية للسيد حسين بدر الدين الحوثي.

غائبة لم يحدد فيها الإسلام منهجًا ولم ترتبط بالله هم يضيفون النقص إلى الله، يجعلون في دينه ثلمة ونقصًا خطيرًا جدًا، يترتب عليه ضياع شؤون الناس، ويترتب عليه ألّا يقوم الدين[1].

ثم إنه لا يمكن أبدًا أن نقول بأن الإسلام دين شامل ونظام شامل للحياة إذا نسبنا إليه أنه لم ينظم مسألة الدولة، لم ينظم مسألة الخلافة، لم ينظم مسألة قيادة الأمة، لا يمكن أن نقول إنه نظام شامل للحياة إطلاقًا.

الإيمان بمبدأ الولاية قضية يرتبط بها النصر

من جعلوا المسألة أمرًا موكولًا إلى الناس، إلى اختيارهم إلى مزاجاتهم إلى أهوائهم، كيف كانت النتيجة؟ ابتعادًا عن الله، وبالتالي ابتعادًا عن النصر، ابتعادًا عن الغلبة، فسببوا نكبات كبيرة للأمة.

التولي لله الذي هو قائمٌ على أساس إيمان، وثقة، ومسؤولية، وجهاد، وعمل، وطاعة، وتصديق، وثقةً قويةً بالله سبحانه وتعالى.

التولي للرسول اقتداءً به، تمسكًا به، سيرًا على هديه، تمسكًا بنهجه، توليًا للإمام علي - عليه السلام - كرمزٍ للأمة بعد نبيها، ووليٍّ لها من عند الله بعد نبيها - صلوات الله عليه وعلى آله - هذا هو ما يفيد الأمة ويضمن لها من الله النصر والتأييد والعزة وفق هذا الوعد الإلهي الذي لا يتخلف أبدًا لأن الله لا يخلف وعده، ولا يبدل قوله وهو جل شأنه هكذا قال ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾.

ولاية الإمام علي تحصن الأمة من تولي اليهود والنصارى

يقول السيد حسين - رضوان الله عليه - في (سورة المائدة الدرس الأول):

«عندما تلاحظ الآيات من أولها من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ

(١) خطاب يوم الولاية ١٤٢٩هـ للسيد عبد الملك بدر الدين الحوثي.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[المائدة:٥١ـ٥٥]

لاحظ الربط المهم، الربط الشديد بين قضية ولاية الإمام علي عليه السلام في مقام، وبين التأهيل للأمة في مواجهة اليهود والنصارى، مواجهة اليهود والنصارى في ميدان المواجهة، وتحصين القلوب أيضاً من أن يصيبها مرضٌ فتصبح ممن تتولى اليهود والنصارى، أو ترتد بعد إيمانها، فقال هناك: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾[المائدة:٥٢].

إذاً فولاية الله ورسوله والإمام علي بن أبي طالب هي فعلاً عندما تملأ القلب ستملؤه إيماناً واعياً، ستُحصِّن القلب من أن ينفذ إليه أي ذرة من ولاء لليهود والنصارى أو لأولياء اليهود والنصارى، ستُحصِّن الإنسان نفسه من يحمل هذا القلب من أن يصبح مرتداً عن دينه، ستحصنه أيضاً من أن يصبح طائعاً لأهل الكتاب، لفريق من أهل الكتاب كما في الآية الأخرى في سورة (آل عمران) فيرتد بعد إيمانه كافراً.

إذاً هي مهمة جداً، مهمة جداً في المقامين: في مقام الحفاظ على نفسي بعيداً عن هذه الخطورة العظيمة، وفي مقام تأهيل نفسي لضرب مصدر ذلك الخطر العظيم.

تولي الإمام علي مفتاح الهداية بالقرآن

نحن شيعة علي (عليه السلام) هل وجدنا أنفسنا في يوم من الأيام محرجين أمام آية قرآنية؟ أو وجدنا أنفسنا محرجين أمام حديث قاله الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)؟ لا، لماذا؟ لأننا تولينا من هو منسجم مع القرآن، قال عنه الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله): «علي مع القرآن والقرآن مع علي».

عندما تتولى علياً فإن تولي علياً هو مفتاح لأبواب الهداية بالقرآن، وستجد نفسك لا تصطدم مع آية قرآنية، لكن الآخرين هم من يتقافزون على الآيات القرآنية! هذه، لا؛ لأنها تمس بمقام فلان! هذه الآية وإن كانت فيها لهجة قاسية يسمونها عتاباً رقيقاً، وعتابا لطيفاً؛ لأنها تمس بمقام فلان، ومقام فلان، أو مقام الصحابة الأجلاء! وهكذا.

ما أسوأ الإنسان عندما يعتقد باسم الإسلام عقيدة تجعله غير منسجم مع القرآن، تجعله مرتاباً في نفسه أمام القرآن، والقرآن هو الذي يقول الله عنه: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾[البقرة٢] فأي عقيدة تنسجم معه هي العقيدة التي لا ريب فيها[1].

التولي للإمام علي هو بوابة التولي للّه ولرسوله

فالإمام علي(عليه السلام) هو حامل القيم الإيمانية التي تؤهله لقيادة الأمة، وأن يكون هو حلقة الوصل الأمينة والوثيقة والتامة للأمة بنبيها (صلى الله عليه وعلى آله وسلم).

فالأمة اختلفت بعد نبيها أشد الاختلاف، وأمام تشعُّب الطرق وتعدد السبل واختلاف المسالك؛ فإن الامتداد الأصيل والنقي والتام للنهج المحمدي والموصل إليه هو علي(عليه السلام) كما قال رسول الله(صلوات الله عليه وعلى آله): «عليٌّ مع القرآن والقرآن مع علي» وكما قال(صلى الله عليه وعلى آله): «عليٌّ مع الحق والحق مع علي» وكما قال(صلى الله عليه وعلى آله): «يا عمار إذا سلك الناس واديًا وسلك عليٌّ واديًا فاسلك وادي علي».

ونحن في هذه المسيرة نحن ننطلق هذا المنطلق، نسلك وادي علي الذي يوصلنا ويربطنا بالنهج المحمدي إلى الصراط المستقيم، وذلك ما نطمئن إليه ونثق به ونحن منه على يقين.

ويقول(صلى الله عليه وآله وسلم): «يا علي لا يُحبك إلا مؤمن، ولا يُبغضُك إلا منافق» في هذا المسار الإيماني وهذا المسلك الذي هو مسلكٌ مؤكد ينطلق فيه الإنسان على بيّنةٍ وبصيرةٍ وهدىً بكل وثوق؛ ليصل بك فعلا إلى المنهج المحمدي الأصيل.

والإمام علي(عليه السلام) هو الأكمل والأرقى بكمال إيمانه وقيمه لقيادة الأمة حاذيًا بها حذو نبيها، ولديه المؤهلات اللازمة، إيمان عظيم بالله؛ ولهذا قدمته الآية المباركة بأول صفة من صفاته وهي الصفة الإيمانية ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ إيمان عظيم بالله على أرقى درجات الإيمان، يؤهله

(١) خطاب أمر الولاية للسيد حسين بدر الدين الحوثي.

لأن يكون في مستوى المسؤولية الكبيرة والعظيمة، رحمةٌ عظيمة بالأمة، ليس متجبرًا ولا طاغيًا ولا مُتعسّفًا ولا ظالمًا، رحمة عظيمة بالأمة، واستيعاب عظيم لهدى الله ولمنهج الله، وعلم كبير به؛ فهو الأذن الواعية، وهو باب مدينة علم رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله).

فتولينا للإمام علي(عليه السلام) يمثل حلقة وصل وامتدادًا لولاية النبي وامتدادًا لمشروعه العظيم، ومجسدًا لقيم الإسلام وارتباط الأمة به ارتباط بمسار الهداية الذي يوصلك إلى الرسول ومن الرسول إلى الله، وتأثر الأمة به له مردوده التربوي العظيم في عزمها وفي همتها وفي استشعارها للمسؤولية، وفي تفانيها في سبيل الله، وفي مواجهتها للتحديات، وفي سائر الأمور التربوية.

ثم هو النموذج الأرقى والأسمى والأكمل الذي يجب أن تتطلع الأمة إليه لمعرفة المعايير والمؤهلات لقيادتها التي يمكن أن تقودها في مسار الولاية الإلهية، فولاية أمر الأمة وموقع قيادة الأمة هو من الأساسيات في إطار الولاية الإلهية التي تحقق للأمة ارتباطها بها وفوزها بمكاسبها، هذا هو مبدؤُنا، هذا هو فهمنا لتلك النصوص من كتاب الله ومن بلاغ الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)[1].

لن ترفع الأمة رأسها حتى ترفع يد رسول اللّه ويد علي

هل تعتقد أن التولي قضية سهلة؟ القرآن الكريم خاطب اليهود الذين كانوا في زمن الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) وهم من لم يقتلوا الأنبياء السابقين، هم أنفسهم الموجودون لم يعيشوا فترات طويلة حتى يكونوا هم ممن شارك في قتل الأنبياء السابقين، خاطبهم القرآن على أنهم يقتلون الأنبياء بغير حق ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[البقرة:٩١] ألم يخاطبهم هكذا؟ لماذا أصبح هؤلاء الذين عاشوا في زمن الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) يُخاطَبون بأنهم قتلوا الأنبياء؟ وكم بين ذلك اليهودي الذي في زمن الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) في زمن تنزل القرآن، وبين أولئك اليهود السابقين الذين قتلوا الأنبياء قبل مئات السنين؟ أليس الفارق مئات السنين؟ ما الذي جعله يُخاطَب

(١) خطاب يوم الغدير ١٤٣٤هـ للسيد عبد الملك بدر الدين الحوثي.

بأنه قَتل قتل؟ لأنه تولّى أولئك وعدّهم السلف الصالح له، فتولاهم. فأصبح حكمه حكمهم؛ فقيل له: أنت قاتل.

وهكذا الذين يهتفون الآن بأنهم يتولون السلف الصالح ممن قتل علياً وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) فاطمة نفسها قُتلت كَمَداً، قُتلت كَمَداً وقهراً وهي ترى هذا الدِّين يُعْصَفُ به من أول يوم بعد وفاة والدها رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) لم تَبْكِ على (فَدَك) فدك قضية تؤلمها لكن لم تَبْكِ عليها، ولم تمت كَمَداً على فدك، إنما ماتت كَمَداً على هذه الأمة.

إلى أن يقول:

رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) في كل حركة من حركاته يعطي مؤشر هداية للأمة، عندما يرفع يده ويد علي ماذا يعني؟ رفعة الأمة. فوق أقتاب الإبل، ألم تُجْمَعْ له أقتابُ الإبل؟ أنتم يا رعاة الإبل يمكن أن تكونوا أرفع أمة إذا رفعتم هاتين اليدين، ألم يكن العرب هم رعاة الإبل، هم رجال الصحراء؟ وكان الاجتماع للغدير في الصحراء، ومن فوق أقتاب الإبل تُرفع يَدُ رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) ويَدُ عليٍّ عليه السلام وكأنه يقول: أنتم يا أبنا الصحراء، ويا رعاة الإبل، يمكن إذا رفعتم هاتين اليدين أن تُرْفَعُوا، وتكونوا أنتم مَن يرفعُ لواءَ الله، وكلمة الله في الأرض، ومَن تكون لكم السيادة على الأمم. لكنهم تَخَلَّوْا عنها؛ فأصبحوا ولا حتى رعاة إبل، أصبحوا حتى لا يحملون ذلك الإباء الذي كان يحمله البدوي الذي يرعى الإبل، لم يعودوا يحملون تلك الشهامة، وتلك النفوس الرفيعة التي كان يحملها البدوي الذي كان يرعى الإبل، فكان يأبى أن يخضع لكسرى أو لقيصر، وكان يأبى أن يُظلم أبسط الظلم. هبطوا هبطوا حتى أصبحوا مَن يُصَفقون للظالم، مَن يُؤيِّدون الظالم، مَن يُعَنفون مَن يرفعُ رأسَه بإباءٍ وشرف.![1]

لماذا نقيم مناسبة يوم الولاية؟

مناسبة يوم الولاية وحديث الولاية الذي نقيمه كل عام هي مناسبة لها عمقها التاريخي والثقافي بالشكل الذي يجعلها أهم مناسبة في حياة الأمة الإسلامية

(١) آيات من سورة آل عمران - الدرس الرابع للسيد حسين.

وهي القضية التي تحتاجها الأمة في كل زمان ومكان وتمثل الحل والمخرج لها في كل العصور والآلية التي على أساسها يبنى واقع الأمة الإسلامية بناء قرآنيًا يجعلها أمة عظيمة قادرة على أداء مسؤوليتها التي كلفت بها وجاهزة لمواجهة أعدائها بكل أنواعهم وأصنافهم بعيدة عن ظلم الظالمين وهيمنة المستكبرين وطغيان المتسلطين.

يقول السيد حسين -رضوان الله عليه-:

«إن جهل الأمة في ماضيها بولاية الأمر، وأهمية ولاية الأمر هو الذي جعلها ضحية لسلاطين الجور، وإن الجهل الذي امتد من ذلك الزمن، وفي هذا الحاضر هو نفسه الذي سيجعلها ضحية لأن يملك تعيين ولاية أمرها وتثقيفها بمعاني ولاية الأمر فيها، وتعيين من يَلِي أمرها، هم اليهود الصهاينة من الأمريكيين والإسرائيليين.

إن الأمة أحوج ما تكون إلى ثقافة صحيحة بكل ما تعنيه الكلمة، ثقافة (حديث الغدير) ثقافة (حديث الولاية) «**أيها الناس إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين أولى بهم من أنفسهم فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله**». إن هذا الحديث مع تلك الآية القرآنية تعطي ثقافة كاملة لهذه الأمة تحصنها من الثقافة التي تُقَدَّم إليها لتكون قابلة لأن تُفرض عليها ولاية أمْرٍ يهودية».[1]

الرسول أول من سن الاحتفال بالغدير

يقول السيد عبد الملك حفظه الله:

«هكذا عمل الرسول فنحن نعمل كعمله، رتب للغدير احتفالًا خاصًا وأعلن الولاية في حفل خاص، نحن نحيي الذكرى سنويًا، هو أول من سن لنا الاحتفال بالغدير سواء تفسر كيفما تفسر، نحن الآن عندما نتحدث عن الغدير نقول بأنه نفسه يكشف لنا كشيعة، يكشف لنا بأن المسألة بالغة الأهمية وأنها كما قال الإمام الهادي (عليه السلام) ولاية الإمام علي فرض على كل مسلم، فرض على كل مسلم

(١) حديث الولاية للسيد حسين بدر الدين الحوثي.

وقال هذا القول كل علماء آل الرسول (اللهم صل عليه وعلى آله) هذا القول هو قول كل العلماء من آل الرسول أن ولاية الإمام علي فرض على كل مسلم.

ولو أن الأمة عادت إلى مثل هذا اليوم وما قدّم فيه الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) من بلاغ مبين ومن أسسٍ مهمة في ولاية أمر الأمة لما ظلمت ولما تمكن المفسدون والطامعون والظلمة والمستكبرون من الهيمنة عليها وإذلالها، ولكن تهاون الأمة ببلاغ الرسول في هذا اليوم والحلول التي قدمها جعلها أمة تعيش حالة رهيبة من الظلم والاستبداد وبالشكل الذي لم يحصل لأي أمة أخرى حتى ظهرت في الأخير أمة عاجزة عن أداء دورها في هداية البشرية مفارقة لخيريتها التي تؤهلها لتكون أمة جديرة بنشر المعروف في كل بقعة من بقاع العالم وقادرة على إزالة المنكر من هذا الوجود.

فاجتماعنا في هذا اليوم وإحياؤنا لهذه المناسبة هو تجسيد واقتداء واتباع لاجتماع تاريخي قبل ألف وأربعمائة عام، اجتماع في حضرة الرسول الأكرم محمد (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) نعمل من خلال اجتماعاتنا هذه أن يبقى صدى صوت رسول الله ويبقى بلاغه قائمًا عبر الأجيال، يبقى ذلك البلاغ الذي أداه رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) من فوق أقتاب الإبل والمؤمنون يسمعونه في حالة كهذه، تحت حرارة الشمس في غدير خم، في تلك البقعة التي قُدم فيها بلاغ له أهميته الكبيرة في الإسلام، حتى إن الله قال للرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم): ﴿بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾[المائدة:٦٧].

فاجتماعنا وحرصنا على أن يبقى صوت الرسول وبلاغه وكلماته النيرة التي حملت إلى أمته مضمونًا مهمًا وقاعدة هامة وأساسًا هامًا في الدين يترتب عليه مصير هذه الأمة، وهو موضوع الولاية».

ويقول السيد حسين رضوان الله عليه في خطاب(أمر الولاية)منتقدًا من يخفون عن المسلمين مثل هذا الحدث:

«فنحن عندما نحيي هذه الذكرى؛ لأن هناك - وكما قلنا أكثر من مرة - وكل من يراقب الأحداث منكم، وكل من يراقب ما يعمله حتى من يسمون أنفسهم دعاة للإسلام، هل يتحدثون عن هذه الحادثة؟ ما أكثر الجامعات الإسلامية! ما أكثر المراكز الإسلامية! ما أكثر الدعاة بذقونهم الطويلة، وثيابهم القصيرة! ما

أكثر من يتحدثون باسم الإسلام، وخدمة السنة!. هل سمعتموهم مرة من المرات يتحدثون عن يوم الغدير؟! لا.

إن يوم الغدير هم يشهدون بأنه حادثة لا شك فيها، قضية متواترة، قضية مسلَّمة، لا أحد يشك من المسلمين بأنها حدثت، وفي أن الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) قال في ذلك اليوم على مرأى ومسمع من الحجاج الذين حجوا معه في تلك السنة: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم والِ من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله».

دعاة سنة رسول الله! أليس هذا من السنة؟ من يتشدقون دائمًا بأنهم أنصار للسنة، ودعاة للسنة، نقول لهم: هناك حديثان مهمَّان، يرتبط بهما مصير الأمة، مستقبل الأمة، لا تتحدثون عنهما، وهما من الأحاديث، الصحيحة، المتواترة، التي لا شك فيها، في مراجعكم الحديثية، لا تتحدثون عنهما! ونحن نراكم تتحدثون عن أحاديث ضعيفة وباطلة، تتحدثون عنها كثيرًا.

هل هذا هو أسلوب من يسمون أنفسهم أهل السنة؟ أو أنصارًا للسنة؟ لا، إن أنصار السنة هم من ينصرون رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، ويقفون مواقفه، ويعملون على أن يمتد بلاغه في الأمة جيلًا بعد جيل، كما نحن في هذا اليوم بإذن الله وبمشيئة الله نقول إننا نبلغ عن رسول الله - صلوات الله عليه وعلى آله-».

ويقول السيد عبد الملك حفظه الله:

«إن ثقافة الغدير مثلما نحتاج إليها في هذا العصر في مواجهة ثقافة ولاية اليهود والنصارى وهيمنتهم وتسلطهم وطغيانهم نحتاج إليها في هذه المرحلة من تاريخ أمتنا في موضوع ذي أهمية قصوى، إن أمتنا - أيها الإخوة المؤمنون - تعيش في هذا العصر في حال هزيمة وانكسار وسقوط، فكثير من أقطارنا الإسلامية سقطت تحت هيمنة اليهود والنصارى، وأمتنا تلاقي من الإذلال والقهر والقتل والاضطهاد واحتلال الأرض ونهب الثروة وانتهاك العرض، ودوس الكرامة، والهيمنة على كل شؤونها على مستوى لم يسبق له مثيل.

إذًا أمتنا تحتاج إلى مشروع انتصار، أمتنا بحاجة إلى أن تعرف ما الذي يخرجها من حالة الذل إلى حالة العز؟ ما الذي يخرجها من حالة الهزيمة إلى حالة النصر؟ ما الذي يخرجها من حالة الشتات والفرقة والشقاء إلى حالة الوحدة والاجتماع،

إلى حالة العزة والقوة؟ هذا شيء تحتاج إليه أمتنا، لكن الطريق واضح، وبلاغ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بيِّن، وآيات الله ساطعة واضحة بينة.

إن الله جل شأنه رسم طريق العز التي إن سارت فيها الأمة ستكون أمة منتصرة، وتكون أمة قوية، أمة تكسب من ولائها عزمًا من عزيمة علي، وتكسب أيضًا لأن تحمل بنادقها وأسلحتها بأسًا من ذي الفقار.

فالله جل شأنه عندما قدم لنا موضوع الولاية، ربط به النصر، إذًا هو موضوع يرتبط به مصير هذه الأمة، مصير هذه الأمة، إنْ نصرًا أو هزيمة، أو عزًا أو ذلًا، أو خيبة وشقاءً أو عزًا وسعادة، مصير هذه الأمة يرتبط بموضوع الولاية، إن الله جل شأنه عندما قال: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ وَمَن يَتَوَلَّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾[المائدة: ٥٥-٥٦] هم الغالبون.

الذين يستجيبون لله فيسيرون في طريق الولاية، يؤمنون بولايته، يؤمنون بولاية رسوله، يؤمنون بولاية الإمام علي (عليه السلام)، ثم يبقى موضوع الولاية عبر الأجيال على أساس هذا الامتداد، الذين يسيرون في هذا الطريق هم المنتصرون حين تنهزم الأمة، هم الغالبون حين تُغلب الأمة، هم القاهرون حين تُقهر الأمة».[1]

ويقول:

«مناسبة الغدير بثقافتها تجاه مسألة الولاية، هذه المناسبة التي تدفعنا الاتجاه الصحيح، ثقافة القرآن الكريم أن نتولى الله، أن نتولى رسوله، أن نتولى الذين آمنوا هذا الاتجاه الصحيح الذي ينسجم مع انتمائنا للإسلام، ينسجم مع القرآن الكريم، ينسجم مع هويتنا الأساسية الذي فيه الخير لنا، فيه العزة لنا، فيه الكرامة لنا، فيه السعادة لنا، فيه عزتنا وقوتنا وخيرنا في الدنيا والآخرة: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾[المائدة:٥٦].

فنحن عندما نعلن في هذه المناسبة تولينا لله ورسوله والذين آمنوا وفي مقدمتهم علي بن أبي طالب (عليه السلام) فهذا ما يوجبه علينا ديننا وما تتوقف

(١) من خطاب الولاية للسيد عبد الملك لعام ١٤٢٩هـ.

عليه عزتنا وكرامتنا وقوتنا ونجاتنا وسعادتنا. هذا هو المسار الذي سيربطنا بالله ورسوله هذا هو المسار الذي اختاره الله لنا وسمانا عندما نسير عليه حزبه الغالب.

هذه الثمرة العظيمة التي تحصل ما الذي يقابلها؟ الذي يقابلها حسب المنطق القرآني هو التولي لليهود والنصارى واتخاذهم أولياء أن يكون ثمنه ذلة وهوان وضعف وعجز وشتات وفرقة وشقاء ونكد، في مقابل ذلك هذا الربح العظيم في تولي الله ورسوله، تولي الإمام علي (عليه السلام)، تولي هداة الله وأوليائه ورموزه لعباده، أن يكون الثمن هو القوة، هو النصر، هو الغلبة، أن تكون الأمة بدلًا من أن تكون أمة مغلوبة تكون أمة غالبة، بدلًا من تكون أمة مستضعفة تكون أمة قوية، بدلًا من أن تكون أمة مستذلة مهانة تكون أمة عزيزة بعزة الله، بعزة رسوله، بعزة الإمام علي، بعزة الإيمان، بعزة القرآن الكريم، فهناك مساران وتوجهان متباينان لا بد للإنسان أن يكون في أي منهما.

وبالتالي الأمة بين خيارين لا ثالث لهما: إما أن تكون في هذا الاتجاه الذي تقدمه ثقافة القرآن الكريم، تقدمه ثقافة الغدير، تقدمه ثقافة الولاية، إما أن تكون في هذا الاتجاه تتولى الله وتؤمن بولايته عليك، وأن ولاية رسوله امتداد لولايته، وأن ولاية الإمام علي (عليه السلام) امتداد لولاية الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، وأن ولاية أولياء الله والهداة لعباده امتداد لولاية الله سبحانه وتعالى وفي إطار ولاية الله سبحانه وتعالى، ولاية قائمة على الرحمة، ولاية تبني أمة على أساس الرحمة والحكمة والعزة، تبني أمة لتكون قوية، تبني أمة لتكون بمستوى مسؤوليتها الكبرى في الأرض كأمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، أمة لها مسؤوليتها العالمية في إقامة الحق، في إقامة العدل، في مواجهة الظلم ولتكون بمستوى هذه المسؤولية في عزتها، في قوتها، في حكمتها، في ارتقاء وزكاء نفوس أبنائها.

أو سيكون البديل هم اليهود والنصارى والذلة والخنوع والعبودية والهوان كما هو حاصل في هذه المرحلة لأمة ابتعدت عن التولي الحقيقي لله ورسوله والذين آمنوا.

هذان المساران المتباينان إما أن يكون الإنسان في هذا الاتجاه كمسلم وهذا الشيء الطبيعي للإنسان كمسلم، اتجاه أن نتولى الله ورسوله والإمام عليًا (عليه

السلام) ومن هم امتداد للإمام علي (عليه السلام) في إطار ولاية الله سبحانه وتعالى، أو الاتجاه الآخر المباين لهذا الاتجاه؛ لأن الاتجاه الآخر اتجاه اتخاذ أمريكا وإسرائيل أولياء معناه: أن يكونوا هم من يتحكمون في شؤون هذه الأمة، أن يكون ما هو سائد في واقع الناس، ما يفرض على الناس، ما يعمله الناس، ما يتوجه فيه الناس، ما يُلزَم الناس به، ما يُلزَم الناس بالتوجه إليه، ما يُلزَم الناس بالتقبل له ما تريده أمريكا لا ما يريده الله، ما تريده أمريكا لا ما يأمر به الله، ما تقرره الإدارة الأمريكية لا ما يأمر الله به في كتابه، فيأمر الله بأمر ويوجه توجيهًا معينًا ويكون هناك في المقابل إرادة أمريكية مناقضة لهذا التوجيه الإلهي، توجه أمريكي، أمر أمريكي يعارض هذا التوجيه الإلهي، فهناك يُؤْثَر ما تريده أمريكا على ما يريده الله، فيكون المُتبع، يكون المُتقبَّل، يكون السائد، يكون ما يُدفَع إليه الناس، ما يُؤمَر به الناس، ما يُوجَّه إليه الناس، ما تُبنَى عليه حياتهم، ما تُبنَى عليه شؤونهم، ما تُدار به أمورهم سياسيًا، اقتصاديًا، ثقافيًا في كل أمورهم وشؤونهم ما تريده أمريكا وإسرائيل، ما تقرره أمريكا وإسرائيل، ما تأمر به أمريكا وإسرائيل، لا ما أراده الله، لا ما أمر به الله، لا ما قرره الله.

يكون المُتبَع بدلًا من القرآن الكريم وتعليمات القرآن الكريم تعاليم الإدارة الأمريكية، وما يقدمه السفير الأمريكي والمسؤولون الأمريكيون الذين يزورون هذه الدولة العربية أو تلك الدولة العربية، يكون هَم الزعيم العربي أو الحاكم العربي أو النظام العربي أو الحكومة العربية المعينة أن تُمضي على شعبها، أن توجه شعبها، أن تقرر في شؤون شعبها ما تريده الإدارة الأمريكية، وما الذي ستريده الإدارة الأمريكية؟ ما الذي ستقدمه أمريكا وإسرائيل لأمتنا ولشعوبنا كعدوة حاقدة لا تريد لنا أي خير، كفئة ليس لها إنسانية ولا ضمير ولا شرف ولا أخلاق ولا مبادئ، كفئة تعادي الله وتعادي البشرية وتعادي الإنسانية؟ هل يمكن أن يقدموا لنا ما فيه خير لنا؟ كل ما يقدمونه من خطط، كل ما يفرضونه علينا من رؤى، من ثقافات في أي شأن من شؤون حياتنا سياسيًا أو اقتصاديًا أو عسكريًا هو بما يضرب أمتنا.

فهذه المناسبة العظيمة وما جرى فيها لها قيمتها الكبيرة؛ لأنها التي تقدم لنا الرؤية الصحيحة ثقافة القرآن، موقف الإسلام تجاه مسألة الولاية، من نتولى

وإلى أين يكون ولاؤنا؟ من يحكمنا، من يتحكم في شؤوننا؟ أين يكون توجهنا في ذلك كله؟ هل إلى الله، إلى ولايته، إلى ما هو امتداد لولايته التي هي قائمة على الرحمة، قائمة على الحكمة، قائمة على العزة، قائمة على الخير، قائمة على السعادة في الدنيا والآخرة، يترتب عليها أن نكون أمة غالبة، يكون الله معنا ينصرنا، يعزنا، يؤيدنا، يكون بذلك فلاحنا وخيرنا؟ أو الاتجاه الآخر الذي يوجد دفع للأمة فيه بشكل غير مسبوق، تجاهه بشكل لا نظير له، تُسخر من أجله كل الإمكانيات، إمكانيات الشعوب نفسها، ثرواتها المادية، إمكاناتها كلها تتجه فيه الحكومات العربية بكل ثقلها وبكل إمكاناتها، مع أنها في نهاية المطاف هي ستكون خاسرة، الحكام العرب، الزعماء العرب أنفسهم في نهاية المطاف سيخسرون كل شيء؛ لأنه اتجاه يترتب عليه الخسران ويترتب عليه الندم كما أكده القرآن الكريم.

وإننا في هذا العصر في هذا الزمن في هذه المرحلة نحتاج إلى أن نتفهّم موضوع الولاية أكثر من أي وقت آخر، فهذا الموضوع في ظل الوضع الراهن الذي يتسابق فيه معظم المسلمين - في مقدمتهم الأنظمة والحكام - يتسابقون في الانضواء تحت ولاية اليهود والنصارى بدلًا من ولاية الله وولاية رسوله وولاية الإمام علي (عليه السلام) التي هي امتداد لولاية الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).[1]

●●●

(١) من خطاب الولاية ١٤٣٠هـ للسيد عبد الملك.

الشعر وتوثيق هذه المناسبة

شعراء وثقوا هذه المناسبة

ولأن الشعر يمثل ديوان العرب وأن أهم الأحداث توثق بالشعر فقد وثقت هذه المناسبة بشكل لم توثق به أي مناسبة أخرى أبدًا وتداول الشعراء هذه المناسبة في كل القرون حتى صارت محطة تاريخية مهمة جدًا وعلامة فارقة في تاريخ الأمة فممن وثق هذه المناسبة من الشعراء الذين حضروا هذه المناسبة:

١ ـ حسان بن ثابت

الشاعر حسان بن ثابت الذي ما إنْ تمت مراسيم التنصيب للإمام علي -عليه السلام- حتى قام منشدًا قائلًا:

يناديهِمُ يومَ الغديرِ نَبِيُّهُمْ	بِخُمٍّ وأَسْمِعْ بالرسولِ مُنَادِيا
فقالَ: فَمَنْ مَوْلاكُمُ ونَبِيُّكُمْ؟	فَقَالُوا وَلَمْ يُبْدُوا هناكَ التَّعَامِيا
إِلَهُكَ مولانا وأنتَ نبيُّنا	ولم تَلْقَ مِنَّا في الولايةِ عَاصِيا
فقالَ لَهُ: قُمْ يَا عَلِيُّ؟ فَإِنَّنِي	رَضِيتُكَ مِنْ بعدي إمامًا وهاديا
فَمَنْ كُنْتُ مولاهُ فَهَذَا وَلِيُّهُ	فكونوا لَهُ أَتْبَاعَ صِدْقٍ مَوَالِيا
هناك دعا اللهمَّ؟ وَالِ وَلِيَّهُ	وَكُنْ للذي عَادَى عَلِيًّا مُعَادِيا

وقد أقره النبي صلى الله عليه وآله على ما فهمه من مغزى كلامه، وقرظه بقوله: «لا تزال يا حسان مؤيَّدًا بروح القدس ما نصرتنا بلسانك»[1].

ولم يكن حسان بن ثابت هو من قال شعرًا توثيقًا لهذه الحادثة بل عشرات الشعراء تحدثوا عبر القرون ووثّقوا بشعرهم ما جرى في مثل هذا اليوم من ولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

---

(١) الغدير٢/٣٤.

٢ ـ قيس بن سعد

قيس بن سعد بن عبادة، سيد الخزرج الذي أنشد بين يدي أمير المؤمنين -عليه السلام- بصفين:

قُلْت لَمَّا بَغَى العَدُوُّ عَلَيْنَا حَسْبُنَا رَبُنَا وَنِعْمَ الوَكِيلُ
حَسْبُنَا رَبُّنَا الذي فَتَحَ البَصْـ ـرَةَ بِالأَمْسِ والحديثُ طويلُ

ويقول فيها:

وعَلِيٌّ إِمَامُنَا وَإِمَامُ لِسِوَانا أَتَى بِهِ التنزيلُ
يَوْمَ قالَ النبيُّ: مَنْ كُنْتُ مَوْلا ه فَهذَا مَوْلَاهُ خَطْبٌ جَلِيلُ
إِنَّمَا قالَهُ النبيُّ عَلَى الأُمَّـ ـةِ حَتْمٌ مَا فِيهِ قَالٌ وقِيلُ (١)

٣ ـ عمرو بن العاص

ومن الشعراء الذين حضروا وسمعوا حديث الولاية في يوم الغدير عمرو بن العاص والذي تحدث عن هذه المناسبة في قصيدة أرسلها لمعاوية لما طلب منه خراج مصر فأرسل إليه قصيدة طويلة سميت (بالجلجلية) منها هذه الأبيات:

وَكَمْ قَدْ سَمِعْنَا مِنَ المُصْطَفَى وَصَايا مُخَصَّصَةً فِي عَلِيّ؟
وفي يَوْم " خُمٍّ " رَقَى مِنْبَرًا يُبَلِّغُ والرَّكْبُ لَمْ يَرْحَلِ
وَفِي كَفِّهِ كَفُّهُ مُعْلنًا ينادي بأمْرِ العزيزِ العلي
ألستُ بكمْ منكمُ في النفوسِ بِأَوْلَى؟ فقالوا: بلى فَافْعَلِ
فَأَنْحَلَهُ إِمْرَةَ المؤمنين مِنَ الله مُسْتَخْلفِ المُنْحَلِ
وقالَ: فَمَنْ كُنْتُ مَوْلَىً لَهُ فَهَذَا لَهُ اليومَ نِعْمَ الوَلِي
فَوَالِ مُوَالِيهِ يَا ذَا الجَلالِ وَعَادِ مُعَادِي أَخِ المُرْسَلِ
وَلَا تَنْقُضُوا العَهْدَ مِنْ عِتْرَتِي فَقَاطِعُهُمْ بِيَ لَمْ يُوصَلِ

(١) الغدير للأميني.

فَبَخْبَخَ شَيْخُكَ لَمَّا رَأَى عُرَا عِقْدِ حَيْدَرَ لَمْ تُحْلَلِ
فقالَ: وَلِيُّكُمُ فَاحْفَظُوه فَمَدْخَلُهُ فِيكُمُ مَدْخَلي[1]

٤. السيد الحميري

ومن الشعراء الذين تحدثوا عن حديث الولاية في يوم الغدير الشاعر الحميري في قصيدة ألقاها بحضرة معاوية بن أبي سفيان قال فيها:

بحقِّ محمدٍ قولوا بحقٍّ فإنَّ الإفْكَ مِنْ شِيَمِ اللئامِ
أَبَعْدَ محمدٍ بِأَبي وأُمِّي رسول الله ذي الشرفِ التهامي
أليس عليٌّ أفضلَ خَلْقِ رَبي وأشرفَ عندَ تحصيلِ الأنامِ؟!
ولايتُهُ هي الإيمانُ حَقًّا فَذَرْني مِنْ أباطيلِ الكلامِ
وطاعةُ رَبِّنا فيها وفيها شفاءٌ للقلوبِ مِن السقامِ
عليٌّ إِمَامُنا بأبي وأمي أبو الحسنِ المطَهَّرُ مِنْ حرامِ
إمامُ هُدىً أتاهُ اللهُ عِلْما بِهِ عُرِفَ الحلالُ مِنَ الحَرامِ
وَلَوْ أَنّي قتلتُ النفسَ حُبًّا لَهُ ما كان فيها من أثامِ
يَحِلُّ النارَ قَوْمٌ أَبْغَضُوهُ وإنْ صَلّوا وصاموا ألفَ عامِ
وَلَا واللهِ لا تَزْكُو صَلاةٌ بغيرِ ولايةِ العَدْلِ الإمامِ
أميرَ المؤمنينَ بِكَ اعتمادي وبالغُرِّ الميامينِ اعتصامي
فهذا القولُ لي دينٌ وهذا إلى لُقْيَاكَ يا ربي كلامي
بَرِئْت مِنَ الذي عادى عَلِيًّا وَحَارَبَهُ مِنَ أولادِ الطَّغَامِ
تَنَاسَوْا نَصْبَهُ في يَوْمِ "خُمٍّ" مِنَ الباري ومِنْ خَيْرَ الأنامِ
بِرَغْمِ الأَنْفِ مَنْ يَشْنَأ كلامي عَلِيٌّ فَضْلُهُ كالبحرِ طامي

(١) الغدير للأميني.

وَأَبْـــرَأُ مِـنْ أُنَـــاسٍ أَخَّـــرُوهُ وكـانَ هـو المُـقَـدَّمُ بِـالمَقَـامِ
عَـلِيٌّ هَـزَّمَ الأبـطـالَ لَـــمَّا رَأَوْا فِـي كَفِّـهِ بَـرْقَ الحُسَامِ[1]

٥- أبو تمام الطائي (٢٣١هـ)

من شعراء القرن الثالث حيث قال في قصيدة طويلة قدرها ٧٣ بيتًا منها:

فعلتُمْ بأبناءِ النبيِّ ورهطِهِ أفاعيلَ أدناها الخيانةُ والغدرُ
وَمِـنْ قَبْلِهِ أخلفْتُمُ لوصيِّهِ بداهيةٍ دهياءَ ليسَ لها قَدْرُ
فجئتُمْ بها بكرًا عَوَانًا ولم يكنْ لها قبلها مثل عوان ولا بكرُ
أخوه إذا عدَّ الفخار وصهرُهُ فلا مثله أخٌ ولا مثله صهرُ
وشـدَّ به أزر النبيِّ محمدٍ كما شدّ من موسى بهارونِهِ الأَزْرُ
وما زالَ كشَّافًا دياجيرَ غَمْرَةٍ يمزِّقُها عن وجهِهِ الفتحُ والنصرُ
هو السيفُ سيفُ اللهِ في كلِّ مشهدٍ وسيفُ الرسولِ لا ددان ولا دثرُ
فأيّ يدٍ للذمِّ لم يبر زندها ووجه ضلالٍ ليس فيه له أثرُ
ثوى ولأهل الدين أمنٌ بحدِّهِ وللواصمين الدين في حده ذعرُ
يُسَد به الثغر المخوف من الردى ويعتاض من أرض العدو به الثغرُ
بأحدٍ وبدرٍ حين ماجَ برجلِهِ وفُرْسَانِهِ أُحْدٌ وماجَ بهمْ بَدْرُ
ويومَ حنينٍ والنضير وخيبرٍ وبالخندق الثاوي بعقوته عمرو
سما للمنايا الحمرِ حَتَّى تَكَشَّفَتْ وأسيافُهُ حُمْرٌ وأرماحُهُ حُمْرُ
مشاهدُ كانَ اللهُ كاشفَ كَرْبِها وفارجَهُ والأمرُ ملتبسٌ أمرُ
و"يومَ الغديرِ" استوضحَ الحقّ أهله بضحياء لا فيها حجابٌ ولا سترُ[2]

---

(١) الغدير٢/١٧٨، ١٧٧.
(٢) وفي نسخة: بفيحاء.

أقـامَ رســولُ الله يـدعـوهـمُ بها ... لـيقـربهـم عــرْفٌ ويـنـآهـم نـكـرُ
يـمـدُّ بـضـبـعـيهِ ويـعـلـمُ[1]: أنَّـهُ ... وَليٌّ ومولاكـمْ فهل لكمُ خبرُ؟!
يـروح ويـغـدو بـالـبـيـانِ لمعشرٍ ... يروحُ بهمْ غمرٌ ويغدو بهمْ غمرُ
فـكـان لهـم جـهـرٌ بـإثـبـاتِ حَـقِّـهِ ... وكـان لهـم في بـزِّهِـمْ حقَّهُ جهرُ
أثـمَّ جعلْتُمْ حَـظَّهُ حَـدَّ مُـرْهَـفٍ ... من البيضِ يومًا حظّ صاحبه القبرُ
بكفـي شـقـيٍّ وجـهـتْهُ ذنـوبُـهُ ... إلى مـرتعٍ يرعـى به الغيُّ والوزرُ[2]

٦ ـ أبو فراس الحمداني

ومـن الشعـراء المعروفيـن والمشهوريـن الشاعـر الكبيـر الأميـر أبـو الفراس الحمداني من شعراء القرن الرابع المولود ٣٢١هـ ـ المتوفى ٣٥٧هـ

في قصيدة طويلة يمدح فيها أهل البيت ويذم أعداءهم من بني العباس قال فيها:

الحـقُّ مُـهْـتَـضَـمٌ والـديـنُ مُخْـتَـرَمُ ... وَفَيْءُ آلِ رســولِ الله مُـقْـتَـسَـمُ
والناسُ عندَكَ لا ناسٌ فيحفظهمْ ... سـومُ الـرعـاةِ ولا شـاءٌ ولا نعمُ
إني أبـيـتُ قـليـلَ الـنـومِ أرَّقَـنـي ... قَـلْـبٌ تـصـارعَ فـيه الهـمُّ والهِـمَـمُ
وعـزمـةٌ لا يـنـامُ اللـيلَ صـاحـبُها ... إلّا عـلى ظَـفَـرٍ في طـيِّـهِ كَـرَمُ
يُـصـانُ مُـهْـري لأمـرٍ لا أبـوحُ بِـهِ ... والدرعُ والرمحُ والصمصامةُ الحذمُ[3]
وكـل مـائـرةِ الـضـبـعـين مسـرحـها ... رِمْثُ الجزيرةِ والخذرافُ والعنمُ[4]

---

(١) مـن أفعـل. ويظهر من الدكتور ملحم شارح ديوان أبي تمام أنه قرأه مجردًا من (علم) لا مزيدًا من (أعلم) كما قرأناه ومختارنا هو الصحيح الذي لا يعدوه الذوق العربي.

(٢) الغدير للأميني٢/ ٣٣٠، ٧/ ١٢٧.

(٣) الحذم من السيوف بالحاء المهملة: القاطع.

(٤) مار: تحرك. الضبع: العضد. كناية عن السمن. الرمث بكسر المهملة: خشب يضم بعضه إلى بعض ويسمـى: الطوف. الخذراف بكسر الخاء: نبات إذا أحس بالصيف يبس. العنم بفتح المهملة. نبات له ثمرة حمراء يشبه به البنان المخضوب.

وفتيةٌ قلبُهمْ قلبٌ إذا ركبوا ... وليسَ رأيهمُ رأيًا إذا عزموا
يا للرجالِ أَمَا لله منتصِرٌ ... مِن الطغاةِ؟ أَمَا لله منتقمُ؟!
بنو عليٍّ رعايا في ديارهمُ ... والأمرُ تملكه النسوانُ والخدمُ

محلؤون فأصفى شُرْبِهِمْ وَشَلٌ ... عندَ الورودِ وأوفى ودِّهِمْ لَمَمُ[1]
فالأرضُ إلَّا على مُلاَّكِها سَعَةٌ ... والمالُ إلَّا على أربابِهِ دِيَمُ
فما السعيدُ بها إلا الذي ظَلَمُوا ... وما الشقيُّ بها إلا الذي ظُلِمُوا
للمتقين من الدنيا عواقبُها ... وإنْ تعجَّلَ منها الظالمُ الأثمُ
أتفخرون عليهمْ لا أبا لَكُمُ ... حتى كأنَّ رسولَ الله جدُّكُمُ؟!
وما تَوازَنَ فيما بينَكُمْ شَرَفٌ ... ولا تساوتْ لكمْ في موطنٍ قدمُ
ولا لكم مثلهم في المجد متصلٌ ... ولا لجدكمُ معشارُ جدِّهِمُ

ولا لعرقِكُمُ مِنْ عرقِهِمْ شَبَهٌ ... ولا نثيلتكم من أُمِّهم أَمَمُ[2]
قام النبيُّ بها (يومَ الغديرِ) لهمْ ... واللهُ يشهدُ والأملاكُ والأممُ
حتى إذا أصبحتْ في غيرِ صاحبِها ... باتتْ تنازعُها الذؤبان والرخمُ
وصيَّروا أمرَهُمْ شورى كَأَنَّهُمُ ... لا يعرفون ولاةَ الحقِّ أيُّهُمُ
تالله ما جَهِلَ الأقوامُ موضعَها ... لكنَّهُمْ ستروا وجهَ الذي عَلِمُوا
ثم ادَّعاها بنو العباسِ مُلْكَهُمُ ... ولا لهم قَدَمٌ فيها ولا قِدَمُ
لا يُذْكَرُونَ إذا ما مَعْشَرٌ ذُكِرُوا ... ولا يُحَكَّمُ في أمرٍ لهمْ حَكَمُ
ولا رآهمْ أبو بكرٍ وصاحبُهُ ... أهلا لما طَلَبُوا منها وما زَعَمُوا
فهل همُ مدَّعوها غير واجبةٍ؟ ... أم هل أئمتهمْ في أخذِها ظلموا؟

(١) حلأه عن الماء: طرده. الوشل: الماء القليل. لمم: أي غب.
(٢) نثيله هي أم العباس بن عبد المطلب. الأمم: القرب.

أما عليٌّ فأدنى مِنْ قرابتِكمْ ... عند الولايةِ إنْ لم تُكْفَرِ النِّعَمُ
أينكرُ الحبْرُ عبدُ الله نعمتَهُ؟ ... أبوكُمُ أم عبيدُ الله أمْ قُثَمُ؟!
بئسَ الجزاءُ جزيتمْ في بني حسنٍ ... أباهم العَلَمَ الهادي وأُمَّهُمُ
لا بيعةٌ ردعتْكمْ عن دمائِهِمُ ... ولا يمينٌ ولا قربى ولا ذممُ
هلاَّ صفحتم عن الأسرى بلا سببٍ ... للصافحين ببدرٍ عن أسيركمُ؟!
هلا كففْتُمْ عن الديباجِ سوطَكُمُ[1] ... وعن بناتِ رسولِ الله شتْمَكُمُ؟[2]
ما نُزِّهَتْ لرسولِ الله مهجتُهُ ... عن السياطِ فهلاَّ نُزِّهَ الحَرَمُ؟
ما نالَ منهم بنو حربٍ وإنْ عظمتْ ... تلك الجرائرُ إلا دونَ نيلكمُ
كم غدرةٍ لكمُ في الدينِ واضحةٍ ... وكمْ دمٍ لرسولِ الله عندكمُ
أنتم له شيعةٌ فيما ترون وفي ... أظفارِكمْ من بنيهِ الطاهرين دَمُ
هيهات لا قربت قربى ولا رحمٌ ... يومًا إذا أُقصتِ الأخلاقُ والشيمُ
كانت مودةُ سلمانٍ له رحمًا ... ولم يكنْ بين نوحٍ وابنه رحمُ
يا جاهدًا في مساويهمْ يكتِّمُها ... غَدْرُ الرشيدِ بيحيى كيف يَنْكَتِمُ؟
ليس الرشيدُ كموسى في القياسِ ولا ... مأمونُكم كالرضا لو أنصفَ الحكَمُ
ذاق الزبيريُّ غِبَّ الحِنْثِ وانكشفتْ ... عن ابن فاطمةَ الأقوالُ والتهم
باؤوا بقتل الرضا من بعد بيعته ... وأبصروا بعضَ يومٍ رشدهم وعموا
يا عصبةً شقيتْ من بعد ما سعدتْ ... ومعشرًا هلكوا من بعد ما سلموا
لبئسما لقيتْ منهم وإن بليتْ ... بجانب الطفِّ تلك الأعظمُ الرممُ

---

(١) الديباج هو محمد بن عبد الله العثماني أخو بني حسن لأمهم فاطمة بنت الحسين السبط ضربه المنصور مأتين وخمسين سوطا.

(٢) لعله أشار إلى قول منصور لمحمد الديباج: يا بن اللخناء. فقال محمد. بأي أمهاتي تعيرني؟ أبفاطمة بنت الحسين؟ أم بفاطمة الزهراء؟ أم برقية؟.

لا عَنْ أبي مسلمٍ في نصحِهِ صَفَحُوا ... ولَا الهبيريَّ نَجَّى الحَلْفُ والقَسَمُ
ولا الأمان لأهلِ الموصل اعتمدوا ... فيه الوفاء ولا عن غيهم حلموا
أبلغ لديك بني العباس مألكةً ... لا يدَّعوا ملْكَها مُلاَّكُها العَجَمُ
أيُّ المفاخرِ أمستْ في منازلِكُمْ ... وغيرُكُمْ آمرٌ فيها ومحتكِمُ؟
أنى يزيدُكُمُ في مفخرٍ عَلَمٌ؟ ... وفي الخلافِ عليكم يخفقُ العَلَمُ
يا باعةَ الخمرِ كُفُّوا عنْ مفاخرِكمْ ... لمعشرٍ بيعُهمْ يومَ الهياجِ دَمُ
خلوا الفخارَ لعلاَّمين إنْ سُئِلُوا ... يومَ السؤالِ وعَمَّالينَ إنْ عَلِمُوا
لا يغضبون لغيرِ الله إنْ غضبوا ... ولا يضيعون حكمَ الله إنْ حَكَمُوا
تنشى التلاوةُ في أبياتهم سَحَرًا ... وفي بيوتِكمُ الأوتارُ والنغمُ[1]

ونكتفي بهؤلاء الشعراء كنموذج فقط وإلا فهناك عشرات الشعراء وثقوا في شعرهم هذا اليوم وما جرى فيه من تنصيب للإمام علي -عليه السلام- من قِبَل الله ورسوله.

❊❊❊

(١) الغدير للأميني٣/٣٩٩.

ما الذي حصل بعد وفاة رسول الله

أقصي علي فأقصي معه القرآن

يقول السيد حسين رضوان الله عليه:

نحن متأكدون والمسلمون جميعًا يعرفون أن الإمام عليًا ‹عليه السلام› أُقْصِيَ، أُزِيْحَ، أُبْعِدَ عن المقام الذي اختصه به الرسول ‹صلوات الله عليه وعلى آله› وحل محله أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان.

فعندما نرى الرسول ‹صلوات الله عليه وعلى آله› يقول: «**علي مع القرآن، والقرآن مع علي**» فعندما يُقْصَى علي على جنب فبالتأكيد أن القرآن أُقصيَ معه أيضًا؛ لأنه قرين القرآن لا يمكن أن تتصور أن أحدًا من الناس بإمكانه أن يُقصيَ عليًّا جانبًا ويبقى القرآن يعمل، ويبقى القرآن حيًّا، ويبقى هو مطبقًا للقرآن، ويبقى هو على منهجية القرآن، لا يمكن ذلك، لو قلنا ذلك لكنا مكذبين بهذه المقارنة المؤكدة، الصريحة، التي قالها الرسول ‹صلوات الله عليه وعلى آله› في هذا الحديث المتواتر، المعروف عند الجميع: «**علي مع القرآن، والقرآن مع علي**».

وعندما يُقصى علي ففي الواقع أُقصيَ القرآن معه على جنب، أليس هذا انحرافًا خطيرًا؟. لذا كان طبيعيًا بعد ذلك الانحراف أن نرى العظماء، أعلام الدين، الصادقين، يسقطون واحدًا تلو الآخر داخل هذه الأمة، ونرى الكاذبين المنحرفين هم من يَلُون أمر هذه الأمة، هم من يتحكمون في شؤون هذه الأمة، هم مَنْ بعد تحكموا في هذا الدين فقدموه بشكل آخر.

يصبح هذا طبيعيًا، أن ترى معاوية يحكم البلاد الإسلامية، بعد أن رأيت أمير المؤمنين قرين القرآن سقط شهيدًا في محرابه؛ لأنه: لولا أبو بكر لما كان عمر، لولا عمر لما كان عثمان، لولا عثمان لما كان معاوية، هذا شيء مؤكد لا شك فيه.[1]

هل الإمام علي عليه السلام توقف عن تذكير الناس؟ لم يتوقف إطلاقاً طول

(١) استشهاد الإمام علي ‹عليه السلام›.

فترة خلافة أبي بكر، عُمر، عثمان، لم يتوقف، لم يوجَد أنصار، حاول إذا ممكن أن يتحركوا فلم تحصل استجابة. حصل تأثير لتبقى الفكرة، لتبقى العقيدة، لتبقى الرؤية قائمة في الأمة، مثل ما هو حاصل إلى الآن.

وبالرغم من إقصاء الإمام علي ‹عليه السلام› وإبعاده عن المشهد السياسي إلا أن الإمام عليًا ‹عليه السلام› لم يتوقف عن تذكير الناس، هل الإمام علي عليه السلام توقف عن تذكير الناس؟ لم يتوقف إطلاقاً طول فترة خلافة أبي بكر، عُمر، عثمان، لم يتوقف، لم يوجَد أنصار، حاول إذا ممكن أن يتحركوا فلم تحصل استجابة. حصل تأثير لتبقى الفكرة، لتبقى العقيدة، لتبقى الرؤية قائمة في الأمة، مثل ما هو حاصل إلى الآن.[1]

ماذا يعني الإمام علي بالنسبة لنا حتى مع إقصائه؟

يقول السيد حسين -رضوان الله عليه-:

«ماذا يفيدنا هذا بالنسبة لنا؟ بالنسبة لنا؟ بالنسبة لنا سنرجع إلى الحديث نفسه: «علي مع القرآن، والقرآن مع علي» وسنظل مع علي أينما كان، نظل مع منهجية علي أينما كان حتى وإن كان قد أُقصيَ، نحن لا نلتفت إلى الكراسي، إلى العروش، إلى القصور، فمن وجدناه في سُدَّة الحكم قلنا: ذلك أمير المؤمنين، من وجدناه في قصر الخلافة قلنا: ذلك خليفة رسول رب العالمين. لا.

أمير المؤمنين، خليفة رسول رب العالمين، قرين القرآن هو ذلك الرجل، الإمام علي ‹عليه السلام› يوم أُقصي، ويوم عاش سنين طويلة يعيش مرارة الألم وهو يرى هذه الأمة يبدأ الانحراف يأكل قِيَمها، يأكل عظمة مبادئها، ثم في الأخير نراه يسقط شهيدًا في محراب عبادته.

لنقول لأنفسنا مهما طَبّل الآخرون فقالوا عن أولئك: (الصّدّيق، الفاروق، ذي النورين، كاتب الوحي) عناوين من هذه، ألقاب ضخمة من هذه، لا نغتر بها أبدًا؛ لأن كل هؤلاء (صديقهم، فاروقهم، أنوارهم، وكاتب الوحي) - كما يقولون - نحن

(١) محاضرة الشعار سلاح وموقف للسيد حسين بدر الدين الحوثي.

لا نشك جميعًا أنهم كلهم أقصوا عليًا، وأنهم سمعوا جميعًا أن الرسول ‹صلوات الله عليه وعلى آله› قال: «علي مع القرآن، والقرآن مع علي» «علي مع الحق، والحق مع علي» «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي» «من كنت مولاه فهذا علي مولاه» «لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق».

أحاديث كثيرة من هذا القبيل سمعوها، وعلموها، وسمعناها نحن من بعدهم، وسمعها أيضًا أشياعهم من بعدهم، أولئك الذين قدموهم من بعد (السلف الصالح) أطلقوا على أولئك هذا اللقب الكبير: (السلف الصالح) (نتمسك بسيرة السلف الصالح) (بمنهجية السلف الصالح)!.

لقد رسم الرسول ‹صلوات الله عليه وعلى آله› القدوة لنا، والعَلَم لنا، والسلف الصالح لنا في هذه الأحاديث التي يعرفها الناس جميعًا، يعرفها علماء المسلمين، يعرفها المحدثون، يعرفها الكثير من المثقفين، ولربما يسمعها الكثير أيضًا من عامة الناس في كل زمان ومكان.

إذًا سنرجع إلى علي باعتباره قرين القرآن، ولا يمكن بحال أن نتأثر بتلك الضجة الإعلامية، وبذلك الإرهاب الثقافي الذي يفرضه الآخرون؛ لأننا نجدهم هم، ونجد أنفسنا أيضًا لو استجبنا لهم سنصطدم بمثل هذه الأحاديث، سنصطدم بالقرآن، نصطدم بالرسول، نصطدم بالواقع أيضًا، نصطدم بالواقع.

نحن على يقين بأن الأمة لن تنجح، ولن تخرج الأمة من أزماتها، ولن تنقذ الأمة من الوضعية المهينة التي تعيشها إلا بالعودة إلى أهل البيت «ما إن تمسكتم به لن تضلوا» فإذا لم تتمسكوا ستضلون، سنن إلهية ثابتة. حينئذٍ ليتعبد المتعبدون، وليدع الداعون، وليتصدق المتصدقون، وليتركع المتركعون، لن يستجيب لهم إلا بالعودة إلى ما أرشدهم إليهم.

أوليس المسلمون يحجون كل عام؟ ويدعون الله هناك على اليهود والنصارى وعلى إسرائيل؟ أوليسوا في المساجد، في شهر رمضان، وفي غيره يدعون من مكبرات الصوت، على إسرائيل، يدعون على أمريكا، على اليهود والنصارى؛ لم يمسسهم سوء، وإذا ما مسهم شيء هناك فلن يكون ما يمسهم فيه إنقاذ لنا هنا.

إن الله قد هدى الناس، وقد عمل على إنقاذهم، وأرشدهم إلى ما فيه إنقاذهم من قبل أن توجد إسرائيل بمئات السنين عندما قال على لسان نبيه ‹صلوات الله عليه

وعلى آله›: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبدًا» والضلال هنا: الضلال عن الهداية، الضلال في الحياة، الضياع، الجهل، التخلف، الذلة، الاستكانة، التفرق، التمزق.[1]

كيف تعامل الإمام علي مع ما حصل؟

يقول السيد حسين -رضوان الله عليه-:

لاحظ موقف أمير المؤمنين لتعرف كيف المسألة، موقف الإمام علي عندما يقول البعض: لماذا لم يتحرك الإمام علي ويذهب يقاتلهم ولو ضحى بنفسه، لو لم يكن إلا هو وأولاده؟.

لا بد أن تلاحظ أن هذا المجتمع قدم له هدى الله على أرقى مستوى، ومن الهدى الذي قدم له على أرقى مستوى أن قال لهم: تمسكوا بهذا الشخص (علي) وهم يعرفون عليًا من أول يوم في الإسلام، يعرفون عليًا في معارك الإسلام، يعرفونه في كل المواطن، يعرفون مدى اهتمام النبي ‹صلوات الله عليه وعلى آله› به.

لم يقل: «من كنت مولاه فهذا عليٌ مولاه» في مجلس معين،أو في زاوية من زوايا المسجد، أو لأربعة أو لخمسة، في يوم ظاهر شاهر - كما يقول الناس - ويوم شمس مشرقة، نور واضح، حتى لا يقول أحد: كان هناك ضباب لم ندرِ، ولا رأينا من هو الذي رفعه، شمس واضحة، وصحراء بينة، لا يوجد فيها إلا أشجار معدودة التي وقف تحتها حتى لا يقولوا: (كان هناك شجرة ما عرفنا من هو الذي قام معه، كان أمامي شجرة سدر، أو طلحة، أو أي شيء من هذا).

أليست صحراء واضحة؟ وشمس محرقة؟ أيْ نور واضح، لا ضباب ولا أشجار، ولا صخرات، ولا مطبات، ولا شيء أمامهم، قضية واضحة، ثم ترص له أقتاب الإبل يعني: أن هناك جمعًا، أن يكون هناك عدد كبير من أقتاب الإبل ترص له، أليس هذا يعني شهادة: بأن هناك أناسًا كثيرًا حاضرين؟ لا يمكن أقتاب إبل إلا والإبل كثيرة،ولا إبل كثيرة إلا ويوجد ناس؟ أليس هذا شيئًا معلومًا؟ ثم يصعد ولا يطلع هو بمفرده، وهم يعرفونه، ويعرفون صوته، وإنما يصعد معه بالإمام علي.

(١) محاضرة استشهاد الإمام علي ‹عليه السلام› للسيد حسين بدر الدين.

لاحظ كيف يقدم بلاغ الأنبياء حتى نعرف خطأ كل من يحاول أن يقدم تأويلات لمن يختلفون بعد الأنبياء، أنك في نفس الوقت تحاول تنزه أشخاصًا، وتلحق بالله ما هو نقص، تلحق بالله النقص، وتلحق بأنبيائه النقص من أجل أن تنزه أشخاصًا هم خالفوا متعمدين.

يصعد رسول الله ‹صلوات الله عليه وعلى آله›، ويخطب، ما هي أول كلمة يقولها؟ لأن هذه قضية هامة، حتى لا يقولوا: لم نكن منتبهين، يخطب حتى يكونوا هم مستقرين، وهادئين، وساكتين، ويأتي بالكلمة ويمهد لها بشكل يربطها بالله.

لهذا نقول في حديث الغدير البعض يقدمه بشكل مختزل «**قال: من كنت مولاه فعليٌ مولاه**»! لا. يجب أن تنظر إلى الموضوع من أصله ومن بدايته «**أيها الناس إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين**» هذا تسلسل مثلما قال النبي في بني إسرائيل: ﴿**إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا**﴾[البقرة:٢٤٧] «**إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين فمن كنت مولاه فهذا - هذا - عليٌ مولاه**». هل هناك أوضح من هذه؟ لا يوجد أوضح من هذه.

ذلك المجتمع الذي سمع الكلام هذا هل أحد يستطيع أن يفرض عليه موقفًا آخر؟ هل كان لدى أبي بكر وعمر مثلًا،وتلك المجموعة ما يفرضونه أمام هذا البيان؟.

إذًا موقف الإمام علي هو موقف قرآني، من بعد ما يكون هذا المجتمع سمع كل شيء، وفهم كل شيء، وذكرهم أيضًا هو، وذكّرتهم الزهراء هي أيضًا، وذكّرهم العوّام، وذكّرهم آخرون، لم يسمعوا. إذًا فليجربوا أنفسهم. هذه سنة إلهية داخل الأمم، الناس إذا لم يستجيبوا لهدى الله فليجربوا أنفسهم، وسيذوقون العواقب السيئة نتيجة تقصيرهم ونتيجة مخالفتهم.

ألم يقم الإمام علي بكل ما لديه من وسائل؟ حتى في الجانب العسكري قال هو: «**فطفقت أرتئي بين أن أصول بيدٍ جذّاء**» لم يكن لديه أنصار بالشكل الكافي.. الكثير بسطاء أثر عليهم الآخرون؟ ونحن نقول أكثر من مرة: يجب أن نفهم الأمور على هذا النحو حتى لا نقع في الإحراجات التي وقع فيها الآخرون ما بين مقدس للصحابة على الرغم مما هم عليه، وما بين من له موقف سلبي تمامًا يعتبر بأنهم كفروا بما تعنيه الكلمة.

نقول: لا، يوجد، حالة أخرى هي حالة البساطة، حالة اللامبالاة، التي يمكن أن تحصل مع إيمانك بالقضية.

كل الناس كانوا مؤمنين بأن الرسول ‹صلوات الله عليه وعلى آله› قال هكذا لعلي ‹سلام الله عليه› في (يوم الغدير) ويعرفون ما قال سابقًا، لكن لم يعطوا القضية الأهمية اللائقة بها، كانوا ضحية للآخرين عندما ضلوا، والتضليل عادة في مواقف معينة، لا يلامس القضية الأساسية لديك فيدفعك إلى أن تكفر بها، هذه لا تحصل.

هل إبليس ذهب إلى آدم ليقول له: اكفر بمسألة النهي عن أكل الشجرة؟ هل قال له هكذا؟ لا. (مجابر ثانية والموضوع هناك). هل قدموا لهم أن يكفروا بما قاله الرسول ‹صلوات الله عليه وعلى آله› لعلي؟ قدموا أسلوبًا آخر (علي قد قتل أناسًا وعليٌّ كذا، وهناك أناس آخرون ويمكن نجربهم والمقصود واحد ورسول الله همه واحد، وهؤلاء الناس تعرفونهم كانوا قريبين من رسول الله) وأشياء من هذه تجعلك تتقبل المسألة التي تعتبر مخالفة، ولا يطلب منك الكفر بما سمعته من النبي، وهذه من أخطر الأشياء، من أخطر أساليب الضلال هذه الطريقة.

لم يسمعوا للإمام علي ولم يتفهموا!. الإمام علي تركهم يجربون، جربوا أبا بكر، عمر، عثمان، وفي الأخير ذاقوا هم وبال أمرهم، وأهينوا، أهين الأنصار أولًا، أولئك الذين اجتمعوا في السقيفة! ألم يكن المفروض لأولئك أن يجتمعوا مع علي؟ لا أن يجتمعوا هناك وحدَهم، ويأتمروا وحدَهم على أساس أنه ربما لا تتم المسألة لعلي! لأن المفترض أن يجلسوا هم معه تتم.

ما نفعتهم هذه، ظُلموا، وأهينوا واجتيحت المدينة اجتياحًا رهيبًا جدًا قُتل حوالي سبعمائة شخص أو أكثر منهم، وانتهكت أعراضهم ودُمِّرت بيوتهم، قضية رهيبة جدًا حصلت لهم، أي: هذه القضية قائمة في دين الله، هذا هدى الله هل الناس سيقبلونه؟ يجب أن يقبلوه وإلا فيجب أن يعرفوا بأن البديل هو الخزي، والعواقب السيئة في الدنيا والآخرة.

و﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ﴾ كما سيأتي بعد ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة:٢٥٦] إذا ما تريد أن تستقيم ستذوق أنت العواقب السيئة للغي، للضلال.

الله سبحانه وتعالى في المشيئة يستطيع أنه يوقفهم، أليس هو يستطيع أن يجمد أيديهم؟ لكن قد قدم لهم ما كان يجعل أيديهم بناءة، وأيدي خيرية، وليست

أيدي تتحول إلى خلق قتال بعد أنبياء الله بسبب مشاققتهم، وخلافهم وبغيهم، يعني: العبرة في هذا هو أننا نحن ننظر، وكل الناس ينظرون هكذا تكون عاقبة من يخالفون هدى الله، وتكون هي في حد ذاتها فيها هدى للناس.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا﴾[البقرة:٢٥٣] لتبقى القضية من واقع الحال، من واقع حياة الأمم شاهدًا، أو قضية يهتدون، يهتدون هم يفهمون،البسطاء، الكثير الذين لا يهتمون، يفهمون أنهم سيكونون ضحية للمضلين الذين هم. عادة. قليل، من يخالفون بغيًا، عادة يكونون قليلًا.

مثلًا بعد رسول الله ‹صلوات الله عليه وعلى آله› مجموعة معينة لو توقفت عن بغيها، ومخالفتها المتعمدة، أولئك البسطاء كان يمكن أن يسيروا على ما قال رسول الله ‹صلوات الله عليه وعلى آله› يوم الغدير، والإمام علي يحكمهم، وليس هناك أي مانع، ولن يشاققوا ولا شيء، هذه كان يمكن أن تحصل، لكن بساطتهم، ولهذا أجابوا على الزهراء قالوا: (خشينا الفتنة يا بنت رسول الله)! أي: قد جاء كلام كثير، (وقوفنا مع الإمام علي سيؤدي إلى اقتتال، وقد وقف مع أبي بكر آل فلان وآل فلان وعليٌ أنتم تعرفون ربما الناس الذين يكونون معه قد يكونون قليل ربما يجتمعون مع الآخرين ويؤدي إلى اقتتال وعدو من خارج و..و..) إلى آخره. بهذه الطريقة جعلوا الأنصار يقولون: خشينا الفتنة. قالت لهم الزهراء: ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾[التوبة:٤٩] هذه هي الفتنة».[1]

ما العبرة من هذا الذي حصل؟

فهذه فيها هدى لنا، هدى للناس أن يفهموا، هكذا؛ ولهذا كانت قضية خطيرة جدًا على من اختلفوا بعد آخر الأنبياء، وبعدما ذكر لهم ما حصل بعد الأنبياء الكثير، ألم تكن بالشكل الذي تفرض عليهم أن يكونوا منتبهين بشكل كبير يسطر ما حصل بعد الأنبياء السابقين، ثم ما حصل بعد رسول الله ‹صلوات الله عليه وعلى آله›. أليست بالشكل الذي تفرض على الناس أن يتنبهوا من بعد، يتنبهوا فعلًا، فإذا ما كانوا أمام القرآن يكونون حريصين على الاهتداء بشكل جاد، وإلا سيكونون ضحية للتضليل.

(١) الدرس الحادي عشر من دروس رمضان للسيد حسين.

إذا كان أولئك الذين تعاملوا مع كلام رسول الله ‹صلوات الله عليه وعلى آله›، مع شخصه - وهو الذي يحدثهم هو، والقرآن يتنزل عليهم – ببساطة؛ لأنهم مؤمنون برسول الله، والآيات (وصدق الله العظيم، وباهر، والقضية معروفة، ومسلّمين) لكن ليس هناك تفكر، ليس هناك تركيز، ليس هناك التزام حرفي، فاعرف بأنه سيحصل حتى بالأولى بعد آخرين؛ لأنه ليس هناك أحد في الأمة سيكون مثل رسول الله ‹صلوات الله عليه وعلى آله› بعد رسول الله، وبعد الإمام علي، وبعد الحسن والحسين ليس هناك أحد ترى بأنه سيكون مثل واحد منهم أبدًا.

لكن يجب أن نلحظ ماذا؟ كل هذه الأمثلة لأنها تعطينا وعيًا، تعطينا بصيرة، تراهم اختلفوا بعد أنبيائهم نتيجة بساطة هؤلاء،وتعمد، وعدوانية، وبغي فئة معينة. إذًا فيجب أن نحذر فلا نكون بسطاء، ولا نسمح لأولئك المخالفين، والمعاندين أن يكون لهم كلمة تسمع.

لهذا أستبعد مسألة: أن الإمام عليًا كان يقول: (حقي وتراثي) وأشياء من هذه! لا أعتقد أن هذه صحيحة مسألة: حقي، حقه الشخصي، وعبارة قالوها عنه: (والله لأسالمن ما سلمت أمور المسلمين، ولم يكن الظلم إلا عليَّ) هذه عبارة غير صحيحة، بعيدة جدًا، فهذه عبارة من لا يعرف ولاية أمر الأمة وأهميتها. كيف يمكن لإنسان يعرف أهمية ولاية أمر الأمة بالنسبة لاستقامة الأمة ويكون ما يزال معتقدًا أنها ستسلم أمور المسلمين! هل سلمت أمور المسلمين من ذلك اليوم إلى اليوم؟! ما سلمت.

إذًا ففي المسألة دروس هامة، ولولا أن فيها دروسًا هامة جدًا، وعبرة للناس، تمثل في حد ذاتها هدى للناس كأمثلة واقعية، من الواقع، من الأمثلة السلبية، يكون هناك نماذج تقدم هدى: طالوت، والمؤمنون معه، أليست هذه نوعية، والنوع الآخر أيضًا، نماذج، تعرف أنت خطورة الجانب السلبي عندما تعرض عن هدى الله.

فعندما يأتي البعض يقولون: إذًا الإمام علي ما دام أنه ما قاتلهم، إذًا فمعناه: وكأنه رضي بهم! لا، هي هذه السنة، هي هذه، يحاول أن يبين لهم، وقد بين لهم الرسول على أكمل طريقة، هل ما يزال يحتمل أن رسول الله قصّر؟ فيحتاج الإمام علي يتكلم؟ كل ما يأتي من الإمام علي هو زيادة خير فقط؛ لأن الفترة قريبة ما بين يوم الغدير، وبين يوم موت الرسول ‹صلوات الله عليه وعلى آله› والناس هؤلاء هم

الذين عاصروا النبي ‹صلوات الله عليه وعلى آله› ويعرفون عليًا تمامًا حتى ولو لم يتكلم، لو لم يتكلم.

أما عندما يكون قد تكلم وبيّن، والزهراء تكلمت، وآخرون تكلموا هذا كله يعتبر زيادة من عندهم، وإلا فكان ما قد حصل من عند النبي فيه الكفاية؛ لأنه نفس الجيل، نفس الأشخاص، والقضية قريبة، لم تطل الفترة من يوم الغدير إلى موت النبي ‹صلوات الله عليه وعلى آله›.

في الأخير يقولون: إذًا هو عندما لم يقاتلهم فكأنه أقرهم على هذا! لا، لا يوجد مسألة إقرار، لقد بين المسألة وإذا المجتمع ذلك نفسه لم يعط القضية أهميتها! إذًا فانطلقوا جربوا أنفسكم، وانظروا كيف ستكون العواقب.

وهذه القضية أساسية في موضوع هدى الله، هل تجد الإمام عليًا مثلاً أيام حكمه ألم يكن باستطاعته أن يمارس حكم معاوية وطريقة معاوية، وطريقة الحكام من بعده؟ ألم يكن باستطاعته؟ أي واحد منا يستطيع أن يحكم الأمة على طريقة الحكام هؤلاء، وبكل بساطة، تقمع هذا، وتوزع أموال المسلمين لهذا وهذا! يستطيع الإنسان لكن، لا، المسألة قائمة على أساس أن يكون هناك وعي عند الناس هم؛ لأن القضية مرتبطة بهم هم، أن يكونوا واعين أنهم عندما يستجيبون، وعندما يهتدون بهدي الله سيصل بهم إلى أعلى مستوى، وإذا ما خالفوا سيذوقون هم وبال أمرهم.

يعني: لن تكون القضية عادية أنه فقط خالفوا، وعاندوا، وعاشوا حالة اللامبالاة، وعدم الاهتمام، ومشت الأمور طبيعية، سيضربون؛ لأنها لم تقدم ولاية الأمر في الإسلام بالشكل الذي يحس الإنسان بحالة من الكبت، أو القهر، أو ضعة النفس، مثلما يحصل في ظل حكام الطاغوت، لا تحصل هذه على الإطلاق.

ألم يكن الإمام علي - وهو في الكوفة - بالشكل الذي بعضهم يتعاملون معه كأي شخص آخر؟ لكن يأتي معاوية، أو آخرون، وإذا كل واحد يشعر بأنه هناك ضعةً، تحطيمًا للنفوس، نسفًا للتكريم للإنسان؛ لأن الله جعل ولاية أمر عباده بالشكل الذي يكون لائقًا مع تكريمهم، فإذا كانوا كرماء فليسيروا على هديه وإلا فليسوا كرماء سيدوسهم الآخرون، سيحكمهم من يليق بمثلهم.

هناك مقولة واقعية هي: (كيفما تكونوا يولى عليكم) أنتم كرماء لن تقبلوا إلا كرماء، أنتم ليس لديكم اهتمام بالجانب هذا، أي نفوس منحطة، لا تبالي، سيأتي

لكم من نوعكم ﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا﴾[الأنعام:١٢٩] هذه القضية ثابتة، وإلا فالإمام علي كان يستطيع أن يحكم العالم كله بطريقة معاوية ولا أحد يتجرأ أن يخالفه، ولا أحد يجرؤ أن يخرج عن صفه؛ لكن يكون فيها ماذا؟ خوف عند كل واحد حتى لا أحد يوشي به عند السلطان، لا يأتي أحد يلفق عليه قضية، لا يفهم ربما أنه متآمر عليه، فيمسحه، وأشياء من هذه.

يعيش الناس نفوسًا منحطة، النفوس المنحطة في الأخير لا تعود جديرة بأن تنهض بالمسؤولية، لهذا لاحظ الآن الشعوب العربية الآن كيف واقعها؟ أليست شعوبًا ضُرب تكريمها، ضربت كرامتها من قِبل حكامها حتى في الأخير لم يعد موجودًا عندهم عزة نفس، ولا كرامة بأن يكونوا مستعدين أن يواجهوا العدو الآخر مهما كان سوءُه أبدًا؟ نفوس قد روضت على الإذلال والإهانة، والاحتقار حتى أصبحت لم تعد تبالي يحكمها من يحكمها.

فالتربية الإسلامية هي بالشكل الذي يجعل الأمة، يحمل الناس فيها نفوسًا رفيعة، يشعرون بطمأنينة، يشعرون بتكريم، لا يخاف على نفسه، لا يخاف من مجرد كلمة تقال عليه، لا يوجد قتل على التهمة، والظنة، كما يعمل الآخرون؛ لأن النفوس الرفيعة هذه تكون هي الجديرة بأن تكون ماذا؟ تواجه الأعداء الخارجيين، وترفض أي طغيان يريد أن يتحكم عليها، ويفرض نفسه عليها». [1]

❋❋❋

(١) الدرس الحادي عشر من دروس رمضان للسيد حسين.

الإمام علي واصل مشوار الهداية

الإمام علي - عليه السلام - واصل مشوار الهداية، والإيمان، والحفاظ على مفاهيم الرسالة الإلهية. والرسول قال له: «**ستقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله**».

اضطلع عليٌّ - عليه السلام - بهذه المهمة الكبيرة، قاتل للحفاظ على مفاهيم الدين ولولا جهده وجهاده بعد وفاة النبي - صلوات الله عليه وعلى آله - وفي المراحل العاصفة من تاريخ الأمة، لولا جهوده الكبيرة والمريرة لكانت جهود المحرّفين لمفاهيم الدين قد حققت نجاحًا هائلًا في واقع الأمة، وحجب نور الرسالة والنبوة، ولأظلم واقع الأمة، ولكن شاء الله أن يؤدي هذا الرجل العظيم هذا الدور الكبير، وواصل رغم ما عاناه من تخاذل الكثير من الناس من المحن، والفتن، والصعوبات، وما قاساه من الشدائد في واقع الأمة حتى جاءته الشهادة، ففي بيت الله وُلِد وفي بيت الله كان على موعدٍ مع الشهادة.

والإمام عليٌّ - عليه السلام - حتى وهو على فراش الشهادة، وهو يتحضّر لوداع هذه الحياة ليلتحق بالرفيق الأعلى كان يتوجّه إلى ذريته إلى أولاده إلى الأمة من حوله، يتوجه بكلام الهدى، بالنصائح والإرشادات العظيمة والمهمة.

على فراش الشهادة وهو يعيش اللحظات الأخيرة في هذه الدنيا وجّه وصيةً من وصاياه المهمّة والعظيمة إلى ولديه الحسن والحسين سبطي رسول الله صلوات الله عليه وعلى آله قال لهما: «**أوصيكما بتقوى الله وألّا تبغيا الدنيا وإن بغتكما (اجعلا وجهتكما إلى الله) ولا تأسفا على شيءٍ منها زوي عنكما، وقولا بالحق، واعملا للأجر، وكونا للظالم خصمًا (الظالم لا مهادنة معه ولا تغاضٍ عنه، خصومة مستمرة، كونا للظالم خصما) وللمظلوم عونًا، أوصيكما وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي بتقوى الله ونظم أمركم، وصلاح ذات بينكم فإني سمعت جدكما - صلى الله عليه وآله - يقول: «صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام»**، والله الله في الأيتام فلا تُغبّوا أفواههم (وفّروا لهم طعامهم، احتياجاتهم الأساسية) ولا يضيعوا بحضرتكم، والله الله في جيرانكم فإنهم وصية نبيكم ما زال يوصي بهم حتى ظننا أنه سيورّثهم، والله الله في القرآن لا يسبقكم بالعمل به غيركم، والله الله

في الصلاة فإنها عمود دينكم، والله الله في بيت ربكم لا تُخلوه ما بقيتم فإنه إن تُرك لم تُناظروا، والله الله في الجهاد بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم في سبيل الله، وعليكم بالتواصل والتباذل، وإياكم والتدابر والتقاطع، لا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيُولّى عليكم شراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم.» ثم لقيَ ربه شهيدًا.

حاجة الأمة إلى الإمام علي في هذه المرحلة

الإمام علي - عليه السلام- حياته، جهاده، مواقفه، أعماله، كلها دروس، كلها عبر، كلها مصدر من مصادر الهداية، كلها مصاديق للقرآن، عليٌّ مع القرآن، فكانت حياته، مواقفه، أعماله مصاديق للقرآن الكريم وتجليات لهدى الله سبحانه وتعالى، كلما عدنا إلى سيرته، كلما تعرّفنا على معالم شخصيته، كان أمامنا الدروس المهمة والعظيمة التي نحتاج إليها في هذه المرحلة، في هذا العصر المليء بالفتن، نحتاج إلى أن نستلهم شخصية علي، ومن شخصية علي كيف نكون في إسلامنا كيف نكون في تديننا، كيف هو التدين الصادق بقيمه العظيمة، في الإباء، في العزيمة، في الجهاد، في الصبر، في التضحية، في الإحسان، في العلاقة الوثيقة الصادقة بالله سبحانه وتعالى، في الوعي العالي، في البصيرة النافذة، عطاءٌ واسعٌ من حياة علي نستفيد منها في زمننا وفي مواجهة التحديات والأخطار التي نعيشها، من موقعك كفرد، في حياته كفرد، في حياته كقائد، في أبعاد حياته، وفي معالمه المتنوعة والمتعددة[1].

علي يمثل طريقًا يمثل هديًا

يقول السيد حسين رضوان الله عليه في (آيات من سورة المائدة الدرس الثاني) عند قول الله سبحانه وتعالى:

﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾[المائدة:٥٦]

الذين آمنوا هنا هو الإمام علي عليه السلام وبدون ولاية الإمام علي عليه السلام لن تتحقق هداية، ولن يتحقق للأمة ولأيّ جماعة وضعيةٌ تكون عليها جديرةً بأن تُسمَّى بـ(حزب الله) فتحظى بتأييد الله فتصبح هي حزبه الغالب.

(١) ذكرى استشهاد الإمام علي عليه السلام ١٤٣٥هـ.

كلمة ﴿الْغَالِبُونَ﴾ هي جاءت في واجهة الحديث عن مواجهة اليهود والنصارى وهم أعداء الأمة على امتداد التاريخ، لماذا؟ بالنسبة لله سبحانه وتعالى كلنا متفقون على الله، أليس كذلك؟ حتى المشركون كانوا يعترفون بالله ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[الزخرف:٨٧] بالنسبة للرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) نحن جميعاً متفقون عليه: أنه هو محمد بن عبد الله هو رسول الله الذي أنزل الله الكتاب الكريم إليه وهو نبينا، أليس المسلمون متفقين على هذا؟ لكنْ لله سبحانه وتعالى منهجُ هداية يَنْزِلُ بواسطة كتابه ورسوله، ليست المسألة مسألة أسماء، ولو أن المسألة مسألة أسماء فقط مجرد اعتقادات ليس وراءها شيء لكنا نحن والمشركين متفقين في (الله) أليس كذلك؟ (الله) نحن متفقون بأنه إله، لكن هذا لا يكفي؛ لأن الله هو مَلِكُنا يأتي من قِبَله منهجٌ محددٌ لهدايتنا.

رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) نحن متفقون عليه لكن ليست المسألة مسألة اتفاق على اسم أو على إعطاء مكانة لشخص هو رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) المسألة مسألةُ هداية، له منهجُ هداية ممتدّ من عند الله سبحانه وتعالى مرتبط بنا، يتجه نحونا؛ إذاً فمن تحت النبي (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) ستتشعب الطرق، أليس كذلك؟ ويتركّز الكثير أمامك رجالاً ونساءً، هنا تحصل إشكالية، ألم تظهر قنوات كثيرة، وكلٌّ منهم يدّعي أنه بواسطته يوصلك إلى محمد، إلى الله سبحانه وتعالى، بواسطته يرشدك إلى هدي الله ورسوله؟ تأتي الإشكالية من هنا؛ ولهذا جاءت الآيات الكريمة نفسها تتحدث عن هذا، لم تأتِ فقط لتقول ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ ثم تنتهي القضية ويقول: ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾[المائدة:٥٦] فعلاً من يتولَّ الله فسيكون هو الغالب، لكن عن طريق مَن أتولّى الله؟ عن طريق من تكون ولايتي لله هي ولاية حقيقية تسير على هديه؟ لأن المسألة ليست فقط مسألة أسماء، ممكن أن يهتدي الواحد حتى من حركة الناس، يعرف.

عندما تذهب إلى الأسواق سترى في السوق نفسه ما يمكن أن يُفيدك في قضايا عمرها ألف وأربعمائة سنة، لكن هل المسألة هي تعود إلى قضية التّنميق وإزالة التراب والتزيين وأن تَعْرِض بضاعتك في مكان مرتفع وبارز؟ في مقام الدِّين، أعلام الدِّين هي قضية تأتي من قِبَل الله سبحانه وتعالى، أنه هو يبدأ يصطفي من داخل ملائكته رسلاً ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً﴾ ليقوم بالمهمة إلى

مـن؟ إلى البشر، يصطفي من البشر رسلاً ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ﴾[الحج:٧٥] إذاً فهـو هو الذي يحدد لنا مَن هـم الأعلام الذين نتولاهم ونسير على هديهم ونتمسك بهم؛ لأن القضية دقيقة جداً، ومُحكَمَة جداً، ومضبوطة جداً، وهدي واحد، تميل يميناً أو شمالاً تقع في ضلال، وليست القضية متروكة لك مثل: عندما تدخل إلى السوق فتسمع هذا يُرَوِّج وهذا يُرَوِّج، وهذا يتلطف لك، وذلك نقّص لك ريالين فتتجه إليه، أو أظهر بضاعته وجعلها بادية أمامك أكثر فتتجه إليه.

المسألـة تأتـي من قبل الله سبحانـه وتعالى إلى رسوله (صلى الله عليه وعلى آله وسلـم) من قِبَـل رسوله هو ليحدد للناس من هم الأعـلام الذين يتمسكون بهديهم، وسيظلون بحاجة إلى التمسك بهديهم وتوليهم، وإن كان بينه وبينهم آلاف السنين؛ لأن هدي الله للحياة كلها، أليس كذلك؟

ذلـك العَلَـم الـذي وضعه الله لك هـو رسول الله (صلى الله عليـه وعلى آله وسلم) أنـت بحاجـة إليه وإن كان بينك وبينه ثلاثة آلاف سنة، العَلَم الذي وضعه للأمة من بعـده، وهـي بداية نقطة الافتـراق، بداية مفترق الطرق، الموقـع المهم هناك؛ لأنه متى ما بدأتَ من نقطة الافتراق ومفترق الطرق تميل عنه فستبقى فَلْتَتُك إلى آخر الحيـاة وآخـر عمـر الدنيا، مـن هناك، هناك مفتـرق الطرق، هناك علـي وعلي يمثل طريقـاً يمثـل هدياً، الميل عنـه يميناً أو شمالاً يشكل خطورة بالغـة، هي نفسها التي تراها ماثلة آثارُها أمام أعيننا في هذا العصر، وعندما تعود إلى كتب التاريخ ستراها ماثلة أمامك في كل عصر.[1].

سنة اللّه في الهداية عند الإمام علي ‹عليه السلام›

عندمـا نعـرف بأن الإمـام عليًا ‹عليـه السلام› قريـن القرآن بشهـادة المصطفى ‹صلوات الله عليه وعلى آله› له بقوله: «علي مع القرآن والقرآن مع علي» فبالتأكيد أن رؤيتـه لـن تحيد عن نظرة القرآن الكريم فيما يتعلق بسنة الله في الهداية والتي تتمثل في كتاب وعلم ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّـرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾[البقرة:٢١٣] والتي عززها النبي ‹صلوات الله عليه وعلى آله› في وصيته للأمة بقوله: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبدا كتاب الله وعترتي

(١) محاضرة آيات من سورة المائدة للسيد حسين الدرس الثاني.

أهل بيتي إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض» وإلا لو تصورنا غير ذلك لكنا أول من يكذب الرسول ‹صلوات الله عليه وعلى آله› في قوله: «علي مع القرآن والقرآن مع علي» وهذه فعلًا كانت نظرة الإمام علي ‹عليه السلام› فمما ورد عنه حول هذا الموضوع قوله:

«لَا يُقَاسُ بِآلِ مُحَمَّد ‹صلى الله عليه وآله› مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَحَدٌ وَلَا يُسَوَّى بِهِمْ مَنْ جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ عَلَيْهِ أَبَدًا هُمْ أَسَاسُ الدِّينِ وَعِمَادُ الْيَقِينِ إِلَيْهِمْ يَفِيءُ الْغَالِي وَبِهِمْ يُلْحَقُ التَّالِي وَلَهُمْ خَصَائِصُ حَقِّ الْوِلَايَةِ وَفِيهِمُ الْوَصِيَّةُ وَالْوِرَاثَةُ الْآنَ إِذْ رَجَعَ الْحَقُّ إِلَى أَهْلِهِ وَنُقِلَ إِلَى مُنْتَقَلِهِ».[1]

«وَإِنَّمَا الْأَئِمَّةُ قُوَّامُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ وَعُرَفَاؤُهُ عَلَى عِبَادِهِ وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ عَرَفَهُمْ وَعَرَفُوهُ وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا مَنْ أَنْكَرَهُمْ وَأَنْكَرُوهُ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَصَّكُمْ بِالْإِسْلَامِ وَاسْتَخْلَصَكُمْ لَهُ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ اسْمُ سَلَامَةٍ وَجِمَاعُ كَرَامَةٍ اصْطَفَى اللَّهُ تَعَالَى مِنْهَجَهُ وَبَيَّنَ حُجَجَهُ مِنْ ظَاهِرِ عِلْمٍ وَبَاطِنِ حُكْمٍ لَا تَفْنَى غَرَائِبُهُ وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ فِيهِ مَرَابِيعُ النِّعَمِ وَمَصَابِيحُ الظُّلَمِ لَا تُفْتَحُ الْخَيْرَاتُ إِلَّا بِمَفَاتِيحِهِ وَلَا تُكْشَفُ الظُّلُمَاتُ إِلَّا بِمَصَابِيحِهِ قَدْ أَحْمَى حِمَاهُ وَأَرْعَى مَرْعَاهُ فِيهِ شِفَاءُ الْمُسْتَشْفِي وَكِفَايَةُ الْمُكْتَفِي».[2]

«فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ وَأَنَّى تُؤْفَكُونَ وَالْأَعْلَامُ قَائِمَةٌ وَالْآيَاتُ وَاضِحَةٌ وَالْمَنَارُ مَنْصُوبَةٌ فَأَيْنَ يُتَاهُ بِكُمْ وَكَيْفَ تَعْمَهُونَ وَبَيْنَكُمْ عِتْرَةُ نَبِيِّكُمْ وَهُمْ أَزِمَّةُ الْحَقِّ وَأَعْلَامُ الدِّينِ وَأَلْسِنَةُ الصِّدْقِ فَأَنْزِلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَازِلِ الْقُرْآنِ وَرِدُوهُمْ وُرُودَ الْهِيمِ الْعِطَاشِ أَيُّهَا النَّاسُ خُذُوهَا عَنْ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ ‹صلى الله عليه وآله› إِنَّهُ يَمُوتُ مَنْ مَاتَ مِنَّا وَلَيْسَ بِمَيِّتٍ وَيَبْلَى مَنْ بَلِيَ مِنَّا وَلَيْسَ بِبَالٍ فَلَا تَقُولُوا بِمَا لَا تَعْرِفُونَ فَإِنَّ أَكْثَرَ الْحَقِّ فِيمَا تُنْكِرُونَ وَاعْذِرُوا مَنْ لَا حُجَّةَ لَكُمْ عَلَيْهِ وَهُوَ أَنَا أَلَمْ أَعْمَلْ فِيكُمْ بِالثَّقَلِ الْأَكْبَرِ وَأَتْرُكْ فِيكُمُ الثَّقَلَ الْأَصْغَرَ قَدْ رَكَزْتُ فِيكُمْ رَايَةَ الْإِيمَانِ وَوَقَفْتُكُمْ عَلَى حُدُودِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَأَلْبَسْتُكُمُ الْعَافِيَةَ مِنْ عَدْلِي وَفَرَشْتُكُمُ الْمَعْرُوفَ مِنْ قَوْلِي وَفِعْلِي وَأَرَيْتُكُمْ كَرَائِمَ الْأَخْلَاقِ مِنْ نَفْسِي فَلَا تَسْتَعْمِلُوا الرَّأْيَ فِيمَا لَا يُدْرِكُ قَعْرَهُ الْبَصَرُ وَلَا تَتَغَلْغَلُ إِلَيْهِ الْفِكَرُ».[3]

---

(١) نهج البلاغة ١/ ٤٨.
(٢) نهج ا لبلاغة ١/ ٢٠١.
(٣) نهج البلاغة ١/ ١١٩.

ثم يشير الإمام ‹عليه السلام› إلى أن خط الأعلام مصاحب لمسيرة الأمة وأرض الله لا تخلو من حجة من آل محمد (صلوات الله عليهم) يحمل الهدى للناس فيقول: « أَلاَ إِنَّ مَثَلَ آلِ مُحَمَّد (صلى الله عليه وآله وسلم)، كَمَثَلِ نُجُومِ السَّمَاءِ: إِذَا خَوَى نَجْمٌ طَلَعَ نَجْمٌ، فَكَأَنَّكُمْ قَدْ تَكَامَلَتْ مِنَ اللهِ فِيكُمُ الصَّنَائِعُ، وَأَتَاكُم مَا كُنْتُمْ تَأْمُلُونَ».[1]

وكان يقول: «أَيُّهَا النَّاسُ شُقُّوا أَمْوَاجَ الْفِتَنِ بِسُفُنِ النَّجَاةِ وَعَرِّجُوا عَنْ طَرِيقِ الْمُنَافَرَةِ وَضَعُوا تِيجَانَ الْمُفَاخَرَةِ أَفْلَحَ مَنْ نَهَضَ بِجَنَاحٍ أَوِ اسْتَسْلَمَ فَأَرَاحَ هَذَا مَاءٌ آجِنٌ وَلُقْمَةٌ يَغَصُّ بِهَا آكِلُهَا وَمُجْتَنِي الثَّمَرَةِ لِغَيْرِ وَقْتِ إِينَاعِهَا كَالزَّارِعِ بِغَيْرِ أَرْضِهِ».[2]

ويقول:

«تَاللهِ لَقَدْ عُلِّمْتُ تَبْلِيغَ الرِّسَالَاتِ وَإِتْمَامَ الْعِدَاتِ وَتَمَامَ الْكَلِمَاتِ وَعِنْدَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ أَبْوَابُ الْحُكْمِ وَضِيَاءُ الْأَمْرِ أَلَا وَإِنَّ شَرَائِعَ الدِّينِ وَاحِدَةٌ وَسُبُلَهُ قَاصِدَةٌ مَنْ أَخَذَ بِهَا لَحِقَ وَغَنِمَ وَمَنْ وَقَفَ عَنْهَا ضَلَّ وَنَدِمَ».[3]

رؤية الإمام علي ‹عليه السلام› في أسباب هيمنة الباطل

يقول السيد حسين - رضوان الله عليه -:

«الإمام علي عندما كان يتحرك في مواجهة أعدائه، وهو يتحرك مع من ينضوون تحت لوائه كان يحذرهم، كان ينذرهم، كان يعطيهم رؤى، كان يذكرهم بأشياء عرفوا من بعد صحتها، عرفوا صحتها بل مر الكثير منهم بها وعايشوها، كان يقول لأهل العراق: «والله إني لأخشى أن يُدَال هؤلاء القوم منكم لاجتماعهم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم» في هذه العبارة تجد رؤية حقيقية، رؤية واقعية، رؤية صحيحة لدى الإمام علي ‹عليه السلام› في النتائج، في المسببات، ما خلفياتها؟ ما أسبابها؟.

عندما تجد الناس، وتعيش مع الناس، وتسأل ذا وذاك وتنظر إلى ما يمكن أن يقوله هذا الإنسان أو ذاك - وهو يسمع ويرى ما يعمله أعداء الله - ما هو الكلام الذي يقوله أي واحد منا؟ (لعنة الله عليهم، مجرمين، الله يكفينا شرهم).

---

(١) نهج البلاغة ١/ ١٤٦.
(٢) نهج البلاغة ١/ ٥٢.
(٣) نهج البلاغة/ ١٧٦.

عندنا تفكير أنه: فقط فقط يُهَيمن الباطل، ويسود الضلال، وينتشر الفساد، ويضيع الحق من جانب واحد هو جانب أولئك، هذه النظرة نفسها التي توجد لدى شعوبنا، ولدى زعماء هذه الأمة.. لاحظوا كيف هم يتجهون إلى محاولة أن يتداركوا أولئك ولو بتوليهم، والبحث عن السلام من عندهم وبأي طريقة ترضيهم، يتصورون أن المنفذ من هناك فقط، ولا يتجهون إلى جانب آخر إلى هذه الأمة لبنائها، يفكرون هذا التفكير الذي يفكر فيه الكثير الكثير من الناس، جانب واحد فلنتفادى ذلك الجانب، أسالم ذلك الجانب، أعطيه ما يريد؛ من أجل ألّا يسود ما يسود، لا يهيمن، لا يحصل ما يحصل من شر.

إن الفساد ينتشر، إن الحق يضيع، إن الباطل يحكم ليس فقط بجهود أهل الباطل وحدهم بل بقعود أهل الحق. وأعتقد أن هذا نفسه قد يمثل نسبة سبعين في المائة من النتائج السيئة.

بدليل أننا نرى: أن الله سبحانه وتعالى لم ينظر حتى إلينا بمنظار خمسين في المائة وخمسين في المائة من جانب الأشرار فنكون أمامه على صعيد واحد، بل نراه يسلط أولئك على هؤلاء، ماذا يعني ذلك؟ أن التقصير من جانب أهل الحق، من جانب هذه الأمة، من جانب من هم في واقعهم يمثلون جنود الله أن التقصير من جانبهم هو عامل مهم، وهو العامل الأكبر في سيادة الباطل، في استحكام الضلال، في انتشار الباطل، في ضياع الحق.

من يفكر هذا التفكير هو علي في هذه الكلمة عندما قال لأهل العراق: «لاجتماعهم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم».

هذه من أهم الأشياء التي لا بد أن نفهمها هي هذه الرؤية: أننا نمثل في قعودنا، في سكوتنا، في صمتنا، في إهمالنا، في حالة اللامبالاة التي نعيشها نمثل سبعين في المائة من عوامل سيادة الباطل وضياع الحق، من عوامل ظلمنا وقهرنا وإذلالنا لأنفسنا نحن.

ولهذا وجدنا الله يُسلط الكافرين على المسلمين متى ما كانوا على هذا النحو: «لتأمرنّ بالمعروف ولتنهنّ عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيسومونكم سوء العذاب ثم يدعو خياركم فلا يُستجاب لهم» ماذا يعني هذا؟. لماذا لا تُسلط علينا وعليهم مع بعض؟. ليست القضية على نسبة خمسين في المائة من عندك وخمسين في المائة من عند أولئك، أنت من جانبك تمثل (سبعين في المائة)؛ لأنك

عندما قعدت (هيأت الساحة للباطل وإلا) فالباطل، العدو هو بطبيعته سيزهق.

لكنك عندما تتحرك، عندما تسير على نهج الله، عندما تثق بالله فالله سبحانه وتعالى هو سيتحرك - إن صحت هذه العبارة - سيقف هو في وجه أولئك الأعداء، والحق بطبيعته إذا ما وجد أمة تحمله، تثق بربها فإن الباطل زَهُوْقٌ بطبيعته ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء:٨١]، بل قال بصريح العبارة: ﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا﴾[الفتح:٢٢].

ويقول عن أهل الكتاب هؤلاء الذين يتسابق الزعماء على استرضائهم، يتسابق الزعماء على توليهم، يتسابق الزعماء على الدخول في اتفاقيات أمنية من أجلهم، يقول عنهم: ﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ﴾[آل عمران:١١١].

فأمة تُضيّع كتابها، تضيع ما يمكن أن يعطيه الله من عونٍ وإمداد لها، تضيّع الحق الذي هو بطبيعته أقوى من الباطل، أقوى في منطقه، أقوى فيما يُقدمه، فيما يخلقه من روحية، فيما يخلقه من معنويات عندما تضيعه بالطبع تكون جريمتها أكبر.

الإمام علي حذر أهل العراق قال لهم - إن ما هم عليه من تَقَاعُسٍ، من حالة اللامبالاة، من حالة فيهم هكذا لا ينطلقون، لا يبادرون، لا يتحركون بالشكل المطلوب حذرهم-: «والله إني لأخشى أن يُدَال هؤلاء القوم منكم» ما معنى يُدَالَ: أن تكون لهم الدولة عليكم، أن يكون لمعاوية ولأهل الشام الدولة عليكم فيحكموكم، يقهروكم، يذلوكم، يضطهدوكم، يستضعفوكم، يقتلوا ويشردوا ويدمروا؛ «لاجتماعهم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم»، لاجتماعهم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم. ألم يُقدم العامل على أنه عامل مشترك في سيادة الباطل، في استحكام الشر؟.

هذه النظرة من الذي يحملها؟ من هم أولئك من هذه الأمة الذين تسيطر على مشاعرهم هذه الفكرة؟ يجب أن نكون هكذا، وهذا هو الذي يخلق دافعًا لدى الإنسان، يستشعر مسؤوليته، يعرف سوء موقفه وهو يقعد، وهو يصمت، وهو يتقاعس، وهو يتخاذل، ويتثبط، سيعرف سوء موقفه.

إذا لم تكن تنظر إلا إلى جانب واحد ستقدم نفسك وكأنك ترى أنه ليس من عندك أي خلل، بل في الأخير ستكون أنت من يلوم الله لماذا لا يكف عنك أولئك، وأنت في الأخير من ستنطلق لتقول لله: (اللهم أنت دمر أولئك اما نحن فلا شأن

لنا بهم، اللهم دمر أولئك، اللهم أهلك أولئك، اللهم فك فينا من أولئك) ومتى ما حصل تسليط لك نلوم الله لماذا سلط علينا؟.. لماذا أصبحنا هكذا؟! وهو قال في كتابه الكريم: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾[النساء: ١٤١] لماذا حصل لهم سبيل؟. نحن من جعلنا لله سلطانًا: ﴿أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾[النساء: ١٤٤] هكذا قال لأولئك: ﴿أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ فيضربكم ويسلط عليكم؛ لذا تجد منطق القرآن الكريم ينسجم مع علي في مقولته هذه، ينسجم مع علي وهو يقدم لك نماذج من أمثال علي في تاريخ البشرية، من أنبياء الله ورسله وأوليائه، يقدم لك نفسياتهم، وتفكيرهم ومشاعرهم داخل القرآن، وفي ميادين المواجهة كيف كانوا يفكرون، حتى في الدعاء لا تجد أنهم كانوا ينطلقون فقط ليدعوا على أعدائهم بل كان كل همهم أن يدعوا لأنفسهم؛ لأنهم يعرفون أن القضية بالنسبة للعدو محسومة، إذا ما صَلُحنا نحن وكنا بالشكل الذي نصبح جديرين بأن يقف الله معنا؛ فلذا كان دعاؤهم ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[البقرة:٢٥٠] ما هكذا كان دعاؤهم؟. هكذا كان دعاؤهم، لم يكونوا ينطلقون على نحو ما يفكر فيه الكثير من الناس اليوم؛ لأنهم يعرفون أنه متى ما تخاذل من هم في الأرض جنود الله، إذا ما قعدوا استحقوا غضب الله، هم من يضيعون أشياء عظيمة لا يمكن أن يمتلكها العدو مهما كان لديه من أسلحة مهما كان لديه من قدرات لا يمكن أن يمتلك العدو ما يمكن أن يمتلكه المؤمنون بالله لا يمكن.

ولاحظوا كيف في فلسطين ولبنان كمثال على هذا، ألم يستطع الإسلام أن يصنع (قنابل بشرية) فعلًا، وهذا - كما يقول المجاهدون - (بأن هذا هو السلاح الذي لم يستطع الأعداء أن يصنعوا مثيلًا له، ولا أن يصنعوا ضدًا له) قنبلة بشرية تنفجر فتربك جيش إسرائيل، تربك أمن إسرائيل، تحطم اقتصاد إسرائيل. هكذا في اللحظة الأخيرة وهم كانوا قد أضاعوا - خاصة بالنسبة للفلسطينيين - وربما هذا الجيل وهو الذي يعاني، معاناته تعتبر وزرًا من أوزار الجيل الذي سبقه، الذي ضيع الفرص الكبيرة في مواجهة اليهود يوم كانوا لا يزالون عصابات داخل فلسطين.»[1]

❋❋❋

(١) ذكرى استشهاد الإمام علي(عليه السلام).

علي يرسم معالم الدولة الإسلامية

جاء الإسلام بتجربة فريدة فيما يتعلق بنظام الحكم واعتبرها امتدادا لملك الله على عباده وجسدها النبي ‹صلوات الله عليه وعلى آله› حيث تجلت في آخر حياته في أروع صورها ووضع الخطوط العامة لهذه المسألة التي أدت إلى الصراعات والنزاعات التي ولدتها الاختلافات بين الأشخاص والجماعات والمدارس الفلسفية والأديان في هذه المسألة وأدت إلى حروب كبيرة تركت آثارها الشنيعة على التاريخ الإنساني برمته.

وقد كانت إحدى التجارب الفذة الرائدة والرائعة في الحكم الإسلامي تجربة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ‹عليه السلام› وإن لم تتجسد معالمها كما كان يريد الإمام نتيجة لما كان قد وصل إليه المجتمع من انحطاط وهبوط لم يصل إليها المجتمع من قبل حتى في أيام الجاهلية ولذلك كان يقول ‹عليه السلام› «**لو استوت قدماي لغيرت أشياء**» ولكنه عمل على تجسيد هذه التجربة ما أمكن في فترة قصيرة وعاصفة من حياته وحياة المسلمين انتهت باستشهاده لكنه استطاع في الحد الأدنى أن يرسم معالم الحكومة الإسلامية من خلال ما أثر عنه وما اشتملت عليه هذه التجربة واشتمل نهج البلاغة على الكثير من النصوص التي تضمنت بعض جوانب الفكر السياسي للإمام علي وهذا الفكر يعكس بعض ملامح هذه التجربة الرائدة في الحكم في الإسلام وأشمل هذه النصوص السياسية في نهج البلاغة وأجمعها لمسائل السياسة والإدارة هو العهد الذي زود به الإمام واليه على مصر مالك بن الحارث الأشتر حين ولاه عليها.

وهو من جلائل وصاياه وأجمعها لقوانين المعاملات المدنية والحقوق العامة والتصرفات الخاصة فقد تضمن هذا العهد أبرز الأمور التي تصل بالأمة إلى الحكم الرشيد تضمن توجيهات مهمة في السلوك الشخصي للحاكم وكيف تكون علاقة الحاكم بالرعية وكيف يكون وزراؤه ومستشاروه وحاشيته وحدد المهام وحذر من الظلم لعباد الله وركز على العدالة الاجتماعية والإحسان إلى الرعية والعمل على التغيير نحو الأفضل وحدد الطبقات والفئات الاجتماعية والعلاقة بينها ومواصفات القائد الناجح وضرورة التزامه الديني والأخلاقي والمهني والتربوي وكيف تكون

العلاقة بين القائد والجند وكيف تكون شخصية القاضي ووضع الضمانات لنزاهة القضاء ووضع الخطوط العريضة في القضاء وحسن الإدارة وكيف يتم اختيار الكتاب والوزراء وقسم المهام والأعمال ولم ينس أن يتحدث عن مزايا التجارة والصناعة والآثار السيئة للاحتكار وشدد على ضرورة الاهتمام بالفقراء والمساكين والبؤساء والمرضى والإيتام والعجزة وغير ذلك من الأصول الأساسية للحكم الصالح والتي على رأسها أن يكون على صلة دائمة بالشعب وبقضاياه ليكون دائما على معرفة وافية بالمشاكل التي يعيشها فيبادر إلى وضع الحلول الناجعة لها.

يقول السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي عن هذا العهد:

(هذا العهد وثيقة تاريخية مهمة وعظيمة تقدم الرؤية الإسلامية القرآنية عن ولاية الأمر في الإسلام، والمشروع الديني من أساسه هو مشروع دين ودولة.

قدم الإمام علي - عليه السلام - في هذا العهد المسؤولية في الإسلام بالشكل الذي لا تجعل من يتحرك بهذه المسؤولية فوق الناس أو متسلطًا عليهم أو هو الكاسب لنفسه وإنما هي تقدمه في خدمة الناس، ليس فيها شيء عائد إلى نفسه، مصالح نفسية أو شخصية أو مكاسب معينة يحصل عليها هو، أو تكون نظرته إلى المسؤولية أنها كما هو سائد الآن في هذا العصر وفي عصور ماضية بالنسبة لمن هم بعيدون عن منهج الله ينظرون إلى المسؤولية كمغنم ووسيلة تسلط، واستعلاء على الآخرين، لا.

من البداية من نفس تحديد هذه المهام، تنظر إلى المسؤولية أنها خدمة للآخرين أنت تتحرك في خدمة الآخرين فيما هو مصلحة لهم فيما هو فائدة لهم فيما هو نفع لهم فيما هو إحسان إليهم.

وقد أراد الإمام منا أن تكون نظرتنا إلى المسؤولية هكذا في دين الله هي خدمة هي إحسان إلى الآخرين ليس فيها حالة تسلط ليس فيها حالة استعلاء ليست مغنمًا شخصيًا، لا، الإنسان يتحرك على هذا الأساس.

ثم عندما يتحرك الإنسان لأداء المسؤولية بعد وضوح المسؤولية أمامه، وضوح المسؤولية له عندما يتحمل مسؤولية هو خادم يتقلد هذا الشرف الكبير خدمة عباد الله والإحسان إلى عباد الله في شؤونهم في أمورهم وعلى هذا الأساس نتحرك وفق أسس ومبادئ مهمة جدًا)[1].

(١) دروس من عهد الأشتر للسيد عبد الملك بدر الدين الحوثي.

وسنورد بعض تلك النصوص مع ما استوحاه السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي - رضوان الله عليه - من هذه النصوص المهمة.

الإمام علي - عليه السلام - بدأ حديثه في هذا العهد بقوله:

«بسم الله الرحمن الرحيم.. هذا ما أمر به عبد الله، عليٌّ أمير المؤمنين مالكَ بنَ الحارث الأشتر في عهده إليه حين ولاه مصر: جباية خراجها، وجهاد عدوها، واستصلاح أهلها، وعمارة بلادها».

يقول السيد عبد الملك:

«هنا قدم الإمام - عليه السلام - صورة واضحة عن المهام الأساسية للولاية في الإسلام، الشؤون كلها، شؤون المسؤولية في الإسلام، بكل جوانبها، سواءً الجانب المالي، (جباية خراجها) أو الجانب الجهادي والعسكري، (جهاد عدوها) أو الجوانب الأخرى التي تشمل جوانب ثقافية وتربوية ودائرة واسعة (واستصلاح أهلها)، عبارة تشمل كل ما فيه صلاحهم سواءً في الواقع الديني أو الواقع الدنيوي، (وعمارة بلادها) تشمل، الجوانب الخدمية كلها».

ومما ورد في هذا العهد قول الإمام عليه السلام:

«وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم ولا تكونن عليهم سبعًا ضاريًا تغتنم أكلهم فإنهم صنفان إما أخ لك في الدين وإما نظير لك في الخلق».

وحول هذا النص يقول السيد عبد الملك - رضوان الله عليه -:

«يقول الإمام علي (عليه السلام) الناس صنفان: إما أخ لك في الدين وتنظر إليه هكذا كأخ على أنه ماذا؟ أخ يجمعك أنت وإياه أخوة الدين وأن انتماءه معك إلى دين واحد يفرض له حقوقًا عليك في تعاملك، في نظرتك إليه، في اهتمامك به.

أو أنه إنسان يجمعك به جامع آخر هو الإنسانية، إنسان له نفس المشاعر، وإنسان له نفس الكرامة، ويعيش الحالة الإنسانية سواء هذا الأخ في الدين، أو هذا الذي يجمعك به الإنسانية، رابطة الإنسانية.

لديك مع الناس رابطتان: إما رابطة الدين، أو رابطة الإنسانية، رابطة الدين أنت والآخرين في مقام الأخوة، أخوة الدين. وهذه الرابطة لها حقوق ويترتب عليها مسؤوليات، وكذلك رابطة الإنسانية.

لا تنظر إلى الناس نظرة احتقار بما إنه يأتي منهم أخطاء أو تصرفات سيئة، أو مواقف سيئة فأنت سريع البادرة، سريع السطوة، سريع الغضب، سريع الانتقام، سريع المؤاخذة. لا. اعرف أنهم من واقعهم الإنساني يحصل منهم أخطاء، لا تنظر إلى المجتمع كمجتمع معصوم، لا يأتي منه خطأ.. ثم تكون مواقف الإنسان قائمة على أساس المؤاخذة على الصغيرة والكبيرة والانتقام والمقاصاة في كل شيء، لا. «**فإنهم صنفان إما أخ لك في الدين وإما نظير لك في الخلق**».«**يفرط منهم الزلل وتعرض لهم العلل ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب أن يعطيك الله من عفوه وصفحه**».

وحول هذا النص يقول السيد عبد الملك - رضوان الله عليه -:

«الإسلام يركز في المقام الأول على التربية قبل أن يركز على العقاب، يركز على التربية ويتعامل مع المجتمع المسلم في المقام الأول على أساس التربية، ومشروع الإسلام مشروع واسع لإصلاح الناس مشروع واسع يأتي فيه جوانب واسعة جدًا وحتى كل نظمه نظم تكامل، تكامل، تهيئ إلى أن يكون هناك واقعٌ صالحٌ.

مثلًا في معالجة حالات السرقة كمثال: مشروع الإسلام مشروع واسع مثلًا فيه المشروع الروحي والتربوي، والإيماني، يعزز عند الإنسان الاستقامة، والخوف من الله، واستشعار المسؤولية أمام الله، والمؤاخذة الإلهية فيكون زاجرًا للإنسان عن السقوط، يقدم الإسلام جانب آخر، تنمية مكارم الأخلاق، والعزة والكرامة عند الإنسان، فيترفع عن سفاسف الأمور، وعن مساوئ الأخلاق.

أيضًا: هناك جانب آخر نظام مالي في الإسلام يهيئ للإنسان الحياة الكريمة بحيث لا يسقط في مثل هذا الذنب إلا نتيجة انحطاط في نفسيته، وإلا هناك مشروع إسلامي متكامل، يلحظ هذا الجانب، وهذا الجانب، وهذا الجانب، وهكذا بقية المجالات.

يأتي مشروع الإسلام مشروعًا تكامليًا لاستصلاح الناس، لا يلحظ جانبًا ثم يهمل بقية الجوانب، وبالتالي لا تكون قضية العقاب والمؤاخذة هي الوسيلة الوحيدة والأساسية وليس هناك وسيلة أخرى أو طريقة ثانية.

فلا تكون النظرة إلى استصلاح الناس هي مسألة القسوة والحساب والعقاب، هذه لا تكون الوسيلة الرئيسية التي يركز الإنسان عليها، لا تكون هذه هي المسألة الأساسية المعتمدة في الإسلام.

مشروع الإسلام مشروع واسع جدًا وفيه جوانب متكاملة لاستصلاح الإنسان، وجانب العقاب هو جانب واحد فقط وله مقاماته، مع ملاحظة الجوانب الأخرى، مع ملاحظة الجوانب الأخرى هذه مسألة.

المسألة الثانية: يتذكر الإنسان نفسه، الإنسان وهو في واقع المسؤولية أيًا كان يأتي منه أخطأ، هو بنفسه يأتي منه الخطأ، يأتي منه التقصير، يأتي منه القصور، وهو في حالته هو النفسية وهو يقصر، وهو يخطئ، وهو محاسب أمام الله وهو يتذكر مسؤوليته أمام الله ماذا يكون أمله في الله؟ وكيف رجاؤه نحو الله؟.

أليس هو من يطلب من الله العفو وأمله أن الله يعامله بالعفو؟ فمثل ما أنت وأنت في مقام الخطأ، ومقام التقصير موجه آمالك نحو الله أن يعفو عنك، أيضاً يكون عندك أنت توجه هكذا نحو عباد الله مثل ما ترى حاجتك إلى عفو الله، وإلى مغفرته، وإلى لطفه، وأنت في مقام الأخطاء وفي مقام التقصير، وتشعر بهذه الحاجة إلى عفو الله وهذا أمل لديك أمل تعيشه دائمًا، تأمل من الله، ترجو الله دائمًا ألّا يؤاخذك، ولا يعاقبك على ما يأتي منك من أخطاء أو تقصير، فأنت كذلك تجاه الناس قدم للناس من العفو والصفح مثل ما أملك في الله، وما ترجو من الله أن يعطيك من عفوه وصفحه على أخطائك، وعلى تقصيرك».

ومما ورد في عهده لمالك الأشتر:

«وَأَنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ مِنْ أُمُورِكَ فِي مِثْلِ مَا كُنْتَ تَنْظُرُ فِيهِ مِنْ أُمُورِ الْوُلَاةِ قَبْلَكَ، وَيَقُولُونَ فِيكَ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِيهِمْ؛ وَإِنَّمَا يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحِينَ بِمَا يُجْرِي اللَّهُ لَهُمْ عَلَى أَلْسُنِ عِبَادِهِ؛ فَلْيَكُنْ أَحَبَّ الذَّخَائِرِ إِلَيْكَ ذَخِيرَةَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ؛ فَامْلِكْ هَوَاكَ، وَشُحَّ بِنَفْسِكَ[1] عَمَّا لَا يَحِلُّ لَكَ؛ فَإِنَّ الشُّحَّ بِالنَّفْسِ الْإِنْصَافُ مِنْهَا فِيمَا أَحَبَّتْ أَوْ كَرِهَتْ».

ومما وردفيه:

«وَأَمَّا بَعْدَ هَذَا، فَلَا تُطَوِّلَنَّ احْتِجَابَكَ عَنْ رَعِيَّتِكَ؛ فَإِنَّ احْتِجَابَ الْوُلَاةِ عَنْ

(١) شُحّ بنَفْسك: ابخل بنفسك عن الوقوع في غير الحل، فليس الحرص على النفس إيفاءها كل ما تحب، بل من الحرص أنْ تُحَمِّلَ على ما تكره.

الرَّعيَّـة شُـعْبَةٌ من الضِّـيق، وَقلَّة علْـم بالأُمور، وَالاحْتجَـاب منْهُمْ يَقْطَـعُ عَنْهُمْ علْمَ مَا احْتَجَبُوا دونَهُ؛ فَيَصْـغُرُ عندَهُم الْكَبيـر، ويَعْظُمُ الصَّـغير، وَيَقْبُحُ الْحَسَنُ، وَيَحْسُنُ الْقَبِيحُ، وَيُشَـابُ الْحَقُّ بِالْبَاطل؛ وَإنَّمَا الْوَالي بَشَـرٌ لا يَعْرفُ مَا تَوارَى عَنْهُ النَّاسُ به منَ الأُمور، وَلَيْسَـتْ عَلَى الحقِّ سِـمَاتٌ[1] تُعْرَفُ بِهَا ضُـرُوبُ الصِّـدْق منَ الْكَذب، وَإنَّمَا أَنْـتَ أَحَدُ رَجُلَيْن: إمَّا امْرُؤٌ سَـخَتْ نَفْسُـكَ بِالْبَـذْل[2] في الحَقِّ؛ فَفِيـمَ احْتجَابُكَ منْ وَاجـبِ حَـقٍّ تُعْطيه، أَوْ فعل كَريم تُسْـديه؟! أَوْ مُبْتَلًى بِالْمَنعِ؛ فَمَا أَسْـرَعَ كَفَّ النَّاسِ عَنْ مَسْأَلَتكَ إذَا أَيسُوا[3] منْ بَذْلكَ! مَعَ أَنَّ أَكْثَرَ حَاجَاتِ النَّاسِ إلَيْكَ مَا لاَ مَؤُونَةَ فيه عَلَيْكَ: منْ شَكَاة[4] مَظْلمَة، أَوْ طَلَبِ إنْصَاف في مُعَامَلَة.

ثُمَّ إنَّ للْوَالي خَاصَّـةً وبِطَانَةً: فيهِمُ اسْـتئْثَارٌ وَتَطَاوُلٌ، وَقلَّةُ إنْصَـاف في مُعَامَلَة؛ فَاحْسمْ[5] مَادَّةَ أُولئكَ بِقَطْعِ أَسْبَابِ تلْكَ الأَحْوَال، وَلاَ تُقْطعَنَّ[6] لأَحَد منْ حَاشيَتكَ وَحَامَّتكَ[7] قَطِيعةً، وَلا يَطْمَعَنَّ منْكَ في اعْتقَاد[8] عُقْدَة تَضُـرُّ بِمَنْ يَليهَا منَ النَّاس: في شـرْب[9]، أَوْ عَمَل مُشْـتَرَك يَحْملُونَ مَؤُونَتَهُ عَلَى غَيْرهِمْ؛ فَيَكُونَ مَهْنَأُ[10] ذلكَ لَهُمْ دُونَكَ، وَعَيْبُهُ عَلَيْكَ في الدُّنْيَا وَالآخرَة.

وَأَلْزم الْحَقَّ مَنْ لَزمَهُ منَ الْقَرِيبِ وَالْبَعيد، وَكُنْ في ذلكَ صَابِرًا مُحْتَسبًا، وَاقعًا ذلكَ مـنْ قَرَابَتكَ وَخَاصَّـتكَ حَيْثُ وَقَعَ، وَابْتَغِ عَاقبَتَهُ بِمَا يَثْقُلُ عَلَيْـكَ منْهُ؛ فَإنَّ مَغَبَّةَ[11] ذلكَ مَحْمُودَةٌ.

---

(١) سمات: جمع سمة – بكسر ففتح –: وهي العلامة.
(٢) البذل: العطاء.
(٣) أيِسُوا: قنطوا ويئسوا.
(٤) شكاة – بالفتح –: شكاية.
(٥) فاحسـم: اقطع مـادة شرورهم عن الناس بقطـع أسباب تعديهم، وإنما يكـون بالأخذ على أيديهم ومنعهم من التصرف في شؤون العامة.
(٦) الاقطاع: المنحة من الأرض، والقطعية: الممنوح منها.
(٧) الحامَّة – كالطامَّة–: الخاصة والقرابة.
(٨) الاعتقـاد: الامتلاك، والعقـدة – بالضمّ –: الضيعة، واعتقاد الضيعة: اقتناؤها، وإذا اقتنوا ضيعة فربما أضروا بمن يليها، أي يقرب منها من الناس.
(٩) الشِّرْب – بالكسر –: هو النصيب في الماء.
(١٠) مهنأ ذلك: منفعته الهنيئة.
(١١) المَغَبَّة – كَمَحَبَّة – : العاقبة.

وَإِنْ ظَنَّتِ الرَّعِيَّةُ بِكَ حَيْفًا[1] فَأَصْحِرْ[2] لَهُمْ بِعُذْرِكَ، وَاعْدِلْ[3] عَنكَ ظُنُونَهُمْ بِإِصْحَارِكَ؛ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ رِيَاضَةً[4] مِنْكَ لِنَفْسِكَ، وَرِفْقًا بِرَعِيَّتِكَ، وَإِعْذَارًا[5] تَبْلُغُ فِيهِ حَاجَتَكَ مِنْ تَقْوِيمِهِمْ عَلَى الْحَقِّ.

ومن ذلك:

وَإِيَّاكَ وَالإِعْجَابَ بِنَفْسِكَ، وَالثِّقَةَ بِمَا يُعْجِبُكَ مِنْهَا، وَحُبَّ الإِطْرَاءِ[6]؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَوْثَقِ فُرَصِ الشَّيْطَانِ فِي نَفْسِهِ؛ لِيَمْحَقَ مَا يَكُونُ مِنْ إِحْسَانِ الْمُحْسِنِينَ.

وَإِيَّاكَ وَالْمَنَّ عَلَى رَعِيَّتِكَ بِإِحْسَانِكَ، أَوِ التَّزَيُّدَ[7] فِيمَا كَانَ مِنْ فِعْلِكَ، أَوْ أَنْ تَعِدَهُمْ فَتُتْبِعَ مَوْعِدَكَ بِخُلْفِكَ؛ فَإِنَّ الْمَنَّ يُبْطِلُ الإِحْسَانَ، وَالتَّزَيُّدَ يَذْهَبُ بِنُورِ الْحَقِّ، وَالْخُلْفَ يُوجِبُ الْمَقْتَ[8] عِنْدَ اللّهِ وَالنَّاسِ؛ قَالَ اللّهُ سبحانه: ﴿كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف:٣].

وإِيَّاكَ وَالْعَجَلَةَ بِالأُمُورِ قَبْلَ أَوَانِهَا، أَوِ التَّسَاقُطَ[9] فِيهَا عِنْدَ إِمْكَانِهَا، أَوِ اللَّجَاجَةَ فِيهَا إِذَا تَنَكَّرَتْ[10]، أَوِ الْوَهْنَ[11] عَنْهَا إِذَا اسْتَوْضَحَتْ.

فَضَعْ كُلَّ أَمْرٍ مَوْضِعَهُ، وَأَوْقِعْ كُلَّ أَمْرٍ مَوْقِعَهُ. وَإِيَّاكَ وَالاسْتِئْثَارَ[12] بِمَا النَّاسُ فِيهِ

---

(١) حَيفًا: ظلمًا.
(٢) أَصْحِرْ لهم بعذرك: أي أبرز لهم، وبيّن عذرك فيه، وهو من الإصحار: الظهور، وأصله البروز في الصحراء.
(٣) عَدَلَ الشيء عن نفسه: نحَّاه عنه.
(٤) رياضة: تعويدًا لنفسك على العدل.
(٥) الإعذار: تقديمُ العذر أو إبداؤه.
(٦) الإطراء: المبالغة في الثناء.
(٧) التزيّد – كالتقيُّد –: إظهار الزيادة في الأعمال عن الواقع منها في معرض الافتخار.
(٨) المقت: البغض والسخط.
(٩) نهيُهُ عن التساقط في الشيء الممكنِ عندَ حضوره: نهيٌّ عن الحرص والجشع، قال الشنفرى:
وإنْ مُدَّت الأيدي إلى الزاد لم أكنْ بأعجلهِمْ إذْ أجشعُ القوم أعْجَلُ.
(١٠) اللجاجة: الإصرار على النزاع. وتنكرَت: لم يعرف وجه الصواب فيها.
(١١) الوَهْن: الضعف.
(١٢) الاستئثار: تخصيص النفس بزيادة.

أُسْـوَةٌ[١]، وَالتَّغَابِـيَ[٢] عَمَّا تُعْنَى بِهِ مِمَّا قَدْ وَضَـحَ لِلْعُيُونِ؛ فَإِنَّهُ مَأْخُـوذٌ مِنْكَ لِغَيْرِكَ، وَعَمَّـا قَلِيـلٍ تَنْكَشِـفُ عَنْـكَ أَغْطِيَةُ الأُمُـورِ، وَيُنْتَصَـفُ مِنْـكَ لِلْمَظْلُومِ. امْلِـكْ حَمِيَّةَ أَنْفِكَ[٣]، وَسَـوْرَةَ[٤] حَدِّكَ[٥]، وَسَطْوَةَ يَدِكَ، وَغَرْبَ[٦] لِسَانِكَ، وَاحْتَرِسْ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ: بِكَفِّ الْبَادِرَةِ[٧]، وَتَأْخِيرِ السَّـطْوَةِ، حَتَّى يَسْـكُنَ غَضَـبُكَ فَتَمْلِكَ الاخْتِيَارَ؛ وَلَنْ تُحْكِمَ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِكَ حَتَّى تُكْثِرَ هُمُومَكَ بِذِكْرِ الْمَعَادِ إِلَى رَبِّكَ.

وَالْوَاجِـبُ عَلَيْـكَ أَنْ تَتَذَكَّـرَ مَا مَضَـى لِمَـنْ تَقَدَّمَكَ: مِنْ حُكُومَـةٍ عَادِلَةٍ، أَوْ سُـنَّةٍ فَاضِـلَةٍ، أَوْ أَثَرٍ عَنْ نَبِيِّنَا (صـلوات الله عليه وعلى آله وسـلم)، أَوْ فَرِيضَـةٍ فِي كِتَابِ اللهِ؛ فَتَقْتَـدِيَ بِمَا شَـاهَدْتَ مِمَّـا عَمِلْنَا بِهِ فِيهَا، وَتَجْتَهِدَ لِنَفْسِـكَ فِي اتِّبَـاعِ مَا عَهِدْتُ إِلَيْـكَ فِي عَهْدِي هَذَا، وَاسْـتَوْثَقْتُ بِهِ مِنَ الْحُجَّةِ لِنَفْسِـي عَلَيْكَ؛ لِكَيْـلَا تَكُونَ لَكَ عِلَّةٌ عِنْدَ تَسَرُّعِ نَفْسِكَ إِلَى هَوَاهَا فَلَنْ يَعْصِمَ مِنَ السُّوءِ وَلاَ يُوَفِّقَ لِلْخَيْرِ إِلاَّ اللهُ تَعَالَى.

***

---

(١) الناس فيه أُسوة: أي متساوون.

(٢) التغابي: التغافل.

(٣) يقال: «فلانٌ حَمِيُّ الأَنْفِ»: إذا كان أبيًّا يأنفُ الضَّيْم.

(٤) السَّوْرَة - بفتح السين وسكون الواو -: الحِدّة.

(٥) الحَدّة - بالفتح - : البأس.

(٦) الغَرْب - بفتح فسكون -: الحدّ تشبيهًا له بحدّ السيف ونحوه.

(٧) البادرة: ما يبدر من اللسان عند الغضب من سِباب ونحوه.

ومما أثر عن الإمام علي عليه السلام

الإمام علي قدم دروساً مهمة لمن يصلون إلى موقع المسؤولية

عندما آل إليه أمر الخلافة بعد فترة زمنية معروفة تقدر بما يقرب من خمسة وعشرين عامًا أثبت أنه - عليه السلام - بمستوى المسؤولية، كان في مستوى المسؤولية يتعامل من موقعه في الخلافة، يشعر بالمسؤولية لا طامعًا ولا يعتبرها مغنمًا، لا يعتبر السلطة ولا يعتبر ولاية الأمر مغنمًا ومكسبًا للتسلط وجمع الثروة.. كلا. يعتبرها مسؤولية لإحقاق الحق لإقامة العدل، لبناء الأمة، لهداية الأمة، لتزكية أنفسها، لبنائها بناءً عظيمًا. قال عبد الله بن العباس: دخلت على أمير المؤمنين - عليه السلام - بذي قار وهو يخصف نعله، فقال لي: «**ما قيمة هذا النعل؟**» فقلت: لا قيمة لها. فقال عليه السلام: «**والله لهي أحب إلي من إمرتكم إلا أن أقيم حقًا أو أدفع باطلا**» لا قيمة للسلطة عند الإمام إلا إذا كانت وسيلة لخدمة الأمة، إذا كانت للرحمة بالناس، إذا كانت لهداية الناس بعيدًا كل البعد عن الظلم، متورعًا يخشى الله، يخشى الله في عباده ورحيمًا بالناس وهو القائل: يتبرّأ من الظلم:

«**وَاللّه لأَنْ أَبِيتَ عَلَى حَسَكِ السَّعْدَانِ[1] مُسَهَّداً[2]، أَوْ أُجَرَّ فِي الأَغْلاَلِ مُصَفَّداً[3]، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَى اللّهَ وَرَسُولَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظَالِماً لِبَعْضِ الْعِبَادِ، وَغَاصِباً لِشَيْءٍ مِنَ الْحُطَامِ، وَكَيْفَ أَظْلِمُ أَحَداً لِنَفْسٍ يُسْرِعُ إِلَى الْبِلَى قُفُولُهَا[4]، وَيَطُولُ فِي الثَّرَى[5] حُلُولُهَا؟!**

---

(١) كأنه يريد من الحَسَك: الشوك. والسَعْدان: نبت ترعاه الابل له شوك تشبه به حلمة الثدي.
(٢) المُسَهّد: من سهّده إذا أسهره.
(٣) المصفّد: المقيّد.
(٤) قُفولها: رجوعها.
(٥) الثرى: التراب.

وَاللّه لَقَدْ رَأَيْتُ عَقيلاً وَقَدْ أمْلَقَ[1] حَتَّى اسْتماحَني[2] مِنْ بُرِّكُمْ[3] صَاعاً، ورَأيْتُ صِبْيَانَهُ شُعْثَ[4] [الشُّعُور، غُبْرَ[5]] الألْوان، مِنْ فَقْرِهِمْ، كَأَنَّمَا سُوِّدَتْ وُجُوهُهُمْ بِالْعِظْلِم[6]، وَعَاوَدَني مُؤَكِّداً، وَكَرَّرَ عَلَيَّ الْقَوْلَ مُرَدِّداً، فَأَصْغَيْتُ إِلَيْه سَمَعي، فَظَنَّ أَنِّي أَبِيعُهُ دِيني، وَأَتَّبِعُ قِيَادَهُ[7]، مُفَارِقاً طَرِيقِي، فَأَحْمَيْتُ لَهُ حَدِيدَةً، ثُمَّ أَدْنَيْتُهَا مِنْ جِسْمِه لِيَعْتَبِرَ بِهَا، فَضَجَّ ضَجِيجَ ذِي دَنَفٍ[8] مِنْ أَلَمِهَا، وَكَادَ أَنْ يَحْتَرِقَ مِنْ مِيسَمِهَا[9]، فَقُلْتُ لَهُ: ثَكِلَتْكَ الثَّوَاكِلُ[10]، يَا عَقِيلُ! أَتَئِنُّ مِنْ حَدِيدَةٍ أَحْمَاهَا إِنْسَانُهَا لِلَعِبِه، وَتَجُرُّنِي إِلَى نَارٍ سَجَرَهَا جَبَّارُهَا لِغَضَبِه! أَتَئِنُّ مِنَ الأذَى وَلا أَئِنُّ مِنْ لَظىً[11]؟!

وَأَعْجَبُ مِنْ ذلكَ طَارِقٌ طَرَقَنَا بِمَلْفُوفَةٍ[12] فِي وِعَائِهَا، وَمَعْجُونَةٍ شَنِئْتُهَا[13]، كَأَنَّمَا عُجِنَتْ بِرِيقِ حَيَّةٍ أَوْ قَيْئِهَا، فَقُلْتُ: أَصِلَةٌ[14]، أَمْ زَكَاةٌ، أَمْ صَدَقَةٌ؟ فَذلِكَ مُحَرَّمٌ عَلَيْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ! فَقَالَ: لا ذَا وَلاَ ذَاكَ، وَلكِنَّهَا هَدِيَّةٌ، فَقُلْتُ: هَبِلَتْكَ الْهَبُولُ[15]! أَعَنْ دِينِ اللهِ أَتَيْتَنِي لِتَخْدَعَنِي؟ أَمُخْتَبِطٌ[16] [أَنْتَ]أَمْ ذُو جِنَّةٍ[17]، أَمْ تَهْجُرُ[18]؟ وَاللهِ لَوْ أُعْطِيتُ الأَقَالِيمَ السَّبْعَةَ بِمَا تَحْتَ أَفْلاَكِهَا، عَلَى أَنْ أَعْصِيَ اللهَ فِي نَمْلَةٍ

(١) أَمْلَقَ: افتقر أشدّ الفقر.
(٢) استماحني: استعطاني.
(٣) البُرّ: القمح
(٤) شُعْث: جمع أشْعث، وهو من الشعر المتلبد بالوسخ.
(٥) الغُبْر ـ بضم الغين، جمع أغبر ـ : متغير اللون شاحبه.
(٦) العظْلم ـ كزبْرج ـ : سواد يصبغ به، قيل هو النيلج أي النيلة.
(٧) القِياد: ما يُقادُ به كالزمام.
(٨) الدَنَف ـ بالتحريك ـ : المرض.
(٩) الميسَم ـ بكسر الميم وفتح السين ـ : المكْواة..
(١٠) ثَكِلَ ـ كفرح ـ : أصاب ثُكْلاً ـ بالضم ـ وهو فقدان الحبيب أو خاص بالولد. والثواكل: **النساء**.
(١١) لَظَى: اسم جهنم.
(١٢) الملفوفة: نوع من الحلواء أهداها الاشعث بن قيس إلى عليّ.
(١٣) شَنِئْتها: أي كرهتها.
(١٤) الصلة: العطية.
(١٥) هَبِلَتْكَ ـ بكسر الباء ـ : ثكلتك; والهَبُول ـ بفتح الهاء ـ : المرأة لا يعيش لها ولد.
(١٦) أمُخْتَبِطٌ في رأسك: أمختلّ نظام إدراكك؟.
(١٧) ذوجِنَّة: من أصابه مسّ من الشيطان.
(١٨) تهجر: أي تهذي بما لا معنى له في مرض ليس بصرع.

أَسْلُبُهَا جِلْبَ[1] شَعِيرَةٍ مَا فَعَلْتُهُ، وَإِنَّ دُنْيَاكُمْ عِنْدِي لَأَهْوَنُ مِنْ وَرَقَةٍ فِي فَمِ جَرَادَةٍ تَقْضَمُهَا[2]، مَا لِعَلِيٍّ وَلِنَعِيمٍ يَفْنَى، وَلَذَّةٍ لَا تَبْقَى!

نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ سُبَاتِ الْعَقْلِ، وَقُبْحِ الزَّلَلِ[3]، وَبِهِ نَسْتَعِينُ.

وعندما كان يقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين لم يقاتل لتثبيت سلطان، ولا طمعًا في جاه، ولا طمعًا في مال، وهو القائل:

« اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنِ الَّذِي كَانَ مِنَّا مُنَافَسَةً فِي سُلْطَانٍ، وَلَا الْتِمَاسَ شَيْءٍ مِنْ فُضُولِ الْحُطَامِ، وَلَكِنْ لِنَرُدَّ الْمَعَالِمَ مِنْ دِينِكَ، وَنُظْهِرَ الْإِصْلَاحَ فِي بِلَادِكَ، فَيَأْمَنَ الْمَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ، وَتُقَامَ الْمُعَطَّلَةُ مِنْ حُدُودِكَ.

وحينما كان ينادي في الأمة يدعوها لنصره، لتثبيت العدل، لإقامة الحق، للتأسيس لمستقبلٍ قائم على العدل والحق والخير لهذه الأمة فيتخاذل عنه الكثير من الناس ولا يستجيبون صم بكم عميٌ، كان -عليه السلام- يدعو الله فيقول: « اللَّهُمَّ أَيُّمَا عَبْدٍ مِنْ عِبَادِكَ سَمِعَ مَقَالَتَنَا الْعَادِلَةَ غَيْرَ الْجَائِرَةِ، وَالْمُصْلِحَةَ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا غَيْرَ الْمُفْسِدَةِ، فَأَبَى بَعْدَ سَمْعِهِ لَهَا إِلَّا النُّكُوصَ عَنْ نُصْرَتِكَ، وَالْإِبْطَاءَ عَنْ إِعْزَازِ دِينِكَ، فَإِنَّا نَسْتَشْهِدُكَ عَلَيْهِ يَا أَكْبَرَ الشَّاهِدِينَ شَهَادَةً، وَنَسْتَشْهِدُ عَلَيْهِ جَمِيعَ مَا أَسْكَنْتَهُ أَرْضَكَ وَسَمَاوَاتِكَ، ثُمَّ أَنْتَ بَعْدُ الْمُغْنِي عَنْ نَصْرِهِ، وَالْآخِذُ لَهُ بِذَنْبِهِ».

وهكذا كان -عليه السلام- في مستوى المسؤولية واعيًا بها، لا طامعًا بحكم ولا معتبرًا لها مغنمًا، من هنا نفهم أهمية ولاية الأمر في الإسلام وأنها يجب أن تكون امتدادًا لولاية الله خاضعةً للمعايير والمؤهلات التي حددها الله، من يلي أمر الأمة، هذه أمة مسلمة نحن مسلمون من يلي أمرنا يجب أن تكون عنده رحمة، وحكمة، يجب أن يكون عارفًا كيف يربي الأمة، كيف يبني الأمة، كيف يطور حياتها، كيف ينمي اقتصادها، كيف يزكي أنفسها، كيف يواجه أعداءها، وعلى أساس دينها، وعلى أساس منهج ربها؛ لأن لولاية الأمر صلة وثيقة بإقامة الدين ولهذا قال الله لنبيه محمد ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾.

(١) جلب الشعيرة: قشرتها. وأصل الجلْب غطاء الرحل فتجوّزَ في إطلاقه على غطاء الحبة.
(٢) قَضمَت الدابّةُ الشعيرَ ـ من باب عَلِمَ ـ : كسرته بأطراف أسنانها.
(٣) سُبات العقل: نومه. والزَلَل: السقوط في الخطأ.

وصايا هامة في الجانب العسكري والإداري وفي كيف يجب أن يكون من يصل إلى موقع السلطة

فمن كتاب له ‹عليه السلام› إلى زياد ابن أبيه وهو خليفة عامله عبد الله بن عباس على البصرة وعبد الله عامل أمير المؤمنين ‹عليه السلام› يومئذ عليها وعلى كور الأهواز[1] وفارس وكرمان وغيرها:

«وَإِنِّي أُقْسِمُ بِاللهِ قَسَماً صَادِقاً، لَئِنْ بَلَغَنِي أَنَّكَ خُنْتَ مِنْ فَيْءِ[2] الْمُسْلِمِينَ شَيْئاً صَغِيراً أَوْ كَبِيراً، لأَشُدَّنَّ عَلَيْكَ شَدَّةً تَدَعُكَ قَلِيلَ الْوَفْرِ[3]، ثَقِيلَ الظَّهْرِ[4]، ضَئِيلَ الأَمْرِ[5]، وَالسَّلاَمُ.»[6].

ومن عهد له ‹عليه السلام› إلى محمد بن أبي بكر - رضي الله عنه - حين قلده مصر:

«اخْفِضْ لَهُمْ جَنَاحَكَ، وَأَلِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ، وَابْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ، وَآسِ[7] بَيْنَهُمْ فِي اللَّحْظَةِ وَالنَّظْرَةِ، حَتَّى لاَ يَطْمَعَ الْعُظَمَاءُ فِي حَيْفِكَ لَهُمْ[8]، وَلاَ يَيْأَسَ الضُّعَفَاءُ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ.

وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى يُسَائِلُكُمْ مَعْشَرَ عِبَادِهِ عَنِ الصَّغِيرَةِ مِنْ أَعْمَالِكُمْ وَالْكَبِيرَةِ، وَالظَّاهِرَةِ وَالْمَسْتُورَةِ، فَإِنْ يُعَذِّبْ فَأَنْتُمْ أَظْلَمُ، وَإِنْ يَعْفُ فَهُوَ أَكْرَمُ.

وَاعْلَمُوا عِبَادَ اللهِ، أَنَّ الْمُتَّقِينَ ذَهَبُوا بِعَاجِلِ الدُّنْيَا وَآجِلِ الآخِرَةِ، فَشَارَكُوا أَهْلَ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ، وَلَمْ يُشَارِكْهُم أَهْلُ الدُّنْيَا فِي آخِرَتِهِمْ; سَكَنُوا الدُّنْيَا بِأَفْضَلِ مَا سُكِنَتْ، وَأَكَلُوهَا بِأَفْضَلِ مَا أُكِلَتْ، فَحَظُوا مِنَ الدُّنْيَا بِمَا حَظِيَ بِهِ الْمُتْرَفُونَ[9]، وَأَخَذُوا

(١) كُوَر: جمع كُورة وهي الناحية المضافة إلى أعمال بلد من البلدان. والاهواز: تسع كُوَر بين البصرة وفارس.

(٢) فيئهم: ما لهم من غنيمة أو خراج.

(٣) الوَفْر: المال.

(٤) ثقيل الظهر: أي مسكين لا تقدر على مؤونة عيالك.

(٥) ضئيل الأمر: الحقير.

(٦) النهج ١/ ٣٧٤.

(٧) آس: أمر من آسى - بمد الهمزة - أي سَوّى، يريد: اجعلْ بعضهم أُسوة بعض أي مستوين.

(٨) حَيْفك لهم. أي ظلمك لاجلهم.

(٩) المترفون: المنعمون.

منْهَا مَا أَخَذَهُ الْجَبَابِرَةُ الْمُتَكَبِّرُونَ، ثُمَّ انْقَلَبُوا عَنْهَا بِالزَّادِ الْمُبَلِّغِ، وَالْمَتْجَرِ الرَّابِحِ، أَصَابُوا لَذَّةَ زُهْدِ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ، وَتَيَقَّنُوا أَنَّهُمْ جِيرَانُ اللّٰهِ غَداً فِي آخِرَتِهِمْ، لاَ تُرَدُّ لَهُمْ دَعْوَةٌ، وَلاَ يَنْقُصُ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنْ لَذَّةٍ.

فَاحْذَرُوا عِبَادَ اللّٰهِ الْمَوْتَ وَقُرْبَهُ، وَأَعِدُّوا لَهُ عُدَّتَهُ، فَإِنَّهُ يَأْتِي بِأَمْرٍ عَظِيمٍ، وَخَطْبٍ جَلِيلٍ، بِخَيْرٍ لاَ يَكُونُ مَعَهُ شَرٌّ أَبَداً، أَوْ شَرٍّ لاَ يَكُونُ مَعَهُ خَيْرٌ أَبَداً، فَمَنْ أَقْرَبُ إِلَى الْجَنَّةِ مِنْ عَامِلِهَا! وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَى النَّارِ مِنْ عَامِلِهَا! وَأَنْتُمْ طُرَدَاءُ الْمَوْتِ، إِنْ أَقَمْتُمْ لَهُ أَخَذَكُمْ، وَإِنْ فَرَرْتُمْ مِنْهُ أَدْرَكَكُمْ، وَهُوَ أَلْزَمُ لَكُمْ مِنْ ظِلِّكُمْ، الْمَوْتُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيكُمْ[1]، وَالدُّنْيَا تُطْوَى مِنْ خَلْفِكُمْ.

فَاحْذَرُوا نَاراً قَعْرُهَا بَعِيدٌ، وَحَرُّهَا شَدِيدٌ، وَعَذَابُهَا جَدِيدٌ، دَارٌ لَيْسَ فِيهَا رَحْمَةٌ، وَلاَ تُسْمَعُ فِيهَا دَعْوَةٌ، وَلاَ تُفَرَّجُ فِيهَا كُرْبَةٌ.

وَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ يَشْتَدَّ خَوْفُكُمْ مِنَ اللّٰهِ، وَأَنْ يَحْسُنَ ظَنُّكُمْ بِهِ، فَاجْمَعُوا بَيْنَهُمَا، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِنَّمَا يَكُونُ حُسْنُ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ عَلَى قَدْرِ خَوْفِهِ مِنْ رَبِّهِ، وَإِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ ظَنّاً بِاللّٰهِ أَشَدُّهُمْ خَوْفاً لِلّٰهِ.

وَاعْلَمْ - يَا مُحَمَّدُ بْنَ أَبِي بَكْرٍ - أَنِّي قَدْ وَلَّيْتُكَ أَعْظَمَ أَجْنَادِي فِي نَفْسِي أَهْلَ مِصْرَ، فَأَنْتَ مَحْقُوقٌ أَنْ تُخَالِفَ عَلَى نَفْسِكَ[2]، وَأَنْ تُنَافِحَ[3] عَنْ دِينِكَ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَكَ إِلاَّ سَاعَةٌ مِنَ الدَّهْرِ، وَلاَ تُسْخِطِ اللّٰهَ بِرِضَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، فَإِنَّ فِي اللّٰهِ خَلَفاً مِنْ غَيْرِهِ[4]، وَلَيْسَ مِنَ اللّٰهِ خَلَفٌ فِي غَيْرِهِ.

صَلِّ الصَّلاَةَ لِوَقْتِهَا الْمُوَقَّتِ لَهَا، وَلاَ تُعَجِّلْ وَقْتَهَا لِفَرَاغٍ، وَلاَ تُؤَخِّرْهَا عَنْ وَقْتِهَا لاِشْتِغَالٍ، وَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ عَمَلِكَ تَبَعٌ لِصَلاَتِكَ.

ومن هذا العهد:

فَإِنَّهُ لاَ سَوَاءَ، إِمَامُ الْهُدَى وَإِمَامُ الرَّدَى، وَوَلِيُّ النَّبِيِّ وَعَدُوُّ النَّبِيِّ، وَلَقَدْ قَالَ لِي رَسُولُ اللّٰهِ (صلى الله عليه وآله): «إِنِّي لاَ أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي مُؤْمِناً وَلاَ مُشْرِكاً، أَمَّا

(١) النَوَاصي - جمع ناصية -: مُقَدّم شعر الرأس.
(٢) تخالف على نفسك: أي تخالف شهوة نفسك.
(٣) المنافحة: المدافعة والمجالدة.
(٤) إنّ في الله خَلَفاً من غيره: أي عِوَضاً.

الْمُؤمِنُ فَيَمْنَعُهُ اللهُ بإيمانِهِ، وَأمَّا الْمُشْرِكُ فَيَقْمَعُهُ(١) اللهُ بِشِرْكِه، لكنِّي أخَافُ عَلَيْكُمْ كُلَّ مُنَافِقِ الْجِنَانِ(٢)، عَالِمِ اللِّسَانِ(٣)، يَقُولُ مَا تَعْرِفُونَ، وَيَفْعَلُ مَا تُنْكِرُونَ»(٤)

ومن كتاب له ‹عليه السلام› إلى عثمان بن حنيف الأنصاري وكان عامله على البصرة وقد بلغه أنه دعي إلى وليمة قوم من أهلها، فمضى إليهم قوله:

«أمَّا بَعْدُ، يَابْنَ حُنَيْف، فَقَدْ بَلَغَنِي أنَّ رَجُلاً مِنْ فِتْيَةِ أهْلِ الْبَصْرَةِ دَعَاكَ إلى مَأْدُبَة(٥)، فَأسْرَعْتَ إلَيْهَا، تُسْتَطَابُ لَكَ(٦) الألْوَانُ(٧)، وَتُنْقَلُ إلَيْكَ الْجِفَانُ(٨)، وَمَا ظَنَنْتُ أنَّكَ تُجِيبُ إلى طَعَامِ قَوْم، عَائِلُهُمْ(٩) مَجْفُوٌّ(١٠)، وَغَنِيُّهُمْ مَدْعُوٌّ.

فَانْظُرْ إلَى مَا تَقْضَمُهُ(١١) مِنْ هذَ الْمَقْضَمِ، فَمَا اشْتَبَهَ عَلَيْكَ عِلْمُهُ فَالْفِظْهُ(١٢)، وَمَا أيْقَنْتَ بِطِيبِ وُجُوهِهِ فَنَلْ مِنْهُ.

ألاَ وَإنَّ لِكُلِّ مَأمُومٍ إمَاماً، يَقْتَدِي بِهِ، وَيَسْتَضِيءُ بِنُورِ عِلْمِهِ.

ألاَ وَإنَّ إمَامَكُمْ قَدِ اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطِمْرَيْهِ(١٣)، وَمِنْ طُعْمِهِ(١٤) بِقُرْصَيْهِ(١٥).

ألاَ وَإنَّكُمْ لاَ تَقْدِرُونَ عَلَى ذلِكَ، وَلكِنْ أعِينُونِي بِوَرَعٍ وَاجْتِهَادٍ، [وَعِفَّةٍ وَسَدَادٍ](١٦).

---

(١) يَقْمَعه: يقهره.
(٢) منافق الجَنان: من أسرّ النفاق في قلبه.
(٣) عالم اللسان: من يعرف أحكام الشريعة ويسهل عليه بيانها فيقول حقاً يعرفه المؤمنون ويفعل منكراً ينكرونه.
(٤) النهج ١/ ٣٨٤.
(٥) المأدبة ـ بفتح الدال وضمها ـ: الطعام يصنع لدعوة أو عرس.
(٦) تُستَطاب لك: يطلب لك طيبها.
(٧) الالوان: المراد هنا أصناف الطعام.
(٨) الجفان ـ بكسر الجيم ـ: جمع جفنة وهي القصعة.
(٩) عائلهم: محتاجهم.
(١٠) مجفو: أي مطرود، من الجفاء.
(١١) قَضمَ ـ كسمع ـ: أكل بطرف أسنانه، والمراد الاكل مطلقاً، والمَقْضَم ـ كمقعد ـ: المأكل.
(١٢) ألفظه: أطرحه.
(١٣) الطمْر ـ بالكسر ـ: الثوب الخلق البالي.
(١٤) طُعْمه ـ بضم الطاء ـ: ما يطعمه ويفطر عليه.
(١٥) قُرْصَيْه: تثنية قرص، وهو الرغيف.
(١٦) السداد: التصرف الرشيد، وأصله الثواب والاحتراز من الخطأ.

فَـوَاللّهِ مَـا كَنَزْتُ مِنْ دُنْيَاكُمْ تِبْراً[١]، وَلا ادَّخَرْتُ مِـنْ غَنَائِمِهَا وَفْراً[٢]، وَلاَ أَعْدَدْتُ لِبَالِي ثَوْبِي طِمْراً[٣].

بَلَـى! كَانَـتْ فِي أَيْدِينَا فَدَكٌ مِنْ كلِّ مَا أَظَلَّتْهُ السَّـمَاءُ، فَشَـحَّتْ عَلَيْهَـا نُفُوسُ قَوْم، وَسَخَتْ عَنْهَا نُفُوسُ آخَرِينَ، وَنِعْمَ الْحَكَمُ اللّهُ.

وَمَا أَصْنَعُ بِفَـدَك[٤] وَغَيْرِ فَدَك، وَالنَّفْسُ مَظَانُّهَا[٥] فِـي غَد جَدَثٌ[٦]، تَنْقَطِعُ فِي ظُلْمَتِـهِ آثَارُهَا، وَتَغِيبُ أَخْبَارُهَا، وَحُفْرَةٌ لَوْ زِيدَ فِي فُسْـحَتِهَا، وَأَوْسَـعَتْ يَدَا حَافِرِهَا، لاَضْـغَطَهَا[٧] الْحَجَـرُ وَالْمَدَرُ[٨]، وَسَـدَّ فُرَجَهَا[٩] التُّـرَابُ الْمُتَرَاكِمُ، وَإِنَّمَا هِيَ نَفْسِـي أَرُوضُهَا[١٠] بِالتَّقْوَى لِتَأْتِيَ آمِنَةً يَوْمَ الْخَوْفِ الأَكْبَرِ، وَتَثْبُتَ عَلَى جَوَانِبِ الْمَزْلَقِ[١١].

وَلَوْ شِـئْتُ لاَهْتَدَيْتُ الطَّرِيقَ، إِلَى مُصَـفَّى هذَا الْعَسَـلِ، وَلُبَابِ هذَا الْقَمْحِ، وَنَسَـائِجِ هذَا الْقَزِّ[١٢]، وَلكِنْ هَيْهَاتَ أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ، وَيَقُودَنِي جَشَعِي[١٣] إِلَى تَخَيُّرِ الأَطْعِمَةِ ـ وَلَعَلَّ بِالْحِجَازِ أَوِ بِالْيَمَامَةِ مَنْ لاَطَمَعَ لَهُ فِي الْقُرْصِ[١٤]، وَلاَ عَهْدَ لَهُ بِالشِّبَعِ ـ أَوْ أَبِيتَ

---

(١) التِبْر ـ بكسر فسكون ـ: فُتات الذهب والفضة قبل أن يصاغ.

(٢) الوَفْر: المال.

(٣) الطِمْـر: الثـوب البالي، وقد سبق قريباً، والثوب هنا عبارة عن الطمرين، فان مجموع الرداء والازار يعد ثوباً واحداً، فبهما يكسى البدن لا بأحدهما.

(٤) فَـدَك ـ بالتحريـك ـ: قرية لرسول الله (صلـى الله عليه وآله)، وكان صالـح أهلها على النصف من نخيلهـا بعد خيبر؛ وإجماع الشيعة علـى أنه كان أعطاها فاطمة (عليها السـلام) قبل وفاته، إلاّ أن أبابكر سلبها من يدها غصباً.

(٥) المظانّ: جمع مظنة وهوالمكان الذي يظنّ فيه وجود الشيء.

(٦) جَدَث ـ بالتحريك ـ أي: قبر.

(٧) أضْغَطَها: جعلَها من الضيق بحيث تضغط وتعصر الحال فيها.

(٨) المَدَر ـ جمع مَدَرة مثل قَصَب وقصبة ـ: وهو التراب المتلبد، أو قطع الطين.

(٩) فُرَجها ـ جمع فُرْجَة مثال غُرَف و غُرفة ـ: كل منفرج بين شيئين.

(١٠) أرُوضُها: أذلّلها.

(١١) المزلـق ومثله المزلقة: موضع الزلل، وهو المكان الـذى يخشى فيه أن تزل القدمان، والمراد هنا الصراط.

(١٢) القزّ: الحرير.

(١٣) الجشع: شدة الحرص.

(١٤) القُرْص: الرغيف.

مِبْطَاناً وَحَوْلِي بُطُونٌ غَرْثَى[١] وَأَكْبَادٌ حَرَّى[٢]، أَوْ أَكُونَ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ:

وَحَسْبُكَ دَاءً أَنْ تَبِيتَ بِبِطْنَةٍ[٣] .... وَحَوْلَكَ أَكْبَادٌ تَحِنُّ إِلَى الْقِدِّ[٤]

أَأَقْنَعُ مِنْ نَفْسِي بِأَنْ يُقَالَ: أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلاَ أُشَارِكُهُمْ فِي مَكَارِهِ الدَّهْرِ، أَوْ أَكُونَ أُسْوَةً لَهُمْ فِي جُشُوبَةِ[٥] الْعَيْشِ! فَمَا خُلِقْتُ لِيَشْغَلَنِي أَكْلُ الطَّيِّبَاتِ، كَالْبَهِيمَةِ الْمَرْبُوطَةِ هَمُّهَا عَلَفُهَا، أَوِ الْمُرْسَلَةِ شُغُلُهَا تَقَمُّمُهَا[٦]، تَكْتَرِشُ[٧] مِنْ أَعْلاَفِهَا[٨]، وَتَلْهُو عَمَّا يُرَادُ بِهَا، أَوْ أُتْرَكَ سُدًى، أَوْ أُهْمَلَ عَابِثاً، أَوْ أَجُرَّ حَبْلَ الضَّلاَلَةِ، أَوْ أَعْتَسِفَ[٩] طَرِيقَ الْمَتَاهَةِ[١٠]! وَكَأَنِّي بِقَائِلِكُمْ يَقُولُ: إِذَا كَانَ هَذَا قُوتُ ابْنِ أَبِي طَالِب، فَقَدْ قَعَدَ بِهِ الضَّعْفُ عَنْ قِتَالِ الأَقْرَانِ وَمُنَازَلَةِ الشُّجْعَانِ.

أَلاَ وَإِنَّ الشَّجَرَةَ الْبَرِّيَّةَ[١١] أَصْلَبُ عُوداً، وَالرَّوَائِعَ الْخَضِرَةَ[١٢] أَرَقُّ جُلُوداً، وَالنَّابِتَاتِ الْعِذْيَةَ[١٣] أَقْوَى وَقُوداً[١٤]، وَأَبْطَأُ خُمُوداً، وَأَنَا مِنْ رَسُولِ اللّهِ (صلى الله عليه وآله) كَالصِّنْوِ مِنَ الصِّنْوِ[١٥]، وَالذِّرَاعِ مِنَ الْعَضُدِ[١٦].

وَاللّهِ لَوْ تَظَاهَرَتِ الْعَرَبُ عَلَى قِتَالِي لَمَا وَلَّيْتُ عَنْهَا، وَلَوْ أَمْكَنَتِ الْفُرَصُ مِنْ رِقَابِهَا

---

(١) بطون غرثى: جائعة.
(٢) أكباد حرّى ـ مؤنث حران ـ أي: عطشان.
(٣) البِطْنَة ـ بكسر الباء ـ : البطر والاشر.
(٤) القِدّ ـ بالكسر ـ : سير من جلد غير مدبوغ.
(٥) الجُشوبة: الخشونة، وتقول: جشب الطعام ـ كنصر وسمع ـ فهو جَشِب، وجَشِب كشهم وبطر، وجشيب ومِجْشاب ومجشوب أي غَلُظَ فهو غليظ.
(٦) تقمّمها: التقاطها للقمامة، أي الكناسة.
(٧) تكترش: تملا كرشها.
(٨) الاعلاف ـ جمع علف ـ : ما يهيأ للدابة لتأكله.
(٩) اعْتَسف: ركب الطريق على غير قصد.
(١٠) المَتاهة: موضع الحيرة.
(١١) الشجرة البريّة: التي تنبت في البر الذي لا ماء فيه.
(١٢) الرَوَائع الخَضرة: الاشجار والاعشاب الغضة الناعمة التي تنبت في الارض الندية.
(١٣) النابتات العِذْية: التي تنبت عذياً، والعِذْي ـ بسكون الذال ـ : الزرع لايسقيه إلاّ ماء المطر.
(١٤) الوَقود: اشتعال النار.
(١٥) الصنوان: النخلتان يجمعهما أصل واحد.
(١٦) الذراع من العضد: شبه الامام نفسه من الرسول بالذراع الذي أصله العضد، كناية عن شدة الامتزاج والقرب بينهما.

لَسَارَعْتُ إِلَيْهَا،سَأَجْهَدُ(١) في أَنْ أُطَهِّرَ الأرضَ من هذا الشَّخْصِ الْمَعْكُوسِ، وَالْجِسْمِ الْمَرْكُوسِ(٢)، حَتَّى تَخْرُجَ الْمَدَرَةُ(٣) مِنْ بَيْنِ حَبِّ الْحَصِيدِ(٤)». (٥)

◃ومما ورد عنه في أهمية الجهاد▹

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ، فَتَحَهُ اللّٰهُ لِخَاصَّةِ أَوْلِيَائِهِ، وَهُوَ لِباسُ التَّقْوَى، وَدِرْعُ اللّٰهِ الحَصِينَةُ، وَجُنَّتُهُ(٦) الوَثِيقَةُ، فَمَنْ تَرَكَهُ رَغْبَةً عَنْهُ(٧) أَلْبَسَهُ اللّٰهُ ثَوْبَ الذُّلِّ، وَشَمِلَهُ البَلاَءُ، وَدُيِّثَ(٨) بِالصَّغَارِ وَالقَمَاءَةِ(٩)، وَضُرِبَ عَلَى قَلْبِهِ بِالأَسْهَابِ(١٠)، وَأُدِيلَ الحَقُّ مِنْهُ(١١) بِتَضْيِيعِ الجِهَادِ، وَسِيمَ الخَسْفَ(١٢)، وَمُنِعَ النَّصَفَ(١٣).

◃استنهاض الناس]

أَلاَ وَإِنِّي قَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَى قِتَالِ هؤُلاَءِ القَوْمِ لَيْلاً وَنَهَاراً، وَسِرّاً وَإِعْلاَناً، وَقُلْتُ لَكُمْ: اغْزُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَغْزُوكُمْ، فَوَاللّٰهِ مَا غُزِيَ قَوْمٌ قَطُّ فِي عُقْرِ دَارِهِمْ(١٤) إِلاَّ ذَلُّوا،

---

(١) جَهَدَ ـ كمنع ـ : جد.
(٢) المركوس: من الركس، وهو رد الشيء مقلوباً وقلب آخره على أو له، والمراد مقلوب الفكر.
(٣) المَدَرَة ـ بالتحريك ـ : قطعة الطين اليابس.
(٤) حبّ الحصيد: حب النبات المحصود كالقمح ونحوه، والمراد بخروج المدرة من حبّ الحصيد: أنه يطهر المؤمنين من المخالفين.
(٥) النهج ٢/٤١٧.
(٦) جُنّتُه ـ بالضم ـ : وقايته، والجُنّة: كل ما استترت به.
(٧) رغبةً عنه: زُهداً فيه.
(٨) دُيّثَ ـ مبني للمجهول من دَيّثَه ـ أي: ذلّله.
(٩) القماءة: الصّغار والذل، والفعل منه قَمُؤَ من باب كَرُمَ.
(١٠) الاسهاب: ذهاب العقل أوكثرة الكلام، أي حيل بينه وبين الخير بكثرة الكلام بلا فائدة. وروي: (ضُرب على قلبه بالاسّداد) جمع سد أي الحجب.
(١١) أُديل الحقّ منه، أي: صارت الدولة للحق بَدَلَهُ.
(١٢) سيم الخسف أي: أُولي الخسف، وكلّفه، والخسف: الذّل والمشقّة أيضاً.
(١٣) النَّصَف: العدل، ومُنع مجهول، أي حُرِمَ العدلَ: بأن يسلط اللّٰه عليه من يغلبه على أمره فيظلمه..
(١٤) عُقْر الدار ـ بالضم ـ : وسطها وأصلها.

فَتَوَاكَلْتُمْ[١] وَتَخَاذَلْتُم حَتَّى شُنَّتْ عَلَيْكُم الغَارَاتُ[٢]، وَمُلِكَتْ عَلَيْكُمُ الأوْطَانُ.

وَهذا أخُو غامد قَدْ وَرَدَتْ خَيْلُهُ الأنْبَار[٣]، وَقَدْ قَتَلَ حَسَّانَ بْنَ حَسَّانَ البَكْرِيَّ، وَأَزَالَ خَيْلَكُم عَنْ مَسَالِحِهَا[٤].

وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُم كَانَ يَدْخُلُ عَلَى المَرْأَةِ المُسْلِمَةِ، وَالأُخْرَى المُعَاهَدَةِ[٥]، فَيَنْتَزِعُ حِجْلَهَا[٦] وَقُلْبَهَا[٧] وَقَلائِدَهَا، وَرِعَاثَهَا[٨]، مَا تَمْتَنِعُ مِنْهُ إِلاَّ بِالاسْتِرْجَاعِ وَالاسْتِرْحَامِ[٩]، ثُمَّ انْصَرَفُوا وَافِرِينَ[١٠]، مَا نَالَ رَجُلاً مِنْهُم كَلْمٌ[١١]، وَلا أُرِيقَ لَهُم دَمٌ، فَلَوْ أَنَّ امْرَأً مُسْلِماً مَاتَ مِن بَعْدِ هَذَا أَسَفاً مَا كَانَ بِهِ مَلُوماً، بَلْ كَانَ بِهِ عِنْدِي جَدِيراً.

فَيَا عَجَباً! عَجَباً ـ وَاللهِ ـ يُمِيتُ القَلْبَ وَيَجْلِبُ الهَمَّ مِن اجْتِمَاعِ هَؤُلاءِ القَوْمِ عَلَى بَاطِلِهِمْ، وَتَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ! فَقُبْحاً لَكُمْ وَتَرَحاً[١٢]، حِينَ صِرْتُمْ غَرَضاً[١٣] يُرْمَى: يُغَارُ عَلَيْكُمْ وَلاَ تُغِيرُونَ، وَتُغْزَوْنَ وَلاَ تَغْزُونَ، وَيُعْصَى اللهُ وَتَرْضَوْنَ!

فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِم فِي أَيَّامِ الحَرِّ قُلْتُمْ: هذه حَمَارَّةُ القَيْظِ[١٤] أَمْهِلْنَا يُسَبَّخْ عَنَّا الحَرُّ[١٥]، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي الشِّتَاءِ قُلْتُمْ: هذه صَبَارَّةُ القُرِّ[١٦]، أَمْهِلْنَا

---

(١) تواكلتم: وكَلَ كل منكم الامر إلى صاحبه، أي لم يتولّهُ أحد منكم، بل أحاله كلٌّ على الاخر.
(٢) شُنّت عليكم الغارات: مُزِّقَت عليكم من كل جانب كما يشن الماء متفرقاً دفعةً بعد دفعة>.
(٣) الانبار: بلدة على شاطىء الفرات الشرقي، ويقابلها على الجانب الاخر «هيت»..
(٤) المسالِحُ: جمع مَسْلَحَة ـ بالفتح ـ: وهي الثغر والمَرْقب حيث يُخشى طروقُ الاعداء.
(٥) المعاهَدَة: الذميّة.
(٦) الحجْل ـ بالكسر و بالفتح و بكسرين ـ: الخلخال.
(٧) القُلُب ـ بضمتين ـ: جمع قُلْب ـ بالضم فسكون ـ: السوار المُصْمَت.
(٨) الرعاث ـ جمع رَعثة ـ وهو: ضرب من الخرز.
(٩) الاسترجاع: ترديد الصوت بالبكاء مع القول: إنّا لله وإنا اليه راجعون،والاسترحام: أن تناشده الرحمة.
(١٠) وافرين: تامين على كثرتهم لم ينقص عددهم، ويروى (موفورين)..
(١١) الكَلْم ـ بالفتح ـ: الجرح.
(١٢) تَرَحاً ـ بالتحريك ـ أي: همّاً وحُزْناً..
(١٣) الغرض: ما ينصب ليرمى بالسهام ونحوها، فقد صاروا بمنزلة الهدف يرميهم الرامون.
(١٤) حَمَارّة القيظ ـ بتشديد الراء وربما خففت في ضرورة الشعر ـ: شدة الحر.
(١٥) التسبيخ ـ بالخاء المعجمة ـ: التخفيف والتسكين.
(١٦) صَبَارّة الشتاء ـ بتشديد الراء ـ: شدة برده، والقُر ـ بالضم ـ: البرد، وقيل هو بردالشتاء خاصة.

يَنْسَلِخْ عَنَّا البَرْدُ، كُلُّ هذا فِراراً مِنَ الحَرِّ وَالقُرِّ؛ فَإِذَا كُنْتُمْ مِنَ الحَرِّ وَالقُرِّ تَفِرُّونَ فَأَنْتُمْ وَاللّه مِنَ السَّيْفِ أَفَرُّ!

يَا أَشْبَاهَ الرِّجَالِ وَلاَ رِجَالَ! حُلُومُ الأَطْفَالِ، وَعُقُولُ رَبَّاتِ الحِجَالِ[1]، لَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَرَكُمْ وَلَمْ أَعْرِفْكُمْ مَعْرِفَةً ـ وَاللّه ـ جَرَّتْ نَدَماً، وَأَعقَبَتْ سَدَماً[2].

قَاتَلَكُمُ اللّهُ! لَقَدْ مَلأْتُمْ قَلْبِي قَيْحاً[3]، وَشَحَنْتُمْ[4] صَدْرِي غَيْظاً، وَجَرَّعْتُمُونِي نُغَبَ[5] التَّهْمَامِ[6] أَنْفَاساً[7]، وَأَفْسَدْتُمْ عَلَيَّ رَأْيِي بِالعِصْيَانِ وَالخِذْلاَنِ، حَتَّى قَالَتْ قُرَيْشٌ: إِنَّ ابْنَ أَبِي طَالِبٍ رَجُلٌ شُجَاعٌ، وَلَكِنْ لاَ عِلْمَ لَهُ بِالحَرْبِ.

للّه أَبُوهُمْ! وَهَلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَشَدُّ لَهَا مِرَاساً[8]، وَأَقْدَمُ فِيهَا مَقَاماً مِنِّي؟! لَقَدْ نَهَضْتُ فِيهَا وَمَا بَلَغْتُ العِشْرِينَ، وها أناذا قَدْ ذَرَّفْتُ عَلَى السِّتِّينَ![9] وَلَكِنْ لا رَأْيَ لِمَنْ لاَ يُطَاعُ!

ومن وصاياه (عليه السلام)

إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَوَسَّلَ بِهِ الْمُتَوَسِّلُونَ إِلَى اللّه سُبْحَانَهُ: الإِيمَانُ بِهِ وَبِرَسُولِهِ، وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ فَإِنَّهُ ذِرْوَةُ الإِسْلاَمِ، وَكَلِمَةُ الإِخْلاَصِ فَإِنَّهَا الْفِطْرَةُ، وَإِقَامُ الصَّلاَةِ فَإِنَّهَا الْمِلَّةُ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ فَإِنَّهَا فَرِيضَةٌ وَاجِبَةٌ، وَصَوْمُ شَهْرِ رَمَضَانَ فَإِنَّهُ جُنَّةٌ مِنَ الْعِقَابِ، وَحَجُّ الْبَيْتِ وَاعْتِمَارُهُ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَيَرْحَضَانِ الذَّنْبَ[10]، وَصِلَةُ الرَّحِمِ فَإِنَّهَا مَثْرَاةٌ فِي الْمَالِ وَمَنْسَأَةٌ[11] فِي الأَجَلِ، وَصَدَقَةُ السِّرِّ فَإِنَّهَا تُكَفِّرُ الْخَطِيئَةَ، وَصَدَقَةُ

---

(١) حجال: جمع حَجَلة وهي القبة، وموضع يزين بالستور، وربات الحجال: النساء.
(٢) السّدَم ـ محرّكة ـ: الهم مع أسف أوغيظ، وفعله كفرح.
(٣) القيح: ما في القرحة من الصديد، وفعله كباع.
(٤) شحنتم صدري: ملاتموه.
(٥) النُغب: جمع نُغْبَة كجرعة وجُرَع لفظاً ومعنى.
(٦) التّهْمَام ـ بالفتح ـ: الهم، وكل تَفْعال فهو بالفتح إلاّ التبيان والتلقاءفهما بالكسر.
(٧) أنفاساً: أي جرعةً بعد جرعة، والمراد أن أنفاسه أمست هماً يتجرّعه.
(٨) مراساً: مصدر مارسه ممارسة ومراساً، أي عالجه وزاوله وعاناه.
(٩) ذَرّفْتُ على الستين: زدتُ عليها، وروى المبرد «نَيّفت»، وهو بمعناه.
(١٠) رَحَضَه ـ كمنعه ـ: غَسَلَه.
(١١) مَنْسَأة: مَطَالٌ فيه ومَزيد.

الْعَلاَنِيَةِ فَإِنَّهَا تَدْفَعُ مِيتَةَ السُّوءِ، وَصَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ فَإِنَّهَا تَقِي مَصَارِعَ الْهَوَانِ.

أَفِيضُوا فِي ذِكْرِ اللهِ فَأَنَّهُ أَحْسَنُ الذِّكْرِ، وَارْغَبُوا فِيمَا وَعَدَ الْمُتَّقِينَ فَإِنَّ وَعْدَهُ أَصْدَقُ الْوَعْدِ، وَاقْتَدُوا بِهَدْيِ نَبِيِّكُمْ فَإِنَّهُ أَفْضَلُ الْهَدْيِ، وَاسْتَنُّوا بِسُنَّتِهِ فَإِنَّهَا أَهْدَى السُّنَنِ.

[فضل القرآن]

وَتَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ [فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الْحَدِيثِ، وَتَفَقَّهُوا فِيهِ] فَإِنَّهُ رَبِيعُ الْقُلُوبِ، وَاسْتَشْفُوا بِنُورِهِ فَإِنَّهُ شِفَاءُ الصُّدُورِ، وَأَحْسِنُوا تِلاَوَتَهُ فَإِنَّهُ أَنْفَعُ الْقَصَصِ.

وَإِنَّ الْعَالِمَ الْعَامِلَ بِغَيْرِ عِلْمِهِ كَالْجَاهِلِ الْحَائِرِ الَّذِي لاَ يَسْتَفِيقُ مِنْ جَهْلِهِ، بَلِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِ أَعْظَمُ، وَالْحَسْرَةُ لَهُ أَلْزَمُ، وَهُوَ عِنْدَ اللهِ أَلْوَمُ[1].

ومن كلام له وقد قام رجل من أصحابه فقال: نهيتنا عن الحكومة ثمّ أمرتنا بها، فما ندري أيّ الامرين أرشد؟

فصفق (عليه السلام) إحدى يديه على الاخرى ثمّ قال:

هذا جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ الْعُقْدَةَ![2] أَمَا وَاللهِ لَوْ أَنِّي حِينَ أَمَرْتُكُمْ بِمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ حَمَلْتُكُمْ عَلَى الْمَكْرُوهِ الَّذِي يَجْعَلُ اللهُ فِيهِ خَيْراً، فَإِنِ اسْتَقَمْتُمْ هَدَيْتُكُمْ وَإِنِ اعْوَجَجْتُمْ قَوَّمْتُكُمْ وَإِنْ أَبَيْتُمْ تَدَارَكْتُكُمْ، لَكَانَتِ الْوُثْقَى، وَلَكِنْ بِمَنْ وَإِلَى مَنْ؟ أُرِيدُ أَنْ أُدَاوِيَ بِكُمْ وَأَنْتُمْ دَائِي، كَنَاقِشِ الشَّوْكَةِ بِالشَّوْكَةِ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ ضَلْعَهَا[3] مَعَهَا!

اللَّهُمَّ قَدْ مَلَّتْ أَطِبَّاءُ هَذَا الدَّاءِ الدَّوِيِّ[4]، وَكَلَّتِ النَّزْعَةُ[5] بِأَشْطَانِ الرَّكِيِّ[6]!

أَيْنَ الْقَوْمُ الَّذِينَ دُعُوا إِلَى الاِسْلاَمِ فَقَبِلُوهُ؟ وَقَرَأُوا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ؟

---

(١) ألوم: أشد لوماً لنفسه.

(٢) يريد «بالعقدة» ما حصل عليه التعاقد.

(٣) الضَلْع ـ بفتح الضاد وتسكين اللام ـ: المَيْل. وأصل المثل: «لا تنقش الشوكة بالشوكة، فان ضَلْعها معها» يُضْرَبُ للرجل يخاصم آخر ويستعين عليه بمن هو من قرابته أو أهل مَشْرَبه. ونَقش الشوكة: إخراجها من العضو تدخل فيه.

(٤) الدّاء الدّويّ ـ بفتح فكسر ـ: المؤلم الشديد. وقد وُصف بما هو من لفظه.

(٥) كلّت: ضعفت. والنزعة: جمع نازع.

(٦) الاشْطَان: جمع شَطَن، وهو الحبل. والرّكيّ: جمع رَكيّة، وهي البئر.

وَهيجُوا إلى الْجِهَاد فوَلَّهُوا اللِّقَاحَ[1] أَوْلاَدَهَا، وَسَلَبُوا السُّيُوفَ أَغْمَادَهَا، وَأَخَذُوا بِأَطْرَافِ الأرْضِ زَحْفاً زَحْفاً وَصَفّاً صَفّاً؟! بَعْضٌ هَلَكَ، وبَعضٌ نَجا.

لاَيُبَشَّرُونَ بِالأَحْيَاءِ[2]، وَلاَ يُعَزَّوْنَ عَنِ الْمَوْتَى[3]، مُرْهُ الْعُيُونِ[4] مِنَ الْبُكَاءِ، خُمْصُ الْبُطُونِ[5] مِنَ الصِّيَامِ، ذُبُلُ الشِّفَاهِ[6] مِنَ الدُّعَاءِ، صُفْرُ الأَلْوَانِ مِنَ السَّهَرِ، عَلَى وُجُوهِهِمْ غَبَرَةُ الْخَاشِعِينَ، أُولئِكَ إِخْوَانِي الذَّاهِبُونَ، فَحَقَّ لَنَا أَنْ نَظْمَأَ إِلَيْهِمْ وَنَعَضَّ الأَيْدِي عَلَى فِرَاقِهِمْ!

إِنَّ الشَّيْطَانَ يُسَنِّي[7] لَكُمْ طُرُقَهُ، وَيُرِيدُ أَنْ يَحُلَّ دِينَكُمْ عُقْدَةً عُقْدَةً، وَيُعْطِيَكُمْ بِالْجَمَاعَةِ الْفُرْقَةَ، وَبِالْفُرْقَةِ الْفِتْنَةَ; فَاصْدِفُوا[8] عَنْ نَزَغَاتِهِ[9] وَنَفَثَاتِهِ، وَاقْبَلُوا النَّصِيحَةَ مِمَّنْ أَهْدَاهَا إِلَيْكُمْ، وَاعْقِلُوهَا[10] عَلَى أَنْفُسِكُمْ.

ومن وصيّته (عليه السلام) للحسن بن علي (عليه السلام)

كتبها إليه بـ «حاضرين»[11] عند انصرافه من صفّين:

مِنَ الْوَالِدِ الْفَانِ، الْمُقِرِّ لِلزَّمَانِ[12]، الْمُدْبِرِ الْعُمُرِ، الْمُسْتَسْلِمِ لِلدَّهْرِ، الذَّامِّ لِلدُّنْيَا، السَّاكِنِ مَسَاكِنَ الْمَوْتَى، الظَّاعِنِ عَنْهَا غَداً، إِلَى الْمَوْلُودِ الْمُؤَمِّلِ مَا لاَ يُدْرِكُ، السَّالِكِ

(١) اللِّقاح: جمع لَقُوح، وهي الناقة.
(٢) لا يُبَشَّرُون بالاحياء: إذا قيل لهم: نجا فلان فبقي حياً لايفرحون، لان أفضل الحياة عندهم الموت في سبيل الحق.
(٣) لا يُعَزَّوْن عن المَوْتى: لا يحزنون إذا قيل لهم: مات فلان، فان الموت عندهم حياة السعادة الابدية.
(٤) مُرْهُ العيون: جمع أمْرَه، وهو على صيغة أفعَل الذي يجمع على فُعْل، كأحمر وحُمر، مأخوذ من «مَرِهَتْ عَيْنُهُ» إذا فسدت أو ابيضّت حَمَاليقُها.
(٥) خُمْص البطون: ضَوَامِرُها.
(٦) ذَبُلَتْ شفتُهُ: جَفّت وَيبِستْ لذهاب الرّيق.
(٧) يُسَنّي: يُسَهّل.
(٨) فاصْدِفُوا: فأعْرِضُوا.
(٩) نَزَغاته: وساوسه.
(١٠) اعْقلُوها: احبسوها على أنفسكم لا تتركوها فتضيعَ منكم.
(١١) حاضرين: اسم بلدة في نواحي صفّين.
(١٢) المقرّ للزمان: المعترف له بالشدة.

سَبِيلَ مَنْ قَدْ هَلَكَ، غَرَضِ الأَسْقَامِ[1]، رَهِينَةِ[2] الأَيَّامِ، وَرَمِيَّةِ[3] الْمَصَائِبِ، وَعَبْدِ الدُّنْيَا، وَتَاجِرِ الْغُرُورِ، وَغَرِيمِ الْمَنَايَا، وَأَسِيرِ الْمَوْتِ، وَحَلِيفِ الْهُمُومِ، قَرِينِ الأَحْزَانِ، وَنُصْبِ الآفَاتِ[4]، وَصَرِيعِ[5] الشَّهَوَاتِ، وَخَلِيفَةِ الأَمْوَاتِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ فِيمَا تَبَيَّنْتُ مِنْ إِدْبَارِ الدُّنْيَا عَنِّي، وَجُمُوحِ الدَّهْرِ[6] عَلَيَّ، وَإِقْبَالِ الآخِرَةِ إِلَيَّ، مَا يَزَعُنِي[7] عَنْ ذِكْرِ مَنْ سِوَايَ، وَالاهْتِمَامِ بِمَا وَرَائِي[8]، غَيْرَ أَنِّي حَيْثُ تَفَرَّدَ بِي دُونَ هُمُومِ النَّاسِ هَمُّ نَفْسِي، فَصَدَفَنِي[9] رَأْيِي، وَصَرَفَنِي عَنْ هَوَايَ، وَصَرَّحَ لِي مَحْضُ أَمْرِي[10]، فَأَفْضَى بِي إِلَى جِدٍّ لاَ يَكُونُ فِيهِ لَعِبٌ، وَصِدْقٍ لاَ يَشُوبُهُ كَذِبٌ.

وَوَجَدْتُكَ بَعْضِي، بَلْ وَجَدْتُكَ كُلِّي، حَتَّى كَأَنَّ شَيْئاً لَوْ أَصَابَكَ أَصَابَنِي، وَكَأَنَّ الْمَوْتَ لَوْ أَتَاكَ أَتَانِي، فَعَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْنِينِي مِنْ أَمْرِ نَفْسِي،

فَكَتَبْتُ إِلَيْكَ كِتَابِي هذا، مُسْتَظْهِراً بِهِ[11] إِنْ أَنَا بَقِيتُ لَكَ أَوْ فَنِيتُ.

فَإِنِّي أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللهِ ـ أَيْ بُنَيَّ ـ وَلُزُومِ أَمْرِهِ، وَعِمَارَةِ قَلْبِكَ بِذِكْرِهِ، وَالاعْتِصَامِ بِحَبْلِهِ، وَأَيُّ سَبَبٍ أَوْثَقُ مِنْ سَبَبٍ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ إِنْ أَنْتَ أَخَذْتَ بِهِ!

أَحْيِ قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ، وَأَمِتْهُ بِالزَّهَادَةِ، وَقَوِّهِ بِالْيَقِينِ، وَنَوِّرْهُ بِالْحِكْمَةِ، وَذَلِّلْهُ بِذِكْرِ الْمَوْتِ، وَقَرِّرْهُ بِالْفَنَاءِ[12]، وَبَصِّرْهُ[13] فَجَائِعَ[14] الدُّنْيَا، وَحَذِّرْهُ صَوْلَةَ الدَّهْرِ

(١) غرض الاسقام: هدف الامراض ترمي إليه سهامها.
(٢) الرهينة: المرهونة، أي أنه في قبضة الايام وحكمها..
(٣) الرَميّة: ما أصابه السهم .
(٤) نُصب الافات: لا تفارقه العلل، وهو من قولهم: فلان نصب عيني ـ بالضم ـ أي لا يفارقني.
(٥) الصريع: الطريح.
(٦) جُموح الدهر: استقصاؤه وتغلّبه.
(٧) يَزَعُني: يكفّني ويصدّني.
(٨) ماورائي: كناية عن أمر الاخرة.
(٩) صَدَفَه: صرفه.
(١٠) محض الامر: خالصه.
(١١) مستظهراً به: أي مستعيناً به.
(١٢) قَرِّرَه بالفناء: اطلب منه الاقرار بالفناء.
(١٣) بَصِّرَه: اجعله بصيراً.
(١٤) الفجائع: جمع فجيعة وهي المصيبة تفزع بحلولها.

وَفُحْشَ تَقَلُّبِ اللَّيَالِي وَالأَيَّامِ، وَاعْرِضْ عَلَيْهِ أَخْبَارَ الْمَاضِينَ، وَذَكِّرْهُ بِمَا أَصَابَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِنَ الأَوَّلِينَ، وَسِرْ فِي دِيَارِهِمْ وَآثَارِهِمْ، فَانْظُرْ مَا فَعَلُوا عَمَّا انْتَقَلُوا، وَأَيْنَ حَلُّوا وَنَزَلُوا! فَإِنَّكَ تَجِدُهُمْ انْتَقَلُوا عَنِ الأَحِبَّةِ، وَحَلُّوا دَارَ الْغُرْبَةِ، وَكَأَنَّكَ عَنْ قَلِيلٍ قَدْ صِرْتَ كَأَحَدِهِمْ.

فَأَصْلِحْ مَثْوَاكَ، وَلاَ تَبِعْ آخِرَتَكَ بِدُنْيَاكَ، وَدَعِ الْقَوْلَ فِيمَا لاَ تَعْرِفُ، وَالْخِطَابَ فِيمَا لَمْ تُكَلَّفْ، وَأَمْسِكْ عَنْ طَرِيقٍ إِذَا خِفْتَ ضَلاَلَتَهُ، فَإِنَّ الْكَفَّ عِنْدَ حَيْرَةِ الضَّلاَلِ خَيْرٌ مِنْ رُكُوبِ الأَهْوَالِ، وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ تَكُنْ مِنْ أَهْلِهِ، وَأَنْكِرِ الْمُنْكَرَ بِيَدِكَ وَلِسَانِكَ، وَبَايِنْ[1] مَنْ فَعَلَهُ بِجُهْدِكَ، وَجَاهِدْ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ، وَلاَ تَأْخُذْكَ فِي اللَّهِ لَوْمَةُ لاَئِمٍ، وَخُضِ الْغَمَرَاتِ[2] إِلَى الْحَقِّ حَيْثُ كَانَ، وَتَفَقَّهْ فِي الدِّينِ، وَعَوِّدْ نَفْسَكَ الصَّبْرَ عَلَى الْمَكْرُوهِ، وَنِعْمَ الْخُلُقُ التَّصَبُّرُ، وَأَلْجِئْ نَفْسَكَ فِي الأُمُورِ كُلِّهَا إِلَى إِلهِكَ، فَإِنَّكَ تُلْجِئُهَا إِلَى كَهْفٍ[3] حَرِيزٍ[4]، وَمَانِعٍ عَزِيزٍ، وَأَخْلِصْ فِي الْمَسْأَلَةِ لِرَبِّكَ، فَإِنَّ بِيَدِهِ الْعَطَاءَ وَالْحِرْمَانَ، وَأَكْثِرِ الاسْتِخَارَةَ[5]، وَتَفَهَّمْ وَصِيَّتِي، وَلاَ تَذْهَبَنَّ [عَنْكَ]صَفْحاً[6]، فَإِنَّ خَيْرَ الْقَوْلِ مَا نَفَعَ.

وَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ خَيْرَ فِي عِلْمٍ لاَ يَنْفَعُ، وَلاَ يُنْتَفَعُ بِعِلْمٍ لاَ يَحِقُّ[7] تَعَلُّمُهُ.

أَيْ بُنَيَّ، إِنِّي لَمَّا رَأَيْتُنِي قَدْ بَلَغْتُ سِنّاً[8]، وَرَأَيْتُنِي أَزْدَادُ وَهْناً[9]، بَادَرْتُ بِوَصِيَّتِي إِلَيْكَ، وَأَوْرَدْتُ خِصَالاً مِنْهَا قَبْلَ أَنْ يَعْجَلَ بِي أَجَلِي دُونَ أَنْ أُفْضِيَ[10] إِلَيْكَ بِمَا فِي نَفْسِي، أَوْ أَنْ أَنْقُصَ فِي رَأْيِي كَمَا نُقِصْتُ فِي جِسْمِي، أَوْ يَسْبِقَنِي إِلَيْكَ بَعْضُ غَلَبَاتِ

(١) باينْ: أي باعدْ وجانبْ.
(٢) الغَمَرات: الشدائد.
(٣) الكهف: الملجأ.
(٤) الحريز: الحافظ.
(٥) الاستخارة: إحالة الرأي في الامر قبل فعله لاختيار أفضل وجوهه.
(٦) صَفْحاً: جانباً.
(٧) لايحق ـ بكسر الحاء وضمها ـ : أي لا يكون من الحق.
(٨) بَلَغْتُ سناً: أي وصلت النهاية من جهة السن.
(٩) الوَهْن: الضعف.
(١٠) أفضي: ألقي إليك.

الْهَوَى وَفِتَنِ الدُّنْيَا، فَتَكُونَ كَالصَّعْبِ[١] النَّفُورِ[٢]، وَإِنَّمَا قَلْبُ الْحَدَثِ كَالأَرْضِ الْخَالِيَةِ مَا أُلْقِيَ فِيهَا مِنْ شَيءٍ قَبِلَتْهُ، فَبَادَرْتُكَ بِالأَدَبِ قَبْلَ أَنْ يَقْسُوَ قَلْبُكَ، وَيَشْتَغِلَ لُبُّكَ، لِتَسْتَقْبِلَ بِجِدِّ رَأْيِكَ[٣] مِنَ الأَمْرِ مَا قَدْ كَفَاكَ أَهْلُ التَّجَارِبِ بُغْيَتَهُ[٤] وَتَجْرِبَتَهُ، فَتَكُونَ قَدْ كُفِيتَ مَؤُونَةَ الطَّلَبِ، وَعُوفِيتَ مِنْ عِلاَجِ التَّجْرِبَةِ، فَأَتَاكَ مِنْ ذَلِكَ مَا قَدْ كُنَّا نَأْتِيهِ، وَاسْتَبَانَ[٥] لَكَ مَا رُبَّمَا أَظْلَمَ عَلَيْنَا مِنْهُ.

أَيْ بُنَيَّ، إِنِّي وَإِنْ لَمْ أَكُنْ عُمِّرْتُ عُمُرَ مَنْ كَانَ قَبْلِي، فَقَدْ نَظَرْتُ فِي أَعْمَالِهِمْ، وَفَكَّرْتُ فِي أَخْبَارِهِمْ، وَسِرْتُ فِي آثَارِهِمْ، حَتَّى عُدْتُ كَأَحَدِهِمْ، بَلْ كَأَنِّي بِمَا انْتَهَى إِلَيَّ مِنْ أُمُورِهِمْ قَدْ عُمِّرْتُ مَعَ أَوَّلِهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ، فَعَرَفْتُ صَفْوَ ذَلِكَ مِنْ كَدَرِهِ، وَنَفْعَهُ مِنْ ضَرَرِهِ، فَاسْتَخْلَصْتُ لَكَ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ نَخِيلَتَهُ[٦]، تَوَخَّيْتُ[٧] لَكَ جَمِيلَهُ، وَصَرَفْتُ عَنْكَ مَجْهُولَهُ، وَرَأَيْتُ حَيْثُ عَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْنِي الْوَالِدَ الشَّفِيقَ، وَأَجْمَعْتُ عَلَيْهِ[٨] مِنْ أَدَبِكَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ وَأَنْتَ مُقْبِلُ الْعُمُرِ مُقْتَبَلُ[٩] الدَّهْرِ، ذُونِيَّةً سَلِيمَةً، وَنَفْساً صَافِيَةً، وَأَنْ أَبْتَدِئَكَ بِتَعْلِيمِ كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَتَأْوِيلِهِ، وَشَرَائِعِ الإِسْلاَمِ وَأَحْكَامِهِ، وَحَلاَلِهِ وَحَرَامِهِ، لاَ أُجَاوِزُ ذَلِكَ[١٠] بِكَ إِلَى غَيْرِهِ. ثُمَّ أَشْفَقْتُ[١١] أَنْ يَلْتَبِسَ عَلَيْكَ مَا اخْتَلَفَ النَّاسُ فِيهِ مِنْ أَهْوَائِهِمْ وَآرَائِهِمْ مِثْلَ الَّذِي الْتَبَسَ[١٢] عَلَيْهِمْ، فَكَانَ إِحْكَامُ ذَلِكَ عَلَى مَا كَرِهْتُ مِنْ تَنْبِيهِكَ لَهُ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ إِسْلاَمِكَ إِلَى أَمْرٍ لاَ آمَنُ عَلَيْكَ بِهِ الْهَلَكَةَ[١٣]، وَرَجَوْتُ أَنْ يُوَفِّقَكَ اللهُ فِيهِ لِرُشْدِكَ، وَأَنْ يَهْدِيَكَ لِقَصْدِكَ، فَعَهِدْتُ إِلَيْكَ وَصِيَّتِي هذِهِ.

---

(١) الفرس الصعب: غير المذلل.
(٢) النّفُور: ضد الانس.
(٣) جدّ رأيك: أي محقّقُه وثابته.
(٤) كفاه بُغْية الشيء: أغناه عن طلبه.
(٥) استبان: ظهر.
(٦) النَخيل: المختار المصفى.
(٧) تَوَخّيت: أي تحرّيت.
(٨) أجمعت عليه: عزمت.
(٩) مُقْتَبَل - بالفتح - من اقتبل الغلام فهو مقتبَل، وهو من الشواذ، والقياس مُقْتبِل بكسر الباء لانه اسم فاعل، ومُقْتبَل الانسان: أول عمره.
(١٠) لا أجاوز ذلك: لا أتعدى بك.
(١١) أشفقت: أي خشيت وخفت.
(١٢) التبس: غمض.
(١٣) الهَلَكَة: الهَلاك.

وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ، أَنَّ أَحَبَّ مَا أَنْتَ آخِذٌ بِهِ إِلَيَّ مِنْ وَصِيَّتِي تَقْوَى اللّٰهِ، وَالاْقْتِصَارُ عَلَى مَا فَرَضَهُ اللّٰهُ عَلَيْكَ، وَالاْخْذُ بِمَا مَضَى عَلَيْهِ الاْوَّلُونَ مِنْ آبَائِكَ، وَالصَّالِحُونَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَدَعُوا[1] أَنْ نَظَرُوا لأَنْفُسِهِمْ كَمَا أَنْتَ نَاظِرٌ، وَفَكَّرُوا كَمَا أَنْتَ مُفَكِّرٌ، ثُمَّ رَدَّهُمْ آخِرُ ذلِكَ إِلَى الاْخْذِ بِمَا عَرَفُوا، وَالاْمْسَاكِ عَمَّا لَمْ يُكَلَّفُوا، فَإِنْ أَبَتْ نَفْسُكَ أَنْ تَقْبَلَ ذلِكَ دُونَ أَنْ تَعْلَمَ كَمَا عَلِمُوا فَلْيَكُنْ طَلَبُكَ ذلِكَ بِتَفَهُّمٍ وَتَعَلُّمٍ، لاَ بِتَوَرُّطِ الشُّبُهَاتِ، وَعُلَقِ الْخُصُومَاتِ.

وَابْدَأْ قَبْلَ نَظَرِكَ فِي ذلِكَ بِالاسْتِعَانَةِ بِإِلهِكَ، وَالرَّغْبَةِ إِلَيْهِ فِي تَوْفِيقِكَ، وَتَرْكِ كُلِّ شَائِبَةٍ[2] أَوْلَجَتْكَ[3] فِي شُبْهَةٍ، أَوْ أَسْلَمَتْكَ إِلَى ضَلاَلَةٍ.

فَإِذَا أَيْقَنْتَ أَنْ قَدْ صَفَا قَلْبُكَ فَخَشَعَ، وَتَمَّ رَأْيُكَ وَاجْتَمَعَ، وَكَانَ هَمُّكَ فِي ذلِكَ هَمّاً وَاحِداً، فَانْظُرْ فِيمَا فَسَّرْتُ لَكَ، وَإِنْ أَنْتَ لَمْ يَجْتَمِعْ لَكَ مَا تُحِبُّ مِنْ نَفْسِكَ، وَفَرَاغِ نَظَرِكَ وَفِكْرِكَ، فَاعْلَمْ أَنَّكَ إِنَّمَا تَخْبِطُ الْعَشْوَاءَ[4]، وَتَتَوَرَّطُ[5] الظَّلْمَاءَ، وَلَيْسَ طَالِبُ الدِّينِ مَنْ خَبَطَ وَلاَ مَنْ خَلَّطَ، وَالاْمْسَاكُ[6] عَنْ ذلِكَ أَمْثَلُ[7].

فَتَفَهَّمْ يَا بُنَيَّ وَصِيَّتِي، وَاعْلَمْ أَنَّ مَالِكَ الْمَوْتِ هُوَ مَالِكُ الْحَيَاةِ، وَأَنَّ الْخَالِقَ هُوَ الْمُمِيتُ، وَأَنَّ الْمُفْنِيَ هُوَ الْمُعِيدُ، وَأَنَّ الْمُبْتَلِيَ هُوَ الْمُعَافِي، وَأَنَّ الدُّنْيَا لَمْ تَكُنْ لِتَسْتَقِرَّ إِلاَّ عَلَى مَا جَعَلَهَا اللّٰهُ عَلَيْهِ مِنَ النَّعْمَاءِ، وَالاْبْتِلاَءِ، وَالْجَزَاءِ فِي الْمَعَادِ، أَوْ مَاشَاءَ مِمَّا لاَ تَعْلَمُ، فَإِنْ أَشْكَلَ عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ ذلِكَ فَاحْمِلْهُ عَلَى جَهَالَتِكَ بِهِ، فَإِنَّكَ أَوَّلُ مَا خُلِقْتَ جَاهِلاً ثُمَّ عُلِمْتَ، وَمَا أَكْثَرَ مَا تَجْهَلُ مِنَ الاْمْرِ، وَيَتَحَيَّرُ فِيهِ رَأْيُكَ، وَيَضِلُّ فِيهِ بَصَرُكَ ثُمَّ تُبْصِرُهُ بَعْدَ ذلِكَ! فَاعْتَصِمْ بِالَّذِي خَلَقَكَ وَرَزَقَكَ وَسَوَّاكَ، وَلْيَكُنْ لَهُ تَعَبُّدُكَ، وَإِلَيْهِ رَغْبَتُكَ، وَمِنْهُ شَفَقَتُكَ[8].

---

(١) لم يَدَعوا: لم يتركوا.

(٢) الشائبة: ما يشوب الفكر من شك وحيرة.

(٣) أَوْلَجَتْكَ: أدخلتك.

(٤) العَشْواء: الضعيفة البصر، أي تخبط خبط الناقة العشواء لا تأمن أن تسقط فيما لاخلاص منه.

(٥) تورّط الامر: دخل فيه على صعوبة في التخلص منه.

(٦) الامساك عن الشيء: حبس النفس عنه.

(٧) أمثل: أفضل.

(٨) شفقتك: خوفك.

وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ أَحَداً لَمْ يُنْبِئْ عَنِ اللهِ سُبْحَانَهُ كَمَا أَنْبَأَ عَنْهُ نَبِيُّنَا (صلى الله عليه وآله) فَارْضَ بِهِ رَائِداً[1]، وَإِلَى النَّجَاةِ قَائِداً، فَإِنِّي لَمْ آلُكَ نَصِيحَةً[2]، وَإِنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ فِي النَّظَرِ لِنَفْسِكَ ـ وَإِنِ اجْتَهَدْتَ ـ مَبْلَغَ نَظَرِي لَكَ.

وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ، أَنَّهُ لَوْ كَانَ لِرَبِّكَ شَرِيكٌ لَأَتَتْكَ رُسُلُهُ، وَلَرَأَيْتَ آثَارَ مُلْكِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَلَعَرَفْتَ أَفْعَالَهُ وَصِفَاتِهِ، وَلَكِنَّهُ إِلهٌ وَاحِدٌ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ، لاَ يُضَادُّهُ فِي مُلْكِهِ أَحَدٌ، وَلاَ يَزُولُ أَبَداً وَلَمْ يَزَلْ، أَوَّلٌ قَبْلَ الأَشْيَاءِ بِلاَ أَوَّلِيَّةٍ، وَآخِرٌ بَعْدَ الأَشْيَاءِ بِلاَ نِهَايَةٍ، عَظُمَ عَنْ أَنْ تَثْبُتَ رُبُوبِيَّتُهُ بِإِحَاطَةِ قَلْبٍ أَوْ بَصَرٍ.

فَإِذَا عَرَفْتَ ذلِكَ فَافْعَلْ كَمَا يَنْبَغِي لِمِثْلِكَ أَنْ يَفْعَلَهُ فِي صِغَرِ خَطَرِهِ[3]، وَقِلَّةِ مَقْدِرَتِهِ، وَكَثْرَةِ عَجْزِهِ، عَظِيمِ حَاجَتِهِ إِلَى رَبِّهِ، فِي طَلَبِ طَاعَتِهِ، وَالرَّهْبَةِ مِنْ عُقُوبَتِهِ، وَالشَّفَقَةِ مِنْ سُخْطِهِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَأْمُرْكَ إِلاَّ بِحَسَنٍ، وَلَمْ يَنْهَكَ إِلاَّ عَنْ قَبِيحٍ.

يَا بُنَيَّ، إِنِّي قَدْ أَنْبَأْتُكَ عَنِ الدُّنْيَا وَحَالِهَا، وَزَوَالِهَا وَانْتِقَالِهَا، وَأَنْبَأْتُكَ عَنِ الآخِرَةِ وَمَا أُعِدَّ لِأَهْلِهَا فِيهَا، وَضَرَبْتُ لَكَ فِيهِمَا الأَمْثَالَ، لِتَعْتَبِرَ بِهَا، وَتَحْذُوَ عَلَيْهَا.

إِنَّمَا مَثَلُ مَنْ خَبَرَ الدُّنْيَا[4] كَمَثَلِ قَوْمٍ سَفْرٍ[5]، نَبَا بِهِمْ مَنْزِلٌ[6] جَدِيبٌ[7]، فَأَمُّوا[8] مَنْزِلاً خَصِيباً وَجَنَاباً[9] مَرِيعاً[10]، فَاحْتَمَلُوا وَعْثَاءَ[11] الطَّرِيقِ، وَفِرَاقَ الصَّدِيقِ، وَخُشُونَةَ السَّفَرِ، وَجُشُوبَةَ[12] الْمَطْعَمِ، لِيَأْتُوا سَعَةَ دَارِهِمْ، وَمَنْزِلَ قَرَارِهِمْ، فَلَيْسَ

---

(١) الرائد: من ترسله في طلب الكلا ليتعرف موقعه، والرسول قد عرف عن الله وأخبرنا فهو رائد سعادتنا.

(٢) لم آلُكَ نصيحةً: أي لم أقصّر في نصيحتك..

(٣) خطره: أي قدره.

(٤) خَبَرَ الدنيا: عرفها كما هي بامتحان أحوالها.

(٥) السَفْر ـ بفتح فسكون ـ : المسافرون.

(٦) نَبَا المنزل بأهله: لم يوافقهم المقام فيه لوخامته.

(٧) الجَديب: المُقْحِط لا خير فيه.

(٨) أمّوا: قصدوا.

(٩) الجَناب: الناحية.

(١٠) المَريع ـ بفتح فكسر ـ : كثير العشب.

(١١) وَعْثاء السفر: مشقته.

(١٢) الجُشُوبة ـ بضم الجيم ـ : الغِلَظ.

يَجِدُونَ لِشَيْءٍ مِنْ ذلكَ أَلَماً، وَلاَ يَرَوْنَ نَفَقَةً مَغْرَماً، وَلاَ شَيْءَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِمَّا قَرَّبَهُمْ مِنْ مَنْزِلِهِمْ، وَأَدْنَاهُمْ مِنْ مَحَلِّهِمْ.

وَمَثَلُ مَنِ اغْتَرَّ بِهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ كَانُوا بِمَنْزِلِ خَصِيبٍ، فَنَبَا بِهِمْ إِلَى مَنْزِلٍ جَدِيبٍ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِمْ وَلاَ أَفْظَعَ عِنْدَهُمْ مِنْ مُفَارَقَةِ مَا كَانُوا فِيهِ، إِلَى مَا يَهْجُمُونَ عَلَيْهِ[1]، وَيَصِيرُونَ إِلَيْهِ.

يَا بُنَيَّ، اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَاناً فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ غَيْرِكَ، فَأَحْبِبْ لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، وَاكْرَهْ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا، وَلاَ تَظْلِمْ كَمَا لاَ تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ، وَأَحْسِنْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنَ إِلَيْكَ، وَاسْتَقْبِحْ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَسْتَقْبِحُ مِنْ غَيْرِكَ، وَارْضَ مِنَ النَّاسِ بِمَا تَرْضَاهُ لَهُمْ مِنْ نَفْسِكَ، وَلاَ تَقُلْ مَا لاَ تَعْلَمُ وَإِنْ قَلَّ مَا تَعْلَمُ، وَلاَ تَقُلْ مَا لاَ تُحِبُّ أَنْ يُقَالَ لَكَ.

وَاعْلَمْ، أَنَّ الإِعْجَابَ[2] ضِدُّ الصَّوَابِ، وَآفَةُ الأَلْبَابِ[3] . فَاسْعَ فِي كَدْحِكَ[4]، وَلاَ تَكُنْ خَازِناً لِغَيْرِكَ[5]، وَإِذَا أَنْتَ هُدِيتَ لِقَصْدِكَ فَكُنْ أَخْشَعَ مَا تَكُونُ لِرَبِّكَ.

وَاعْلَمْ، أَنَّ أَمَامَكَ طَرِيقاً ذَا مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ، وَمَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ، وَأَنَّهُ لاَ غِنَى بِكَ فِيهِ عَنْ حُسْنِ الارْتِيَادِ[6]، وَقَدْرِ بَلاَغِكَ[7] مِنَ الزَّادِ، مَعَ خِفَّةِ الظَّهْرِ، فَلاَ تَحْمِلَنَّ عَلَى ظَهْرِكَ فَوْقَ طَاقَتِكَ، فَيَكُونَ ثِقْلُ ذلكَ وَبَالاً عَلَيْكَ، وَإِذَا وَجَدْتَ مِنْ أَهْلِ الْفَاقَةِ[8] مَنْ يَحْمِلُ لَكَ زَادَكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَيُوَافِيكَ بِهِ غَداً حَيْثُ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ، فَاغْتَنِمْهُ وَحَمِّلْهُ إِيَّاهُ، وَأَكْثِرْ مِنْ تَزْوِيدِهِ وَأَنْتَ قَادِرٌ عَلَيْهِ، فَلَعَلَّكَ تَطْلُبُهُ فَلاَ تَجِدُهُ، وَاغْتَنِمْ مَنِ اسْتَقْرَضَكَ فِي حَالِ غِنَاكَ، لِيَجْعَلَ قَضَاءَهُ لَكَ فِي يَوْمِ عُسْرَتِكَ.

---

(١) هجم عليه: انتهى إليه بغتة..

(٢) الاعجاب: استحسان ما يصدر عن النفس مطلقاً.

(٣) آفة: علّة. والالباب: العقول.

(٤) الكَدْح: أشد السعي.

(٥) خازناً لغيرك: تجمع المال ليأخذه الوارثون بعدك.

(٦) الارتياد: الطلب. وحسنه: إتيانه من وجهه.

(٧) البَلاَغ ـ بالفتح ـ : الكفاية.

(٨) الفاقة: الفقر.

وَاعْلَمْ، أَنَّ أَمَامَكَ عَقَبَةً كَؤوداً[١]، الْمُخِفُّ[٢] فِيهَا أَحْسَنُ حَالاً مِنَ الْمُثْقِلِ[٣]، وَالْمُبْطِىءُ عَلَيْهَا أَقْبَحُ حَالاً مِنَ الْمُسْرِعِ، وَأَنَّ مَهْبِطَهَا بِكَ لاَمَحَالَةَ عَلَى جَنَّةٍ أَوْ عَلَى نَارٍ، فَارْتَدْ[٤] لِنَفْسِكَ قَبْلَ نُزُولِكَ، وَوَطِّئِ الْمَنْزِلَ قَبْلَ حُلُولِكَ، فَلَيْسَ بَعْدَ الْمَوْتِ مُسْتَعْتَبٌ[٥]، وَلاَ إِلَى الدُّنْيَا مُنْصَرَفٌ[٦] .

وَاعْلَمْ، أَنَّ الَّذِي بِيَدِهِ خَزَائِنُ السَّمواتِ وَالأَرْضِ قَدْ أَذِنَ لَكَ فِي الدُّعَاءِ، وَتَكَفَّلَ لَكَ بِالإِجَابَةِ، أَمَرَكَ أَنْ تَسْأَلَهُ لِيُعْطِيَكَ، وَتَسْتَرْحِمَهُ لِيَرْحَمَكَ، وَلَمْ يَجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مَنْ يَحْجُبُكَ عَنْهُ، وَلَمْ يُلْجِئْكَ إِلَى مَنْ يَشْفَعُ لَكَ إِلَيْهِ، وَلَمْ يَمْنَعْكَ إِنْ أَسَأْتَ مِنَ التَّوْبَةِ، وَلَمْ يُعَاجِلْكَ بِالنِّقْمَةِ، [وَلَمْ يُعَيِّرْكَ بِالإِنَابَةِ[٧]]، وَلَمْ يَفْضَحْكَ حَيْثُ الْفَضِيحَةُ [بِكَ أَوْلَى]، وَلَمْ يُشَدِّدْ عَلَيْكَ فِي قَبُولِ الأَنَابَةِ، وَلَمْ يُنَاقِشْكَ بِالْجَرِيمَةِ، وَلَمْ يُؤْيِسْكَ مِنَ الرَّحْمَةِ، بَلْ جَعَلَ نُزُوعَكَ[٨] عَنِ الذَّنْبِ حَسَنَةً، وَحَسَبَ سَيِّئَتَكَ وَاحِدَةً، وَحَسَبَ حَسَنَتَكَ عَشْراً، وَفَتَحَ لَكَ بَابَ الْمَتَابِ، فَإِذَا نَادَيْتَهُ سَمِعَ نِدَاكَ، وَإِذَا نَاجَيْتَهُ عَلِمَ نَجْوَاكَ[٩]، فَأَفْضَيْتَ[١٠] إِلَيْهِ بِحَاجَتِكَ، وَأَبْثَثْتَهُ[١١] ذَاتَ نَفْسِكَ[١٢]، وَشَكَوْتَ إِلَيْهِ هُمُومَكَ، وَاسْتَكْشَفْتَهُ كُرُوبَكَ[١٣]، وَاسْتَعَنْتَهُ عَلَى أُمُورِكَ، وَسَأَلْتَهُ مِنْ خَزَائِنِ رَحْمَتِهِ مَا لاَ يَقْدِرُ عَلَى إِعْطَائِهِ غَيْرُهُ، مِنْ زِيَادَةِ الأَعْمَارِ، وَصِحَّةِ الأَبْدَانِ، وَسَعَةِ الأَرْزَاقِ.

ثُمَّ جَعَلَ فِي يَدَيْكَ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِهِ بِمَا أَذِنَ لَكَ فِيهِ مِنْ مَسْأَلَتِهِ، فَمَتَى شِئْتَ

---

(١) كؤوداً: صعبة المرتقى.

(٢) المُخِفّ. بضم فكسر. : الذي خفف حمله.

(٣) المُثْقِل: هو من أثقل ظهره بالأوزار.

(٤) ارْتَدِه: ابعث رائداً من طيبات الاعمال توقفك الثقة به على جودة المنزل.

(٥) المُسْتَعْتَب: مصدر ميمي من استعتب، والاستعتاب: الاسترضاء، والمراد أن الله لا يسترضي بعد إغضابه إلاّ باستئناف العمل.

(٦) المُنْصَرَف: مصدر ميمي من انصرف، والمراد لا انصراف إلى الدنيا بعد الموت.

(٧) الانابة: الرجوع إلى الله.

(٨) نُزوعك: رجوعك.

(٩) المُنَاجاة: المكالمة سراً.

(١٠) أفْضَيْت: ألقيت.

(١١) أبثثته: كاشفته.

(١٢) ذات النفس: حالتها.

(١٣) اسْتَكْشَفْته كروبك: طلبت كشف غمومك.

اسْتَفْتَحْتَ بِالدُّعَاءِ أَبْوَابَ نِعَمِه، وَاسْتَمْطَرْتَ شَآبِيبَ[1] رَحْمَتِه، فَلاَ يُقَنِّطَنَّكَ[2] إِبْطَاءُ إِجَابَتِه، فَإِنَّ الْعَطِيَّةَ عَلَى قَدْرِ النِّيَّةِ، وَرُبَّمَا أُخِّرَتْ عَنْكَ الاْجَابَةُ، لِيَكُونَ ذلِكَ أَعْظَمَ لاَجْرِ السَّائِلِ، وَأَجْزَلَ لِعَطَاءِ الاْمِلِ، وَرُبَّمَا سَأَلْتَ الشَّيْءَ فَلاَ تُؤْتَاهُ، وَأُوتِيتَ خَيْراً مِنْهُ عَاجِلاً أَوْ آجِلاً، أَوْ صُرِفَ عَنْكَ لِمَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ، فَلَرُبَّ أَمْرٍ قَدْ طَلَبْتَهُ فِيهِ هَلاَكُ دِينِكَ لَوْ أُوتِيتَهُ، فَلْتَكُنْ مَسْأَلَتُكَ فِيمَا يَبْقَى لَكَ جَمَالُهُ، وَيُنْفَى عَنْكَ وَبَالُهُ، فَالْمَالُ لاَ يَبْقَى لَكَ وَلاَ تَبْقَى لَهُ.

وَاعْلَمْ أَنَّكَ إِنَّمَا خُلِقْتَ لِلآخِرَةِ لاَ لِلدُّنْيَا، وَلِلْفَنَاءِ لاَ لِلْبَقَاءِ، وَلِلْمَوْتِ لاَ لِلْحَيَاةِ، وَأَنَّكَ فِي مَنْزِلِ قُلْعَةٍ[3]، وَدَارِ بُلْغَةٍ[4]، وَطَرِيقٍ إِلَى الاْخِرَةِ، وَأَنَّكَ طَرِيدُ الْمَوْتِ الَّذِي لاَ يَنْجُو مِنْهُ هَارِبُهُ، وَلاَ بُدَّ أَنَّهُ مُدْرِكُهُ، فَكُنْ مِنْهُ عَلَى حَذَرٍ أَنْ يُدْرِكَكَ وَأَنْتَ عَلَى حَالِ سَيِّئَةٍ، قَدْ كُنْتَ تُحَدِّثُ نَفْسَكَ مِنْهَا بِالتَّوْبَةِ، فَيَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ذلِكَ، فَإِذَا أَنْتَ قَدْ أَهْلَكْتَ نَفْسَكَ.

[ذكر الموت]

يَا بُنَيَّ، أَكْثِرْ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ، وَذِكْرِ مَا تَهْجُمُ عَلَيْهِ، وَتُفْضِي بَعْدَ الْمَوْتِ إِلَيْهِ، حَتَّى يَأْتِيَكَ وَقَدْ أَخَذْتَ مِنْهُ حِذْرَكَ[5]، وَشَدَدْتَ لَهُ أَزْرَكَ[6]، وَلاَ يَأْتِيَكَ بَغْتَةً فَيَبْهَرَكَ[7].

وَإِيَّاكَ أَنْ تَغْتَرَّ بِمَا تَرَى مِنْ إِخْلاَدِ أَهْلِ الدُّنْيَا[8] إِلَيْهَا، وَتَكَالُبِهِمْ[9] عَلَيْهَا، فَقَدْ نَبَّأَكَ اللهُ عَنْهَا، وَنَعَتْ[10] لَكَ نَفْسَهَا، وَتَكَشَّفَتْ لَكَ عَنْ مَسَاوِيهَا، فَإِنَّمَا أَهْلُهَا كِلاَبٌ

(١) شآبيب: جمع الشؤبوب بالضم، وهو الدفعة من المطر، وما أشبه رحمة الله بالمطر ينزل على الارض الموات فيحييها.

(٢) القنوط: اليأس.

(٣) قُلْعة ـ بضم القاف وسكون اللام وبضمتين وبضم ففتح ـ : يقال منزل قلعة أي لايُمْلَك لنازله، أولا يدري متى ينتقل عنه.

(٤) البُلْغة: الكفاية وما يتبلغ به من العيش.

(٥) الحِذْر ـ بالكسر ـ : الاحتراز والاحتراس.

(٦) الأزْر ـ بالفتح ـ : القوة.

(٧) بهر ـ كمنع ـ : غلب، أي يغلبك على أمرك.

(٨) إخلاد أهل الدنيا: سكونهم إليها.

(٩) التكالب: التواثب.

(١٠) نعاه: أخبر بموته، والدنيا تخبر بحالها عن فنائها.

عَاوِيَةٌ، وَسِبَاعٌ ضَارِيَةٌ[١]، يَهِرُّ[٢] بَعْضُهَا بَعْضاً، يَأْكُلُ عَزِيزُهَا ذَلِيلَهَا، وَيَقْهَرُ كَبِيرُهَا صَغِيرَهَا، نَعَمٌ[٣] مُعَقَّلَةٌ[٤]، وَأُخْرَى مُهْمَلَةٌ، قَدْ أَضَلَّتْ[٥] عُقُولَهَا، رَكِبَتْ مَجْهُولَهَا[٦]، سُرُوحُ[٧] عَاهَةٍ[٨] بِوَادٍ وَعْثٍ[٩]، لَيْسَ لَهَا رَاعٍ يُقِيمُهَا، وَلاَ مُسِيمٌ[١٠] يُسِيمُهَا، سَلَكَتْ بِهِمُ الدُّنْيَا طَرِيقَ الْعَمَى، وَأَخَذَتْ بِأَبْصَارِهِمْ عَنْ مَنَارِ الْهُدَى، فَتَاهُوا فِي حَيْرَتِهَا، وَغَرِقُوا فِي نِعْمَتِهَا، وَاتَّخَذُوهَا رَبّاً، فَلَعِبَتْ بِهِمْ وَلَعِبُوا بِهَا، وَنَسُوا مَا وَرَاءَهَا.

[الترفق في الطلب]

رُوَيْداً يُسْفِرُ[١١] الظَّلاَمُ، كَأَنْ قَدْ وَرَدَتِ الأَظْعَانُ[١٢]، يُوشِكُ مَنْ أَسْرَعَ أَنْ يَلْحَقَ!

وَاعْلَمْ، أَنَّ مَنْ كَانَتْ مَطِيَّتُهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، فَإِنَّهُ يُسَارُ بِهِ وَإِنْ كَانَ وَاقِفاً، وَيَقْطَعُ الْمَسَافَةَ وَإِنْ كَانَ مُقِيماً وَادِعاً[١٣].

وَاعْلَمْ يَقِيناً، أَنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ أَمَلَكَ، وَلَنْ تَعْدُوَ أَجَلَكَ، وَأَنَّكَ فِي سَبِيلِ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ، فَخَفِّضْ[١٤] فِي الطَّلَبِ، وَأَجْمِلْ[١٥] فِي الْمُكْتَسَبِ، فَإِنَّهُ رُبَّ طَلَبٍ قَدْ جَرَّ إِلَى حَرَبٍ[١٦]،

---

(١) ضارية: مولعة بالافتراس.

(٢) يهرّ ـ بكسر الهاء ـ : يعوي وينبح، وأصلها هَرير الكلب، وهو صوته دون حاجة من قلة صبره على البرد، فقد شبه الامام أهل الدنيا بالكلاب العاوية.

(٣) النّعَم ـ بالتحريك ـ : الابل.

(٤) مُعَقّلَة ـ من عَقّل البعير بالتشديد ـ : شدّ وَظِيفَهُ إلى ذراعه.

(٥) أضلّت: أضاعت.

(٦) مجهولها: طريقها المجهول لها.

(٧) السُروح ـ بالضم ـ : جمع سَرْح ـ بفتح فسكون ـ وهو المال السارح السائم من إبل ونحوها.

(٨) العاهة: الافة، فالمراد بقوله: سروح عاهة، أنهم يسرحون لرعي الآفات.

(٩) الوَعْث: الرخو يصعب السير فيه.

(١٠) مُسيم: من أسام الدابة يسيمها: سرحها إلى المرعى..

(١١) يُسْفِر: يكشف.

(١٢) الاظْعان: جمع ظعينة، وهي الهودج تركب فيه المرأة، عبر به عن المسافرين في طريق الدنيا إلى الاخرة.

(١٣) الوادع: الساكن المستريح.

(١٤) خَفِّضْ: أمر من خَفّضَ ـ بالتشديد ـ أي ارفق.

(١٥) اجمل في كَسْبه: أي سعى سعياً جميلاً، لا يحرص فيمنع الحق، ولا يطمع فيتناول ما ليس بحق.

(١٦) الحَرَب ـ بالتحريك ـ : سلب المال.

فَلَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ بِمَرْزُوقٍ، وَلاَ كُلُّ مُجْمِلٍ بِمَحْرُومٍ، وَأَكْرِمْ نَفْسَكَ عَنْ كُلِّ دَنِيَّةٍ[1] وَإِنْ سَاقَتْكَ إِلَى الرَّغَائِبِ[2]، فَإِنَّكَ لَنْ تَعْتَاضَ بِمَا تَبْذُلُ مِنْ نَفْسِكَ عِوَضاً[3]. وَلاَ تَكُنْ عَبْدَ غَيْرِكَ وَقَدْ جَعَلَكَ اللهُ حُرّاً. وَمَا خَيْرُ خَيْرٍ لاَ يُنَالُ إِلاَّ بِشَرٍّ، وَيُسْرٍ[4] لاَ يُنَالُ إِلاَّ بِعُسْرٍ[5]؟!

وَإِيَّاكَ أَنْ تُوجِفَ[6] بِكَ مَطَايَا[7] الطَّمَعِ، فَتُورِدَكَ مَنَاهِلَ[8] الْهَلَكَةِ[9]، وَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَلاَّ يَكُونَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللهِ ذُونِعْمَةٍ فَافْعَلْ، فَإِنَّكَ مُدْرِكٌ قِسْمَكَ، وَآخِذٌ سَهْمَكَ، وَإِنَّ الْيَسِيرَ مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ أَكْرَمُ وَأَعْظَمُ مِنَ الْكَثِيرِ مِنْ خَلْقِهِ وَإِنْ كَانَ كُلٌّ مِنْهُ.

[وصايا شتّى]

وَتَلاَفِيكَ[10] مَا فَرَطَ[11] مِنْ صَمْتِكَ أَيْسَرُ مِنْ إِدْرَاكِكَ مَا فَاتَ[12] مِنْ مَنْطِقِكَ، وَحِفْظُ مَا فِي الْوِعَاءِ بِشَدِّ الْوِكَاءِ[13]، وَحِفْظُ مَا فِي يَدَيْكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ طَلَبِ مَا فِي يَدَيْ غَيْرِكَ، وَمَرَارَةُ الْيَأْسِ خَيْرٌ مِنَ الطَّلَبِ إِلَى النَّاسِ، وَالْحَرْفَةُ مَعَ الْعِفَّةِ خَيْرٌ مِنَ الْغِنَى مَعَ الْفُجُورِ، وَالْمَرْءُ أَحْفَظُ لِسِرِّهِ[14]، وَرُبَّ سَاعٍ فِيمَا يَضُرُّهُ! مَنْ أَكْثَرَ أَهْجَرَ[15]، وَمَنْ تَفَكَّرَ أَبْصَرَ، قَارِنْ أَهْلَ الْخَيْرِ تَكُنْ مِنْهُمْ، وَبَايِنْ أَهْلَ الشَّرِّ تَبِنْ عَنْهُمْ، بِئْسَ الطَّعَامُ

---

(١) الدَنيّة: الشيء الحقير المبتذل.
(٢) الرغائب: جمع رغيبة، وهي ما يرغب في اقتنائه من مال وغيره..
(٣) عوَضاً: بدلاً..
(٤) اليُسْر: السهولة، والمراد سعة العيش.
(٥) العُسْر: الصعوبة، والمراد ضيق العيش..
(٦) تُوجف: تسرع.
(٧) المَطَايَا: جمع مطية، وهي ما يركب ويمتطى من الدواب ونحوها.
(٨) المَناهل: ما ترده الابل ونحوها للشرب.
(٩) الهلكة: الهلاك والموت..
(١٠) التلافي: التدارك لا صلاح ما فسد أو كاد.
(١١) ما فرط أي: قصر عن إفادة الغرض أو إنالة الوطَر.
(١٢) إدراك ما فات: هو اللحاق به لأجل استرجاعه، وفات: أي سبق إلى غير عودة.
(١٣) بشدّ وكائها: أي رباطها
(١٤) أحْفَظُ لسرّه: أشد صوناً له وحرصاً على عدم البوح به.
(١٥) أهجرَ إهجاراً وهُجْراً ـ بالضم ـ : هذى يهذي في كلامه.

الْحَرَامُ! وَظُلْمُ الضَّعِيفِ أَفْحَشُ الظُّلْمِ، إِذَا كَانَ الرِّفْقُ خُرْقاً[1] كَانَ الْخُرْقُ رِفْقاً، رُبَّمَا كَانَ الدَّوَاءُ دَاءً، وَالدَّاءُ دَوَاءً، وَرُبَّمَا نَصَحَ غَيْرُ النَّاصِحِ، وَغَشَّ الْمُسْتَنْصَحُ[2].

وَإِيَّاكَ وَالاتِّكَالَ عَلَى الْمُنَى[3]، فَإِنَّهَا بَضَائِعُ النَّوْكَى[4]، وَالْعَقْلُ حِفْظُ التَّجَارِبِ، وَخَيْرُ مَا جَرَّبْتَ مَا وَعَظَكَ، بَادِرِ الْفُرْصَةَ قَبْلَ أَنْ تَكُونَ غُصَّةً، لَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ يُصِيبُ، وَلاَ كُلُّ غَائِبٍ يَؤُوبُ، وَمِنَ الْفَسَادِ إِضَاعَةُ الزَّادِ، وَمُفْسِدَةُ الْمَعَادِ، وَلِكُلِّ أَمْرٍ عَاقِبَةٌ، سَوْفَ يَأْتِيكَ مَا قُدِّرَ لَكَ، التَّاجِرُ مُخَاطِرٌ، وَرُبَّ يَسِيرٍ أَنْمَى مِنْ كَثِيرٍ! لاَ خَيْرَ فِي مُعِينٍ مَهِينٍ[5]، وَلاَ فِي صَدِيقٍ ظَنِينٍ[6]، سَاهِلِ الدَّهْرِ[7] مَا ذَلَّ لَكَ قَعُودُهُ[8]، وَلاَ تُخَاطِرْ بِشَيْءٍ رَجَاءَ أَكْثَرَ مِنْهُ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَجْمَحَ بِكَ مَطِيَّةُ اللَّجَاجِ[9].

احْمِلْ نَفْسَكَ مِنْ أَخِيكَ عِنْدَ صَرْمِهِ[10] عَلَى الصِّلَةِ[11]، وَعِنْدَ صُدُودِهِ[12] عَلَى اللُّطْفِ[13] وَالْمُقَارَبَةِ، وَعِنْدَ جُمُودِهِ[14] عَلَى الْبَذْلِ[15]، وَعِنْدَ تَبَاعُدِهِ عَلَى الدُّنُوِّ، وَعِنْدَ شَدَّتِهِ عَلَى اللِّينِ، وَعِنْدَ جُرْمِهِ عَلَى الْعُذْرِ، حَتَّى كَأَنَّكَ لَهُ عَبْدٌ، وَكَأَنَّهُ ذُونِعْمَةٍ عَلَيْكَ.

وَإِيَّاكَ أَنْ تَضَعَ ذلِكَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، أَوْ أَنْ تَفْعَلَهُ بِغَيْرِ أَهْلِهِ، لاَ تَتَّخِذَنَّ عَدُوَّ صَدِيقِكَ صَدِيقاً فَتُعَادِيَ صَدِيقَكَ، وَامْحَضْ أَخَاكَ النَّصِيحَةَ، حَسَنَةً كَانَتْ أَمْ قَبِيحَةً،

---

(١) الخُرْق ـ بالضم ـ : العنف.

(٢) المُسْتَنْصَح ـ اسم مفعول ـ : المطلوب منه النصح.

(٣) المُنى ـ جمع منية بضم فسكون ـ : ما يتمناه الشخص لنفسه ويعلل نفسه باحتمال الوصول إليه.

(٤) النّوكى: جمع أنوك، وهو كالاحمق وزناً ومعنى.

(٥) مَهين ـ بفتح الميم ـ : بمعنى حقير، والحقير لا يصلح أن يكون مُعيناً.

(٦) الظَنين ـ بالظاء ـ : المتهم.

(٧) ساهل الدهر: خذ حظك منه بسهولة ويسر.

(٨) القَعُود ـ بفتح أوله ـ : الجمل الذي يقتعده الراعي في كل حاجته، وللفصيل، أي: ساهل الدهر ما دام منقاداً وخذ حظك من قياده.

(٩) المَطيّة: ما يركب ويمتطي. واللَجاج ـ بالفتح ـ : الخصومة.

(١٠) صَرْمه: قطيعته.

(١١) الصِلَة: الوصال، وهو ضد القطيعة.

(١٢) الصُدود: الهجر.

(١٣) اللُطف ـ بفتح اللام والطاء ـ : الاسم من ألطفه بكذا أي برّه به.

(١٤) جموده: بخله.

(١٥) البَذْل: العطاء

وَتَجَـرَّعِ الْغَيْظَ[١]، فَإِنِّي لَـمْ أَرَ جُرْعَةً أَحْلَى مِنْهَا عَاقِبَةً، وَلاَ أَلَذَّ مَغَبَّةً[٢]، وَلِنْ[٣] لِمَنْ غَالَظَكَ[٤]، فَإِنَّهُ يُوشِـكُ أَنْ يَلِينَ لَكَ، وَخُذْ عَلَى عَدُوِّكَ بِالْفَضْـلِ فَإِنَّهُ أَحْلَى الظَّفَرَيْنِ، وَإِنْ أَرَدْتَ قَطِيعَةَ أَخِيكَ فَاسْـتَبْقِ لَهُ مِنْ نَفْسِـكَ بَقِيَّةً يَرْجِعُ إِلَيْهَا إِنْ بَدَا لَهُ ذَلِكَ يَوْماً مَا، وَمَنْ ظَنَّ بِكَ خَيْراً فَصَدِّقْ ظَنَّهُ، وَلاَ تُضَيِّعَنَّ حَقَّ أَخِيكَ اتِّكَالاً عَلَى مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ، فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكَ بِأَخٍ مَنْ أَضَـعْتَ حَقَّه، وَلاَ يَكُنْ أَهْلُكَ أَشْـقَى الْخَلْقِ بِكَ وَلاَ تَرْغَبَنَّ فِيمَنْ زَهِـدَ فِيـكَ، وَلاَ يَكُونَـنَّ أَخُوكَ أَقْـوَى عَلَى قَطِيعَتِكَ مِنْـكَ عَلَى صِلَتِه، وَلاَ تَكُونَنَّ عَلَى الْاِسَـاءَةِ أَقْوَى مِنْكَ عَلَى الْاِحْسَـانِ، وَلاَ يَكْبُرَنَّ عَلَيْكَ ظُلْمُ مَنْ ظَلَمَكَ، فَإِنَّهُ يَسْـعَى فِي مَضَرَّتِه وَنَفْعِكَ، وَلَيْسَ جَزَاءُ مَنْ سَرَّكَ أَنْ تَسُوءَهُ.

وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ، أَنَّ الرِّزْقَ رِزْقَانِ: رِزْقٌ تَطْلُبُهُ، وَرِزْقٌ يَطْلُبُكَ، فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَأْتِه أَتَاكَ، مَا أَقْبَحَ الْخُضُـوعَ عِنْدَ الْحَاجَةِ، وَالْجَفَاءَ عِنْدَ الْغِنَى! إِنَّمَا لَكَ مِنْ دُنْيَاكَ، مَا أَصْـلَحْتَ بِـهِ مَثْـوَاكَ[٥]، وَإِنْ جَزِعْـتَ عَلَـى مَا تَفَلَّـتَ[٦] مِنْ يَدَيْـكَ، فَاجْزَعْ عَلَى كُلِّ مَا لَمْ يَصِـلْ إِلَيْكَ.

اسْـتَدِلَّ عَلَـى مَا لَمْ يَكُـنْ بِمَا قَدْ كَانَ، فَإِنَّ الْأُمُورَ أَشْـبَاهٌ، وَلاَ تَكُونَـنَّ مِمَّنْ لاَ تَنْفَعُهُ الْعِظَـةُ إِلاَّ إِذَا بَالَغْـتَ فِي إِيلاَمِـهِ، فَإِنَّ الْعَاقِلَ يَتَّعِـظُ بِالْأَدَبِ، وَالْبَهَائِـمَ لاَ تَتَّعِظُ إِلاَّ بِالضَّرْبِ.

اطْـرَحْ عَنْـكَ وَارِدَاتِ الْهُمُـومِ بِعَزَائِمِ الصَّـبْرِ وَحُسْـنِ الْيَقِينِ، مَنْ تَرَكَ الْقَصْـدَ[٧] جَارَ[٨]، وَالصَّاحِبُ مُنَاسِبٌ[٩]، وَالصَّدِيقُ مَنْ صَدَقَ غَيْبُهُ[١٠]، وَالْهَوَى[١١] شَرِيكُ الْعَمَى، رُبَّ بَعِيـدٍ أَقْرَبُ مِنْ قَرِيبٍ، وَقَرِيبٍ أَبْعَدُ مِـنْ بَعِيدٍ، وَالْغَرِيبُ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَبِيبٌ، مَنْ

(١) الغيظ: الغضب الشديد.
(٢) المَغَبّة ـ بفتحتين ثم باء مشددة ـ : بمعنى العاقبة.
(٣) لِنْ: أمر من اللين ضد الغلظ والخشونة.
(٤) غالظك: عاملك بغلظ وخشونة.
(٥) مثواك: مُقامك، من ثوى يثوي: أقام يقيم، والمراد ـ هنا ـ منزلتك من الكرامة.
(٦) تفلّت ـ بتشديد اللام ـ أي: تملّص من اليد فلم تحفظه.
(٧) القصد: الاعتدال.
(٨) جار: مال عن الصواب.
(٩) الصاحب مناسب: أي يراعى فيه ما يراعى في قرابة النسب.
(١٠) الغيّب: ضد الحضور، أي من حفظ لك حقك وهو غائب عنك.
(١١) الهوى: شهوة غير منضبطة ولا مملوكة بسلطان الشرع والادب.

تَعَدَّى الْحَقَّ ضَاقَ مَذْهَبُهُ، وَمَنِ اقْتَصَرَ عَلَى قَدْرِهِ كَانَ أَبْقَى لَهُ، وَأَوْثَقُ سَبَبٍ أَخَذْتَ بِهِ سَبَبٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللهِ سُبْحَانَهُ، وَمَنْ لَمْ يُبَالِكَ[1] فَهُوَ عَدُوُّكَ، قَدْ يَكُونُ الْيَأْسُ إِدْرَاكاً، إِذَا كَانَ الطَّمَعُ هَلاَكاً، لَيْسَ كُلُّ عَوْرَةٍ تَظْهَرُ، وَلاَ كُلُّ فُرْصَةٍ تُصَابُ، وَرُبَّمَا أَخْطَأَ الْبَصِيرُ قَصْدَهُ، أَصَابَ الأَعْمَى رُشْدَهُ.

أَخِّرِ الشَّرَّ، فَإِنَّكَ إِذَا شِئْتَ تَعَجَّلْتَهُ[2]، وَقَطِيعَةُ الْجَاهِلِ تَعْدِلُ صِلَةَ الْعَاقِلِ، مَنْ أَمِنَ الزَّمَانَ خَانَهُ، وَمَنْ أَعْظَمَهُ[3] أَهَانَهُ، لَيْسَ كُلُّ مَنْ رَمَى أَصَابَ، إِذَا تَغَيَّرَ السُّلْطَانُ تَغَيَّرَ الزَّمَانُ.

سَلْ عَنِ الرَّفِيقِ قَبْلَ الطَّرِيقِ، وَعَنِ الْجَارِ قَبْلَ الدَّارِ.

أخيراً

نختم بما قاله السيد حسين رضوان الله عليه في المائدة الدرس الثاني:

يجب أن نلتف حول القرآن وأن نكون صادقين في ولائنا للإمام علي وأن نعرف أهمية التولي للإمام علي عليه السلام وإن كنا نرى أن بيننا وبينه ألف وأربع مائة سنة.

لن نكون من حزب الله الغالبين ما لم نكن على هذا النحو من الولاء لعلي عليه السلام، الولاء الصادق الولاء العملي الذي يجعلنا نستلهم من علي كيف نتحلى بأخلاق علي، كيف نتحلى بنظرة علي باهتمامات علي عليه السلام، وسنرى كيف سنكون في مواقفنا في اعتقاداتنا في نظراتنا في توجهنا منسجمين مع القرآن لأن «**عليٌّ مع القرآن، والقرآن مع علي**». أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا ممن يتولى عليًّا عليه السلام تولياً صادقاً، وأن يثقفنا بالقرآن، ويفقهنا بالقرآن، ويفهمنا القرآن.

❋❋❋

(١) لم يُبَالِكَ أي: لم يهتم بأمرك، باليته وباليت به أي: راعيته واعتنيت به.
(٢) تَعَجَّلْتَه: استبقت حدوثه.
(٣) أعظمه: هابَهُ وأكبر من قدره.

عليٌّ تاجُ عزتنا

للشاعر ضيف الله الدريب

عَليٌّ تاجُ عِزَّتِنا ... أميرٌ قَدْ تَوَلَّيْنَاهْ
عَليٌّ دَرْسُنَا الوَاعي ... نَجَحْنَا يَوْمَ ذَاكَرْنَاهْ
قَطَفْنَا حُبَّهُ مِنْ جَنَّـ ... ـةِ الفِرْدَوْسِ وَاخْتَرْنَاهْ
وَخَطَّ اللهُ نَصْرًا حَا ... سَمًا في دَرْبِ مَنْ وَالَاهْ
لأَنَّ المُصْطَفَى أَرْسَى ... وَلَايَتَهُ بِمَا أَمْلَاهْ
غَدِيرُ الخُمِّ شَاهِدُنَا ... مَعَاذَ اللَه أَنْ نَنْسَاهْ
فَمَا زِلْنَا بِسَاحَتِنَا ... نُنَفِّذُ مَا تَعَلَّمْنَاهْ
وَنَكْتُبُ مِنْ دَمِ الأَحْرَا ... رِ: أَبْشِرْ يَا وَلِيَّ اللهْ
عَليٌّ صَرْخَةُ الأَحْرَا ... رِ في السَّاحَاتِ مَا أَقْوَاهْ!
عَليٌّ ثَوْرَةٌ كُبْرَى ... عَلَى الطَّاغُوتِ وَالأَشْبَاهْ
وَإعْصَارٌ لأَمْرِيكَا ... وَإسْرَائِيلَ أَعْدَدْنَاهْ
عَليٌّ رُوحُ ثَوْرَتِنَا ... وَنَحْنُ البَأْسُ في يُمْنَاهْ
عَليٌّ وَارِثُ القُرْآ ... نِ بَعْدَ المُصْطَفَى الأَوَّاهْ
عَليٌّ نَبْعُنَا الصَّافي ... رَشَفْنَا الهَدْيَ مِنْ عَلْيَاهْ
وَأَيُّ شَوَائِبٍ أُخْرَى ... رَفَضْنَاهَا وَبَايَعْنَاهْ
وَجَدَّدْنَاهُ في تَارِيـ ... ـخِنَا الحَالي وَأَعْلَنَّاهْ
وَأَجْرَيْنَاهُ في دَمِنَا ... إِبَاءً نَقْتَفي مَعْنَاهْ
نَصَرْنَا المُرْتَضَى وَالنَّصْـ ... ـرُ تِلْوَ النَّصْرِ حَقَّقْنَاهْ
وَلَمْ نُهْزَمْ يَهُودَ الغَدْ ... رِ إِلَّا يَوْمَ وَالَيْنَاهْ
وَفِي ذِكْرَى وِلَايَتِهِ ... صُمُودُ القُدْسِ قَدْ حَيَّاهْ

***

المحتويات

المقدمة ٣

الدور المحوري للإمام بالنسبة للدين ٥
الدين الإسلامي لا بد له من رموز ٥
دور القادة والأعلام ٥
البلاغ والتبيين والتجسيد للدين. ٥
الحفاظ على الدين من التحريف. ٦
ابتعاد الأمة عن الأعلام يجعلها قابلة للتحريف والتضليل ٨
الأنبياء هم طلائع الرموز والأعلام ٩
وبعد الأنبياء ورثتهم الحقيقيون ٩
الإمام علي أُعدَّ في مسيرة حياته لهذا الدور ١٠
الإمام علي نفسه كان مهيأ لهذا الدور ١١
المسلمون مجمعون على جلالة وقدر الإمام علي ١٣
يسعى التيار الوهابي التكفيري إلى أن يجعل الحديث عن الإمام علي محط إشكال ١٣
بغضهم للإمام علي شاهد على أنهم منافقون ١٤
النظام السعودي عمل على اختراق السنة والشيعة بالفكر الوهابي التكفيري ١٥
النظام السعودي الوهابي يسعى إلى إقصاء الإمام علي من ثقافة الأمة ١٧
كيف مسخ الوهابيون التاريخ ١٨
ما ورد في مكانة الإمام علي ودوره ثابت في أهم مصادر الأمة ١٨
النظرة الوهابية التكفيرية الظلامية هي نظرة تشوه حتى نبي الإسلام ٢١
عليٌّ مع القرآن والقرآن مع علي ٢٣

الإمام علي عليه السلام ومؤهلات الولاية ٢٥
ما هو مفهوم السلطة في الإسلام؟ ٢٥
الروحية العالية التي كان يحملها الإمام علي عليه السلام ٢٨
الحادثة الأولى: ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾. ٢٨
الحادثة الثانية: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾ ٣٤

البعد الثقافي والعقائدي والتاريخي لحديث الولاية ٣٦
يوم الغدير وحديث الولاية ٣٦
تساؤلات مهمة ٣٦
في يوم الغدير الرسول يرسم المسار السياسي للأمة إلى يوم القيامة ٣٩
الرسول قدم لأمته في ساحة الغدير ما يشكل ضمانة لها لأن تستمر في طريق الهدى والحق ٤٣
على كل مؤمن أن يعي جيداً ما أعلنه الرسول في يوم الغدير حول ولاية أمر الأمة ٤٤

العصبيات المذهبية بلاء أصاب الأمة ٤٥
يفترض بأمتنا المستضعفة المقهورة أن تكون متطلعة إلى ما فيه نصرٌ وعزةٌ وحريةٌ ٤٥
من مهام الأنبياء الرئيسية تحرير الناس من العبودية للطواغيت ليكونوا عبيداً لله ٤٧
التولي ليس مجرد انتماء مذهبي بل هو ارتباط عملي وسلوكي ٤٨
بقدر ما تتفاعل الأمة مع مبدأ الولاية بقدر ما ستكسب وتنتفع ٥١
مبدأ الولاية يشكل الضمانة لحماية الأمة من أكبر عملية اختراق تعاني منها الأمة اليوم ٥١
قدم الرسول يوم الغدير بطريقة توثيقية ٥٣
موقع الآية أعطى دلالة مهمة ٥٥
ما حصل لم يكن لمجرد إعلان خلافة ٥٦
كيف يجب أن ننظر إلى الإمام علي؟ ٥٧
الولاية هنا امتداد لولاية الرسول ٥٩
محاولات فاشلة ٦٠
أهمية ولاية الأمر التي قدمت في هذا اليوم ٦٤
إيماننا بولاية الله هو منسجم مع عدل الله وحكمته ورحمته ٦٥
إيماننا بمبدأ الولاية هو إيمان بكمال الدين وشموليته ٦٦
الإيمان بمبدأ الولاية قضية يرتبط بها النصر ٦٧
ولاية الإمام علي تحصن الأمة من تولي اليهود والنصارى ٦٧
تولي الإمام علي مفتاح الهداية بالقرآن ٦٨
التولي للإمام علي هو بوابة التولي لله ولرسوله ٦٩
لن ترفع الأمة رأسها حتى ترفع يد رسول الله ويد علي ٧٠
لماذا نقيم مناسبة يوم الولاية؟ ٧١
الرسول أول من سن الاحتفال بالغدير ٧٢

الشعر وتوثيق هذه المناسبة ٧٩

شعراء وثقوا هذه المناسبة ٧٩
١ ـ حسان بن ثابت ٧٩
٢ ـ قيس بن سعد ٨٠
٣ ـ عمرو بن العاص ٨٠
٤ـ السيد الحميري ٨١
٥ـ أبو تمام الطائي (٢٣١هـ) ٨٢
٦ ـ أبو فراس الحمداني ٨٣

ما الذي حصل بعد وفاة رسول الله ٨٧

أقصي علي فأقصي معه القرآن ٨٧
ماذا يعني الإمام علي بالنسبة لنا حتى مع إقصائه؟ ٨٨
كيف تعامل الإمام علي مع ما حصل؟ ٩٠
ما العبرة من هذا الذي حصل؟ ٩٣

الإمام علي واصل مشوار الهداية ٩٧

حاجة الأمة إلى الإمام علي في هذه المرحلة ٩٨
علي يمثل طريقًا يمثل هديًا ٩٨
سنة الله في الهداية عند الإمام علي ‹عليه السلام› ١٠٠
رؤية الإمام علي ‹عليه السلام› في أسباب هيمنة الباطل ١٠٢

علي يرسم معالم الدولة الإسلامية ١٠٦

ومما أثر عن الإمام علي عليه السلام ١١٤
الإمام علي قدم دروساً مهمة لمن يصلون إلى موقع المسؤولية ١١٤
وصايا هامة في الجانب العسكري والإداري وفي كيف يجب أن يكون من يصل إلى موقع السلطة ١١٧
ومما ورد عنه في أهمية الجهاد ١٢٢
استنهاض الناس] ١٢٢
ومن وصاياه (عليه السلام) ١٢٤
[فضل القرآن] ١٢٥
ومن وصيّته (عليه السلام) للحسن بن علي (عليه السلام) ١٢٦
[ذكر الموت] ١٣٤
[الترفق في الطلب] ١٣٥
[وصايا شتّى] ١٣٦
أخيراً ١٣٩

عليٌ تاجُ عزتنا ١٤٠

❊❊❊

تم بحمد الله